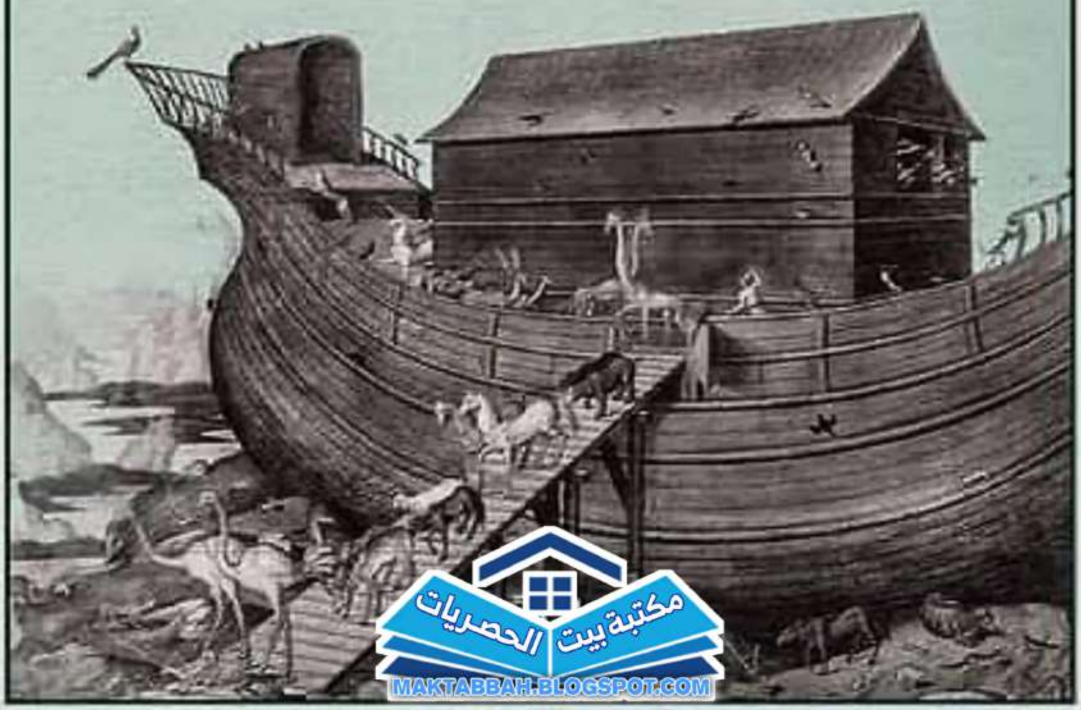
شريف سامي

الأرض بعد طوفان نوح

سيرة أبناء نوح ،سام، حام،يافث وكنعان، ماذا حدث لهم وكيف تشكلت الأرض الحالية؟



المقدمة

لا جدل ولا جدال في أن جميعنا من تراب، فسبحان مصوّرنا الذي أخرج من التراب كبار العشائر والأنساب، وخلقَ لأبناء آدم حياةً وعُمرانَ ومهّد لهم الأسباب، ومع اكتثار بني آدم وانتشارهم أباح لهم الباءةَ والاقتران، وإن دلَّ هذا على شيء فيدل على عدل الخالق وحكمته ورغبته في سَرمدِية نسل آدم على الأرض، إلى أن يشاء بإرادته إقفال التواريخ وانتهاء الحوليات، ثم بعثَ الخلائق في النَّشر والنُّشور لتسوية الحسابات.

ومِن مَضَاء حكمته أنه جعل هذا بشرطٍ أبلجٍ وصريح، مُعلنًا فيه أمره بإعمار أرضه بدون طبقية أو تمييز بين عباده، ففرض علينا شرطًا قاطعًا بأن البشر سواسية كأسنان المشط، لا فرق بين ذريةٍ وأخرى، ولا بين أبيض أو أسود، أو طويل أو قصير، أو ذكرٍ أو أنثى، أو عربي أو أعجمي إلا بالتقوى، فقد خلق الله الناس من أبٍ واحدٍ هو «آدم»، وأم واحدة هي «حواء»، فلا تفاضل بينهم في النَّسب، وجعلهم بالتناسل شعوبًا وقبائل متعددة.

وبرغم ذلك تجد بعض الشعوب تعاني من هذا المرض المُهلِك، وهو «داء العنصرية»، فهناك بعض من خلقه يؤمنون بأن هناك فروقًا وعناصر موروثة في دمائهم وطبائعهم وجنسهم، تميزهم عن دماء الآخرين وعناصر تكويناتهم، ويدفعهم ذلك للتباهي بانتمائهم لجماعتهم أو عِرقهم، وبالتالي تجد تبريرًا لمعاملة الأفراد المنتمين لهذه الجماعة بشكل مختلف اجتماعيًا وقانونيًا يصل لحد استعباد ما هو دونهم في غالبية الأحداث، ومِن أهم الأمثلة وأقدمها هو تمييز «العِرق الساميّ» الذي يرجع بنسبه إلى الجد «سام بن نوح» عليهما السلام، وذلك لأنه من المعروف أن الله قد بدّل الأرض بخلقٍ آخرين، وأغرق بالطوفان الأولين، وأن كل الخلق الحاليين من ظهر أبناء نوح الثلاثة الباقيين، «سام» و«حام» و«يافث»، وقد شرع هؤلاء الذين يدعون هذا التمييز منذ قديم الأزل في زرع خلفيات تاريخية ودينية؛ لكي تُثبت أن ذُرية «سام» هم الجنس الأنقى والمبارَك والمختار، وأن ما هو دون جنسهم فهو أقل وأدنى، فقد برّروا أن نسل «حام» جنسٌ ملعون استحق الاستعباد، وأن جنس «يافث» جنسٌ جبار خرج منه شرائر الأقوام.

لذا قررنا أن نخوض هذه الرحلة المثيرة منذ موت آدم عليه السلام، مرورًا بالطوفان، ووصولًا إلى تفرُّع الشعوب وتسجيل التواريخ، لنضع حدًا لهذه الادعاءات، ونناقش ما يدّعون.

شريف سامي

* * *

تمهيد

هذا الكتاب لا يحتوي على رأيٍ أو وجهة نظرٍ واحدة، ولكنه عبارة عن قراءة وبحث كامل منوّع بصبغة حيادية، يتحدّث عن غالبية ما حدث في هذا الصدد بشكلٍ كاملٍ في كل ما سجّله تاريخ الإنسان الديني، والاجتماعي، والعلمي، والمعرفي، والأدبي، وحتى ما تناقلته الأساطير القديمة.

لذلك وجبَ التنوية عن أنه ينقل الرأي والرأي الآخر ولا يحمل في طياته آراء الكاتب الشخصية، إلا في التقييم والتفنيد في بعض مواضع الأمور التي لا يقبلها العقل، ولا يستوعبها العلم البشري، وكذلك بعض التعليقات الخاصة بخرائط النسل المذكورة المتداولة والمطعون في صحتها، ولن يتم نفي الرأي الأرعن إلا بالرأي السديد، ولن يُناقش الرأي الغرير إلا بالرأي الممنهج، دون تمييز إلا في سبيل العلم.

لذا إذا تفاجأت برأيٍ صادم ينافي ما اعتقدته من قبل على حين غِرّة؛ فالعُهدة على الراوي لا الناقل، وستجد نتائج البحث في نهاية الكتاب فيها البيّنة حول هذه الآراء ومراجعة محتواها.

ستكون مصادر هذا الكتاب:

١ - القرآن الكريم والسنّة النبوية ومفسّروهم، والمؤرخون المسلمون وعلماء الأنساب والأخبار العرب المسلمون - وبرغم ذلك حاشا لله أن يُتهم هذا الكتاب بأنه غير حيادي أو كُتب لانتقاد أي دين آخر.

٢- التوراة ومعلّقوها، والمؤرخون وعلماء الأنساب العبرانيون - وبرغم ذلك حاشا لله أن يُتّهم هذا الكتاب بأنه يروج لما نُقلَ في التوراة فقط، وأن مصدره الوحيد ما كُتِبَ في الإسرائيليات.

٣- الكتاب المقدس ومعلّقوه، والمؤرخون وعلماء الأنساب المسيحيون - وبرعم ذلك حاشا لله أن يُتهم هذا الكتاب بالاستناد للكتاب المقدس فقط، دون المقارنة في كل الأديان.

٤- بعض الأبحاث العلمية الأجنبية التي اختصت في علوم الجينات والكروموسومات، وعِلم الأعراق أو الأثنولوجيا، وكذلك مجموعة أبحاث ونظريات درستها فروع عديدة من علوم الأرض - حتى لا يُتّهم هذا الكتاب بأنه غير علمي، ولا يتحدث إلا بشكل ديني منقول، فلقد نبشتُ في كافة الكتب العلمية والتاريخية لأجد عن هذا الأمر خبرًا.

٥- مجموعة الروايات التي يتداولها الطوائف الغنوصية «العرفانية»، لنطابِق ونقارن ما يَروُنه

من أفكار ومعارف عن الديانات القديمة، وما تمّ ذِكره عن هذا الملف في المجالات الأخرى - حتى لا يُتّهم هذا الكتب بأن مصدره الديانات الإبراهيمية فقط، دون الأخذ في الاعتبار باقي المعتقدات القديمة والحالية.

وهذا يعني قولًا واحدًا - أن هذا الكتاب لن يحكي تاريخًا من منظورٍ واحدٍ، ولكنه مناقشة وتقارب لجميع وجهات النظر التي ذُكرَت في كل ما سبق، وستخضع كل الآراء التي كُتبت حول هذا الشأن إلى التقييم من خلال ما ورد في طعنها دون انحيازٍ.

وأيضًا يجب التنوية أن هذا الكتاب يتحدّث عن الأجداد والأصول وإعمار الأرض ومؤسسي الحضارات فقط، فهو ليس كتاب أنساب، لكنه كتاب تاريخي يتتبع آباء البشر الأولين على مَر العصور القديمة قبل وبعد وقوع الطوفان، دون الالتفات لذِكر كبار الفروع والعشائر الحاليين، أي أنه لا يتبع القاعدة التي تنص على أن النسب يتكون من الشعب، ثم القبيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الأسرة، فما هو إلا إخبار بأجداد الفروع والأعراق الأولى من ظَهرِ نوح حتى تعمير الأرض وبناء الحضارات وأصول الثقافات والأجناس، في محاولة لضرب الكثير من الخرافات، وتوضيح أمور تاريخية مغلوطة، وتنقيتها من الادعاءات التي زرعها الكائدون، والتي أصبحت أمرًا مسلّمًا به رغم أنها ما بُنيت إلا على باطل.

ويتكون هذا الكتاب من ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: عبارة عن القصة والرواية التاريخية، وفيه نستهل الحكاية بالفصل الأول الذي يسرد تاريخ عهد البشرية الأول من «آدم» لـ «نوح» عليهما السلام، وسيرة الآباء الأوّلين - ثم يأتي في وَاسِطَة هذا القِسم الفصل الثاني الذي يسرد قصة الطوفان وأهواله من كل وجهات النظر الدينية، والتاريخية، والعلمية، والأسطورية - ثم في نُهيَة القسم الأول يقبع الفصل الثالث الذي يسرد ما حدث بعد الطوفان وخِتام رحلة السفينة، وشرح ما حدث لنوح والناجين، حتى فُرقة أحفاد نوح وذُريّاتهم وشقاقهم في الأرض، وسفرهم للأراضي التي أورثها وقسمها عليهم جدهم الأكبر عليه السلام، وبداية تكوين الشعوب.

- أما القسم الثاني: فهو جزءٌ تفصيليٌ وتقريريٌ، يرسم شجرات الأنساب بالتفصيل دون أي اختلاق درامي أو تطويل، وفيه البينة لكل أسماء الأجداد الأوّلين من بعد أبناء نوح إلى أن عرفت شعوب الأرض تسجيل الأحداث والتواريخ.

- أما القسم الثالث: فهو قسم قصير وملخص، فيه إفادة بما قد ورَدَ من نتائج للبحث وما تم دراسته في هذا الشأن.

والله الموفق

القسم الأول

الرواية التاريخية

الفصل الأول

ما قبل الطوفان

(عهد البشرية الأول)

هل خطر ببالك يومًا أنه من الممكن أن تعبر بين الأزمان بسفينةٍ خشبيةٍ، تُبحر بها من محطةٍ أخيرةٍ ستُدمَّر فور إقلاعك، إلى محطةٍ جديدةٍ لم تُفتتح ولن تُدشن إلا على يديك... وتمر بها فوق أشلاء زمنٍ سحيقٍ يُعاد تشكيله من جديد؛ لتُطمَس كل معالم الحياة الأولى بما فيها من زينةٍ ومتاعٍ وحُليٍ... وتجري بها مجرى الرياح التي تكنس كل الأغبرة لتمحو كل ما كان قبلها.. سفينةٌ؛ لكنها ليست كمثيلاتها من السفن.. سفينةٌ؛ تُعد هي نقطة البدء لباكُورة الحياة البشرية الثانية؛ لتطوي الماضي بكل ما فيه كطي السجل للكتب.

الانطلاقة

سفينةٌ عملاقةٌ تنتظر أمرَ الله حتى تُبحر براكبيها، ولن تُبحر من نقطة بداية إلى نقطة نهاية كما هو مألوف في تاريخ الأنام، بل هي الرحلة الأولى من نوعها التي ستنطلق من النهاية إلى البداية، من المُنتهى إلى الاستهلال.. عالمان مختلفان سيفصل بينهما فُلك مشحونٌ... أنسابٌ وأدبارٌ ستنقطع ولن يُحبل رحم أنثى بعد اليوم؛ بل سينتهي مصيرهن.

سيكون هذا الفُلك العملاق هو طوق النجاة لمن أراد أن يُبقه الله دون أن يجعله كالأمسِ الدّابر؛ فحياة مَن يتجهون إلى الفُلك الآن ما لها من عاصمٍ إلا مشيئة الله؛ ثم تلك الفُلك الوعائي الضخم(591)، الذي يقف في انتظار المسافرين في شموخٍ وشفوقٍ، لاعتباره هو الصناعة الأولى من نوعها التي تحمل صفات السفن وضخامة الأفلاك.(590)

هذه الألواح المنسّقة ستكون هي الحد الفاصل بين العالم القديم والعالم الجديد، واستبدال الأراضين بخلقٍ آخرين، ومن سيمتطيها سيسافر من ظلمات الاضمحلال والفَوَات إلى إشراقات حياةٍ جديدة؛ وأما مَن لم يسافر فقد وقع عليه البأس والفناء.

يركب المؤمنون الفُلك الآن بإذن خالقهم بعدما جاءتهم العلامة الربانية كتنويه لبداية إقلاع الرحلة، أما نبي الله «نوح» عليه السلام فمشغولٌ بتنفيذ أمر ربه بأن يحمل مِن كل زوجين اثنين؛ فقط مِن المخلوقات الموجودة حوله، لكنهم الآن عاجزون عن حملِ الوحوش فوق السفينة، فهل يُعقل أن هناك إنسانًا سيذهب إلى الغابة مثلًا ويصطحب معه أسدًا أو فِيلًا ثم يجرهم ويأمرهم بالركوب فيركبوا! كان هذا الأمر يشغل «نوح» النبي لكنه لا يبالي؛ فقلبه

مطمئنٌ بأن الله سيهديه للحل كما أهداه لحرفة صُنع السفن التي لم يرَها من قبل، ولكنّ هناك أمرًا آخر يشغل باله؛ جعله بين كل غفوة وأخرى ينظر لأعالي الطريق، هذا الأمر هو مجرد أمل ضعيف في أن يفاجئه ولده «يام»(589) ويركب معه قبل الإقلاع، فقد تمنّى النبي الهداية لولده والصعود لظهر السفينة كما فعل أبناؤه الثلاثة الآخرون «سام» و«حام» و«يافث»، ولم يكن نبي الله ينتظر أي شيء من هذا العالم الأوليّ إلا ابنه وفلذة كبده، رغم أنه لم يؤمن معه، أما باقي المعاندين فلن يهتم بأمرهم نوح بعد الآن، فقد جاء أمرُ ربه وقد حانت نهايتهم.

الجميع الآن واقفون ينتظرون ركوب الوحوش ولا يملك أحدهم حيلةً في كيفية اصطيادهم، وبينما هم واقفون ينتظرون حلًا، ألقى صَحبة نوحٍ نظرتهم الأخيرة على هذا العالم القاسي، وتعجبوا من أن هؤلاء بعدوا عن تعاليم السماء رغم أنهم من ذُريّة «آدم» عليه السلام، لكنها بدع الدنيا وأهواؤها، ولم تكن هذه العاقبة الكبرى واقعةً عليهم بظلم، فمن المؤكد أنهم يستحقون ذلك، لكن يا تُرى من هؤلاء؟ وماذا فعلوا حتى يكون الطوفان جزاءهم؟ وماذا حدث للبشرية من بعد وفاة «آدم» عليه السلام، حتى يأتي نسلٌ يستحق الطوفان والإبادة من على وجه البسيطة؟

١ - عهد البشرية الأول

ظلّ الناس على التوحيد زمنًا بعد وفاة «آدم» عليه السلام، ولم يكن هناك شركٌ لقرونٍ طويلة بعد تبليغه الرسالة لأبنائه في سلامٍ، حتى تبدّلت الأجيال وجاء زمانٌ يملأه التردي واتباع خطوات الشيطان، وفيه ظهرت الطبقية والعنصرية وترك البشر تعاليم السماء، فابتعد الناس عن الدين رويدًا رويدًا، وانتشر في مجتمعهم الضلالات والجحود بالله، بعد مرور قرونٍ بين «آدم» و«نوح».

ما بين آدم ونوح

كان هؤلاء الناس الضالون قد جاءوا بعد أن عاش بنو آدم عشرة قرون على التوحيد بعد بعثة أبينا «آدم» عليه السلام كما هو شائع عند - أهل العلم الإسلامي(588)،(587)، وليس شرطًا أن القرن هنا مئة عام؛ فربما المقصود به عشرة أجيال استدلالًا بتفسير ما تم ذِكره في القرآن الكريم(586)، وبما أن الأعمار في هذا الوقت كانت طويلة جدًا فربما يكون الجيل وقتها أكثر من مائة سنة، بالإضافة أيضًا إلى أنه ربما لم يكن مجموع القرون الفعفرة عشرة قرون، وأنهم فقط عشرة قرون قد عاشت فيهم البشرية على التوحيد مطروحين من قرون أخرى كانوا فيها على ضلال، معنى هذا أنه ليس شرطًا أن تعتقد أن بينهما ألف سنة، فربما يكون أضعافًا.

وقد ذكرَ بعضُ المؤرخين المسلمين المدة بين آدم ونوح عليهما السلام بحسابات اجتهادية لا داعي لذِكر حيثياتها، فمنهم من قال ألف سنة، ومنهم من قال سبعين ألف سنة، ومنهم من قال مائة ألف سنة، وجميع هذه الحسابات تفتقد للسند القوي، أما «ابن كثير» فقد قال أولًا: «المدة بين موت آدم وميلاد نوح مائة وست وأربعون سنة، وأن بينهما عشرة قرون» (585)، ولكن إذا نظرنا إلى الآباء الذين كانوا بين آدم ونوح والذين سنسرد قصصهم المختلفة فيما يلي سنجدهم تسعة آباء ونوح عاشرهم.



من آدم لنوح، بحسب التوراة والإنجيل والمؤرخين المسلمين

وهذا يُفسر كلمة «عشرة قرون»، أي أن كل أبٍ كان على رأس قرن، وهنا تتوقف معرفة الفترة على تعريف كلمة «قرن»، فالقرن يعادل مائة عام فقط في زمننا الذي تتراوح أعمار ضيوفه بين الستين والسبعين، ولكنّ القرن في أصل اللغة العربية هو «رأس الجبل» أو بداية الهرم، إذ يمكننا أن تطلق كلمة قرن على فترة من الزمان وليس شرطًا أن تكون مائة عام، أما معناه الأعمق فهو «الجيل بشري»، وإذا كان الجيل الحالي لا يتعدّى المائة عام نظرًا لأعمارنا

القصيرة؛ فربما كان الجيل قديمًا أكثر بكثير نظرًا لأعمارهم التي كانت تصل إلى ألف سنة أو أقل بعشرات السنوات، لذلك وضَّح «ابن كثير» باقي تأريخه ثانيةً وقال: «فإن كان المراد بالقرن مائة سنة - كما هو المتبادر عند كثير من الناس - فبينهما ألف سنة لا محالة، لكن لا ينفي أن يكون أكثر من ذلك باعتبار ما قيِّد به ابن عباس بالإسلام، إذ قد يكون بينهما قرونٌ أخرى متأخرة لم يكونوا على الإسلام، وإن كان المراد بالقرن الجيل من الناس، فقد كان الجيل قبل قوم نوح يعمَّرون الدهور الطويلة فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف السنين، والله أعلم» أ.هـ (584)، لذلك فكل ما ورد في هذا الشأن إنما هو ضربٌ من التخمين، وأن الآثار التي رُويت في ذلك يمكن تأويلها على أنحاءٍ شتى، فتكون ألفًا وتكون الآلاف من السنين، ولا يقين في الموضوع(583)، ولكن هذا يطرح سؤالًا مهمًا عن هذا العصر السحيق الذي كان بين آدم ونوح، هل آتاهم نبي أو رسول في هذه السنون الطويلة؟ أم ظلت البشرية طيلة هذه القرون دون معاصي أو شرك من وجهة نظر الأديان السماوية وبعض المعتقدات الأخرى؟

هل هناك أنبياء قبل نوح؟

هناك أكثر من اختلاف في هذا الأمر لدى معتنقي - الدين الإسلامي فقط، فعلى سبيل المثال: اختلف علماء الإسلام في كون «شيث بن آدم» عليهما السلام نبيًا أم لا، وهناك اختلاف آخر في كون «إدريس» قبل «نوح» عليهما السلام أم العكس، وما زالت هذه الأمور محل خلاف بين أهل العلم الإسلامي فقط، وهذا ليس خلافًا عقائديًا على الإطلاق، فلا فرق في ذلك، بل هو خلافٌ تأريخيًا، فلا ضرر ولا ضِرار من وجود أحدهما قبل الآخر، وسنوضح الآراء المختلفة من لدن علماء الإسلام والتوراة والإنجيل والصائبة عن كون «إدريس» قبل أم بعد «نوح» عليهما السلام، بما أنهم جميعهم يؤمنون بنبوّته، ولكن حتى لا نطيل؛ سنذكر في خلال هذه الآراء قصص الأولين منذ وفاة «آدم» حتى بعثة «نوح» عليهم جميعًا السلام.

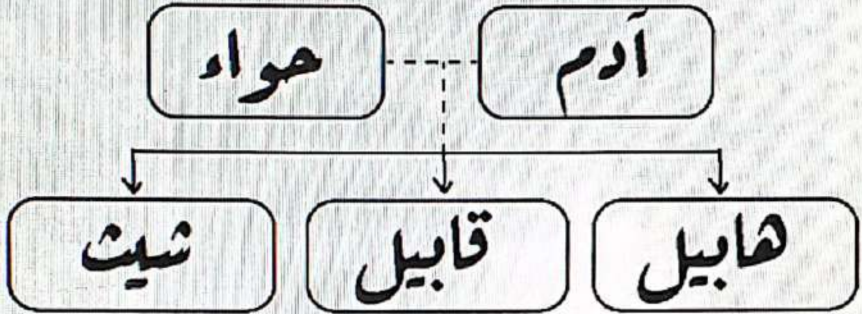
الرأي الأول

يعتمد - أصحاب هذا الرأي - على أن «شيث بن آدم» كان نبيًا، ومن بعده «أخنوخ» المذكور في التوراة، الذي يُعتقد أنه «إدريس» في النّص القرآني، ويعتمدون على وصاية «آدم» عليه السلام عندما حضره الموت بتكليف «شيث» بالإمارة على بنيه، والقيام بشؤونهم، وقد رُوِيَ في بعض الكتب الإسلامية حديث عن النبي «محمد» -صلّى الله عليه وسلم- أنه أجاب أبو ذرٍ عن سؤاله: «يا رسولَ اللهِ كمِ الأنبياءُ؟ قال: (مئةُ ألفٍ وعشرونَ ألفًا)، قلتُ: يا رسولَ اللهِ كمِ الرُّسلُ مِن ذلك؟ قال: (ثلاثُمئةٍ وثلاثةَ عشَرَ جمًّا غفيرًا) قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ مَن كان أوَّلَهم؟ قال: (آدمُ) قلْتُ: يا رسولَ اللهِ أنبيٌّ مُرسَلٌ؟ قال: (نَعم خلَقه اللهُ بيدِه ونفَخ فيه مِن رُوحِه وكلَّمه قبلًا)، ثمَّ قال: (يا أبا ذرٍّ أربعةٌ سُريانيُّونَ: آدمُ وشِيثُ وأخنوخُ وهو إدريسُ وهو أوَّلُ مَن خطَّ بالقلمِ ونوحٌ، وأربعةٌ مِن العربِ: هودٌ وشعيبٌ وصالحٌ ونبيُّك محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)، قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ كم كتابًا أنزَله اللهُ؟، قال: (مئةُ كتابٍ وأربعةُ كُتبٍ أُنزِل على شِيثَ خمسونَ صحيفةً...) رواه ابن حبان في صحيحه (582)، وأبو نعيم في الحلية (581)(وهذا الحديث فيه علة وضعف وآراء عديدة طعنت في صحته (580)).

لم يذكر - القرآن الكريم - اسم «شيث بن آدم» في أيِّ موضعٍ من المواضع، ولكن يتبين من الأحاديث النبوية وكُتب التراث الإسلامي أنه هو الابن الثالث والبار لآدم وحواء، ويرى بعض المفسرين أن «شيث» هو الذي تلقّى الصحف الأولى المذكورة في سورة الأعلى من القرآن(579).

وذكر العديد من العلماء وعلى رأسهم «ابن جرير الطبري» أن «حواء» ولدت «شيث» لما مضى من عمر «آدم» عليه السلام مائة وثلاثون سنة، وذلك بعد قتل «قابيل» لـ «هابيل» بخمس

سنين، ومعنى ذلك أنه خلفًا لـ «هابيل»(578)، وعند موت «آدم» دفع كتاب وصيته إلى «شيث»، وأمره أن يخفيه من قابيل وولده، لأن «قابيل» كان قد قتل «هابيل» حسدًا منه حين خصَّه «آدم» بالعلم، فاستخفى «شيث» وولده بما عندهم من العلم، ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به(577)، وقيل أن «شيث» دفن «آدم» ودفن معه النصوص المقدَّسة في قبره، وأن الله أتاه العلم والحكمة لدرجة أنه علمَ بموعد «الطوفان العظيم».



أبناء آدم الثلاثة ويظهر "شيث" كثالث إخوته.

وفي - الديانة اليهودية - نجد «شيث» هو أب لكل البشر الذين نجوا من الطوفان، وأنه هو أب كل الصادقين والصالحين، وأنه وُلدَ في عام ١٣٠من تقويم س.ع العبري(576)، وأن ذُريته كانت ٥٦ ولدًا، وتوفي في عام ١٠٤٢ من تقويم س.ع، ونسبةً لما ذكره كتاب «اليوبيلات»(575) فإن «شيث» قد تزوَّج أخته التي كانت تصغره بأربع سنوات، والتي كانت تُدعى «أزورا» في عام ٢٣١ س.ع، وأنجبت له الابن الصالح «أنوش» في عام ٢٣٥ س.ع.

وفي - الديانة المسيحية - نجد أيضًا أن ولادة شيث كانت في سنة ١٣٠ س.ع البيزنطي(574)، ويعتبر المسيحيون شيث واحدًا من الآباء القديسين في الكنيسية الرسولية الأرمنية، ويخلِّدون ذكراه هو وأباه آدم في يوم ٢٦ يوليو من كل عام، وكذلك نجد في المسيحية «شيث» يدخل ضمن قائمة آباء «يسوع»، حسب «إنجيل لوقا».(573)

ويعتقد - معتنقو الأديان السماوية الثلاث - وليست المسيحية فحسب، أن نسب البشرية كلها يعود إلى «شيث بن آدم»، لأنَّ أخاه «هابيل» قد مات ولم ينجب أي ولد، أما «قابيل» فأجياله قد لقوا حتفهم بعد ذلك في «الطوفان العظيم»، ويعتقد بعض - علماء المسلمين - أن «شيث»

هو المعلم الأول للعديد من الحِرَف التقليدية التي توارثها الإنسان عبر الزمان(572).

ويرى - أصحاب رأي نبوة «شيث»- أنه كان «هبةُ الله» بعد وفاة «هابيل»، لأن ترجمة اسم «شيث» تحمل هذا المعنى، ويُذكَر أنه بعدما فرَّ القاتل «قابيل» من الجبال إلى السهول برفقة زوجته فور قتله لأخيه «هابيل»، اصطفى الله تعالى «شيث» عليه السلام من ولد «آدم» وأعطاه النبوة، وأصبح يُعيّن والده في أمورِ الدعوة والإرشاد والتوحيد، ومع ازدياد ذرية آدم وتكاثرها تحمَّل «شيث» الوصاية خصوصًا بعد وفاة أبيه «آدم» عليه السلام، وأصبح يفصل بين الناس في الحرام والحلال، وأصبح مُشرِّعًا لهم، ومنعهم من الاختلاط بأبناء «قابيل» الملعون، واستنادًا على الحديث الذي سبق ذكره - والذي بدا ضعفه - قالوا أن تحريم الاختلاط مع قوم «قابيل» هو من الشرائع التي جاء بها «شيث بن آدم» في نبوته، وتصديه لهؤلاء الذين أفسدوا في الأرض بسوء أخلاقهم.

نجحت دعوة «شيث»، ولم تختلط ذُريَّة أبناء «شيث بن آدم» بذرية «قابيل» المنبوذ وتمسَّكوا بمكانهم على الجبل المقدس، ولم ينزلوا إلى السهول حتى توفي «شيث»، بعد ذلك عُهِدَ الأمر إلى ابنه «أنوش» (حسب المسمى التوراتي) كواصٍ وليس كنبيٍ - على حد قول هذا الرأي - وبحسب التوراة هو أول أبناء شيث نسبةً لما ذكره «سفر أخبار الأيام الأول»(571)، وفي المسيحية يظهر أيضًا أنوش في نَسَب يسوع كما سبق ووضحنا من «إنجيل لوقا»، وقد رتَّبه «ابن هشام» كجدٍ من أجداد نبي الإسلام محمد -صلّى الله عليه وسلم-(570)، ويذكر «سفر التكوين ٥»(569) أن شيث قد أنجب «أنوش» وهو في سن ١٠٥ عام، أما في النسخة السبعونية(568) فستجد عمره ٢٠٥ عام.

برغم عدم ذكر «أنوش» في - القرآن - لكن تم ذِكره لدى علماء المسلمين والمؤرخين العرب، فقد وصفوه في تأريخهم بأنه كان صالحًا يأمر ذريته بتقوى الله والعمل الصالح، فسبَّحوا الله وقدَّسوه، وكان كافة أبنائهم ونسائهم ليس بينهم عداوة ولا تحاسد ولا أي نزاعات ولا تباغض ولا تهمة ولا كذب ولا خلاف، وكان أحدهم إذا أراد أن يحلف قال: لا ودم هابيل(567)، ولما حضرت وفاة «شيث» أتاه بنوه وبنو بنيه، ونساؤهم وأبناؤهم، فصلّى عليهم، ودعا لهم بالبركة، وتقدّم إليهم، وحلّفهم بدم هابيل ألا يهبط أحدٌ منهم من هذا الجبل المقدس، ولا يتركوا أحدًا من أولادهم يهبط منه، ولا يختلطوا بأولاد «قابيل» الملعون، وأوصى إلى «أنوش» ابنه وأمره أن يحتفظ بجسد آدم، وأن يتقي الله ويأمر قومه بتقوى الله وحسن العبادة، ثم توفي بعمر تسعمائة واثنتي عشرة سنة(566)،(565).

تولى «أنوش بن شيث بن آدم» الوصاية على ذُرية «شيث» بحسب - التوراة والإنجيل

والمؤرخين العرب(564) - وقام «أنوش بن شيث بن آدم» بحفظ وصية أبيه وجده، وأحسن عبادة الله، وأمر قومه بحسن العبادة، ولما حضر أنوش الوفاة اجتمع إليه بنوه وبنو بنيه، ونساؤهم وأبناؤهم، فصلى عليهم، ودَعَا لهم بالبركة، ونهاهم أن يهبطوا من جبلهم المقدس، أو يتركوا أحدًا من بنيهم يختلط بولد «قابيل» اللعين، وأوصى ولده «قينان» بجسد آدم، وأمرَهم أن يصلّوا عنده ويقدّسوا الله كثيرًا(563).

وتقول التوراة إنه توفى بعمر (تسعمائة وخمس وستين سنة)، فاستلم بعده الوصاية ولده «قينان».

تولى «قينان بن أنوش بن شيث بن آدم» من بعده، ويَذكُر المؤرخين العرب أنه كان تقيًا ومقدّسًا، فلما حضر الموت اجتمع حوله بنوه ونساؤهم وأبناؤهم، فصلّى عليهم، ودَعَا لهم بالبركة، وأملاهم الوصاية الموروثة، وأقسم عليهم بدم «هابيل» أن لا يهبط أحدًا منهم من جبلهم المقدس إلى السهول حيث يقطن ذُرية الملعون «قابيل»، وجعلَ وصيته إلى «مهلائيل» ابنه، وأمره أن يحتفظ بجسد آدم، ومات «قينان»(562).

وتقول التوراة إنه توفي بعمر (تسعمائة سنة وعشرين سنة)، فاستلم الوصاية من بعده ولده «مهلائيل».

تولّى «مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم» من بَعده، وقام في قومه بطاعة الله تعالى، واتباع وصية أبيه، ويقال إن نسّابي الفرس يسمونه «أوشهنج» وأنه هو أول من استنبط الحديد»(561)، وهو الذي يزعم الأعاجم من الفُرس أنه الملك الذي ملك الأقاليم السبعة، وأنه أول من قطع الأشجار وبنى المدائن والحصون الكبار، وقالوا إنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى(560)، وإنه قهرَ إبليس وجنوده وشرّدهم عن الأرض إلى أطرافها وشعاب جبالها، وإنه قتل خلقًا من مردة الجن والغيلان(559)، وكان له تاج عظيم، وكان يخطب الناس ودامت دولته أربعين سنة»(558)، ولما دنا موت مهلائيل أوصى إلى ابنه «يرد» بحفظ جسد آدم(557).

وتقول التوراة إنه توفي بعمر (ثمانمائة سنة وخمس وتسعين سنة)، فاستلم الوصاية من بعده ابنه «يرد».

تولّى «يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم»، وقال عنه المؤرخون العرب إنه كان رجلًا مؤمنًا، كامل العبادة لله، كثير الصلاة بالليل والنهار فزاد الله في حياته، وتوضح - التوراة - أنه كان على منهاج أبويه «مهلائيل» و«قينان»، لكنّ أحداث الشر بدت في

زمانه(556)، فلما مضى من حياة «يرد» خمسمائة سنة نقض «بنو شيث» العهود والمواثيق التي كانت بينهم، والسبب أنه بعد وفاة «شيث» بفترة تسلل الشيطان بين أبناء القاتل «قابيل» وتشخص في شكل غلام جميل وعمل في خدمة رجلًا من سكان سهل أبناء قابيل فآجر نفسه منه(555)، وابتدع هذا الفتى صوت المزمار بعدما زمر في شيء مثل الوعاء، فخرج بصوت لم يُسمع من قبل، فانتبه الجميع لفكرته، وخلال هذه السنوات الماضية زادت فتنة إبليس في معسكرهم وبدأ يزين لهم أعمالهم، وحبَّب إليهم أمورًا جديدة في اللباس والزينة والأمور الغريبة، وعلَّم ولدين من أبناء «قابيل» أصناف الغناء والمزامير، فصنع الابن الأول وكان يُدعى «يوبال» المزامير والطنابير والبرابط، وصنع الثاني وكان يُدعى «توبال» (توبلقين) الطبول والدفوف والصنوج، ولم يكن لبني قابيل عمل صالح يشغلهم، فتملكهم الشيطان، فكانوا يركبون المحارم والمآثم، ويجتمعون على الفسق صغيرهم وعجوزهم، وكانوا دائمًا يجتمعون فيزمرون ويضربون بالطبول والدفوف والبرابط والصنوج، ويصيحون ويضحكون(554)، وابتدعوا عيدًا لأول مرة يجتمعون فيه كل سنة فتتبرج النساء للرجال، ويفسر بعض علماء المسلمين أن هذا التبرج هو «تبرج الجاهلية الأولى»(553)، المذكور في القرآن(552).



ذرية قابيل ، ويظهر في نهاية الخريطة الأبناء يوبال وتوبال أولاد الطير لامك بن قابيل.

سمع أهل الجبل المقدس من «بني شيث» أصوات عزوف «بني قابيل» وهأهأة الضحكات الخليعة لنسائهم، وهبت الفتنة حول جبلهم المقدس ترفرف في أجوائهم، واستهوى الأمر بعضً من ضعاف النفوس بينهم، كان عددهم مائة رجل، فقرروا الهبوط إلى «بني قابيل»، لينظروا ما تلك الأصوات فذهبوا ولم يرجعوا، وقال مائة آخرون لو نظرنا ما فعل إخوتنا (في محاولة منهم لإبداء الرغبة في النزول بحجة الاطمئنان على مَن نزلوا)، فلما بلغ ذلك كبيرهم «يرد» أتى الذرية جميعًا، وخطب فيهم وناشدهم بالله، وذكّرهم وصية آبائهم، وحلف عليهم بدم هابيل، وخطب فيهم ولده «أخنوخ بن يرد» صائحًا: اعلموا أنه من عصي منكم أبانا «يرد» ونقض عهود آبائنا، وهبط من جبلنا لم ندعه يصعد مرةً أخرى مهما حدث، فأبوا إلا أن يهبطوا وأصروا، فلما هبطوا إلى السهول اختلطوا ببنات قابيل فاحتجزتهم النساء وأغوتهم بعدما فُتنوا بجمالهن، فركبوا الفواحش، وظهر الزنا في تاريخ بني آدم، وابتعدت طائفة كبيرة

من ذرية «شيث» عن وصايا أجدادهم، فتناكحوا واختلطوا، وكثر بنو قابيل حتى ملأوا الأرض(551).

لما حانت لحظة موت «يرد» التف حوله أبناؤه فصلى عليهم، ودعا لهم بالبركة، وحملهم الوصاية الموروثة، ونهاهم أن يهبطوا من الجبل المقدس مثل الهابطين المخالفين، وقال: إنكم لا محالة ستهبطون إلى الأرض السفلى، فأيكم كان آخر هبوطًا فليهبط بجسد أبينا آدم، ثم ليجعله وسط الأرض كما أوصانا، وأمر «أخنوخ» بالوصاية.(550)

وتقول التوراة بأنه توفى عن عمر (تسعمائة سنة واثنين وستين سنة)، وتولى من بعده الوصاية «ابنه «أخنوخ».

تولى «أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم» الوصاية في ظروف صعبة بعدما انتشرت المعاصي في عهده، ويعتقد العديد من - علماء المسلمين - أنه هو نبي الله «إدريس»، نسبةً لما ذكره العديد من المؤرخين المسلمين، وتلخيصًا لذلك قال بن كثير: «فلما مات (يقصد مهلائييل) قام بالأمر بعده ولده يرد فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ولده خنوخ (الذي هو أخنوخ في تعدد الترجمات)، وهو إدريس عليه السلام على المشهور»(549)، وأقرّ غالبية المؤرخين المسلمين القدامى بنبوته ونبوة «شيث» وأن «إدريس» جاء قبل نوح، وقال على لسانهم «ابن كثير» بعد البحث: «وكان أول بني آدم أعطى النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام» (يقصد أخنوخ).

وعلى حد زعم هذا الرأي - فـ «خنوخ» هو أخنوخ» هو «أنوخ»، هو «أنس الله(548)، هو «إدريس» عليه السلام، والـ «الزبير بن بكار» قال عنه: «هو إدريس بن اليارد بن مهلائيل بن قينان بن الطاهر بن هبه، وهو شيث بن آدم، وإنما قيل لهُ إدريس لأنه أول مَن درس الوحي المكتوب»(547)، وبعدما أتم «أخنوخ» عمر ستين سنة ولَدَ له «متوشلح»(546).

ويتداول المؤرخون أن أخنوخ الذي هو إدريس -على حد رأيهم - هو أول من شرّع القتال في سبيل الله، فقد جهز جيشًا وهاجم قوم «قابيل» فهزمهم من أجل إخماد الفتنة والمعاصي، وهو سبب رئيسيّ في عدم ابتداع الشّرك بالله في القرون الأولى قبل مجيء قوم نوح أول من عرفوا الشرك بالله، وكان ذلك سببًا في تقليص شرور ذرية قابيل وإضعاف شوكتهم... وذكر «المقريزي» في خططه رأيًا آخر، وهو أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عن «إدريس» عليه السلام، وقال أنه هو « هرمس الأول» الساكن بصعيد مصر الأعلى، وأنه أول من تكلم في الجواهر العلوية، والحركات النجومية، وأول من ابتنى الهياكل، ومجّد الله فيها، وأول من نظر في علم الطب، وألّف لأهل زمانه قصائد موزونة في الأشياء

الأرضية والسماوية، وقالوا إنه أول من أنذر بالطوفان، ورأى أن آفة سماوية ستصيب الأرض بالماء والنار، فخاف ذهاب العلم وإندراس الصنائع، فبنى الأهرام والبرابي التي في صعيد مصر الأعلى، وصوَّر فيها جميع الصنائع والآلات، ورسم فيها صفات العلوم حرصًا على تخليدها لمن بعده، وخيفة أن يذهب رسمها من العالم، وهرمس هذا هو: إدريس عليه السلام - على حد رواية المقريزي(545).

وقد قال طائفة من الناس إنه المشار إليه في حديث «معاوية بن الحكم السلمي» لما سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الخط بالرمل فقال: «إنه كان نبي يخط به فمن وافق خطه فذاك»... ويزعم كثيرٌ من علماء التفسير والأحكام أنه أوّل مَن تكلّم في ذلك ويسمونه «هرمس الهرامسة»، ويكذّبون عليه أشياء كثيرة(544)، كما كذّبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء(543)، وهذه الآراء تجعلنا نُفتش عن «هرمس» الملقب بهرمس الهرامسة، وهل هو «إدريس» النبي من وجهة نظر علماء التاريخ؟

«هرمس الأول»

هو شخصية لم يقف التاريخ على توضيحها بالضبط، وليس له وجود ملموس؛ فهو شخصية أسطورية يُنسب إليه كتاب «متون هرمس»، وهذه المتون بمثابة دستور عقلاني، تحمل في طياتها مجموعة حكم يونانية فرعونية، تتناول مواضيع حياتية وفلسفية، وهي أساس الفكر المسمى بالهرمسي، الذي يتدبر طبيعة الله، والكون، والفكر، والطبيعة.

لم يجتمع المؤرخون على رأي موحّد في كونية شخصية هرمس من عدمها، فمنهم من قال إنه «هرمس السكندري» ذو الصحف، ومنهم من اعتقد أنه النبي «أخنوخ» الذي هو «إدريس» عليه السلام المذكور في القرآن، كما قال آخرون بأن هرمس ما هو إلا شخصية أسطورية نسجت من عدة شخصيات ممزوجة بالواقع والخيال، أطلق عليه القدماء الأوائل لقب «صاحب ثلاث العظمة»، وفسر البعض هذا الاسم بأن سببه أنه أول من وصفَ الله بثلاث صفات ذاتية هي: الوجود - والحكمة - والحياة، وفسر البعض الآخر هذا الاسم بأن سببه امتلاكه لثلاث تجليات هم: أخنوخ عند المصريين - وأرميس عند اليونانيين - وإدريس عند المسلمين(542)، وفسر آخرون بأن سبب هذا اللقب تحليه بثلاث صفات عظام وهم: النبوة - والفلك - والحكمة.



صورة تخيلية لهرمس الهرامسة تعود للعصور الوسطى

ولهرمس ثلاثة وصوف في التاريخ القديم باستثناء إدريس عند المسلمين، ولا يعرف إلى الآن مَن فيهم صاحب الوصف الحقيقي.

الوصف الأول

يقول: بأنه عاش مع القدماء المصريين الأوائل قبل قيام حضارتهم الضخمة، وقالوا إن هرمس كان قديمًا يسكن بصعيد مصر الاعلى وهو أوّل شخص قد تكلّم في الجواهر العلوية، وأنه في زمانه السحيق كان يحذر الناس من طوفان قادم سيأتي في أمةٍ بعده، وأنه كان عاشقًا للعلوم وخائفًا من ذهابها، وأنه أوّل من خطّ الثياب، وأنه المدرس الأول للحِرَف والصنائع، وأنه من علّمهم إقامة المدن وبناء الأهرام حيث بنى لهم مائة وثمانين مدينة؛ وصوّر فيها جميع الصناعات والآلات، ودوّن عليها كافة العلوم حتى لا تُنسى مع الزمن بغرض أن يتوارثها القادمون، ورسم فيها طبقات العلوم حرصًا منه على تخليدها لمن بعده، وهو أول من علّم الناس عبادة الله والصوم والصلاة والزكاة؛ وتقديم القرابين للرب من كل الفاكهة والذبائح والطيب، وهو من حرم السكر وأكل النجاسة - كما ذكر المقريزي وهذا الخط.

الوصف الثاني

مصدره البابلين الذين قالوا ان هرمس أصلًا كان يعيش في بابل قبل قيام حضارتهم مع سالف العصر والأوان، وهو علمهم نفس الأشياء التي ذُكرت.

الوصف الثالث

يقول بأنه هرمس المصري أو السكندري، وهو الذي يسمى «أرميس» أو «طريس-ميجيسطيس»، أي المثلث بالحكمة لأنه جاء ثالث الهرامسة الحكماء.


HERMETIS TRIS-
MEGISTI IATROMATHEMATICA
(HOC EST MEDICINAE CVM MATHEMATI-
CA CONIVNCTIO) AD AMONEM AEGY-
ptium conscripta, Interprete
Ioanne Stadio Leom-
mouthesio.

ياتروماتيكوم (الرياضات العلاجية) المنسوبة إلى هرمس الهرامسة،

وترجمها للاتينية يوهانس ستاديوس

ونهايةً: ربما يكون هرمس شخصية حقيقة وتناقلت، وربما كانت مجرد شخصية أسطورية ترمز إلى الحكمة والصلاح، وأنه مجرد مزيج لمجموعة أشخاص إعتلوا بحكمتهم بين الأمم، والله أعلم.

وبالعودة لرويات «أخنوخ» المذكورة فيما سبق، يذكّر المؤرخين أنه بعد انتشار الفساد في

عهده، توافد «بنو شيث» ونساؤهم هابطين إلى السهول مرةً أخرى، فعظم ذلك على «أخنوخ» فدعا ولده «متوشلح» وابنه «لمك» ووحفيده «نوح»، فقال لهم: إني أعلم أن الله معذِّب هذه الأمة عذابًا عظيمًا ليس فيه رحمة، فأوصى ولده أن يخلصوا عبادة الله، ويستعملوا الصدق واليقين، ثم رفعه الله بعد أن أتت له ثلاثمائة سنة(541)، فتسلم الوصاية بعده ابنه «متوشلح».

قام «متوشلح بن أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم » على عبادة الله تعالى وطاعته كما عهد إليه آباؤه، وكان قد ولد «لامك» وعمره مائة واثنتان وثمانون سنة، وفي زمانه أنتشلا الشرك وظهر، وقِيلَ أوحى الله إلى حفيده «نوح» وهو على قيد الحياة، وأعلمه أنه باعث الطوفان على الناس مستقبلًا(540).

ثم توفى بحسب التوراة في عمر (تسعمائة وستين سنة)، فانتقلت الوصاية من بعده إلى ابنه «لامك» وحفيده «نوح».

قام «لامك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم » بالوصاية بعد أبيه، وكان دائم العبادة والطاعة لله، بعد أبيه، ولكن كثرت الجبابرة في عصره وانتشرت الفاحشة واعتظم الشُّرك بالله، وذلك لأنه لما وقع بنو شيث في بنات قابيل ولدت منهم الجبابرة(539).

وبحسب التوراة توفي لامك وعمره (سبعمائة وسبعًا وسبعين سنة)، فاستلم الوصاية بعده ولده «نوح»، الذي رزقه الله بالنبوّة بسبب فساد وشرور قومه وعبادتهم للأصنام من دون الله.

الرأي الثاني

أصحاب هذا الرأي يقولون بأن النبوة بدأت لأول مرة من هذه اللحظة التي اصطفى فيها الله نوح للنبوة وأنه هو أبو الأنبياء وأولهم، وأن كل ما سبق لا غبار عليه، فلا يدعي أحدهم تكذيبًا أو تصديقًا لهذه الروايات التي تم سردها، بل إنهم يقولون إن هؤلاء أناس ربما كانوا مباركين، استلموا الوصاية عن آبائهم بدايةً من أبو البشرية «آدم» عليه السلام، ولكن لم يستلموا نبوة، واستدلوا بأن كل شخص فيهم قد جاء لأبنائه وذريتهم ليحثهم على الطاعة وتعاليم السماء، أما «نوح» فهو أول نبي قد بعثه الله لقومٍ كافرين ليسوا من نسله أو سلالته، أما بخصوص نبي الله «إدريس» عليه السلام الذي أجذم القرآن بنبوته ومكانته العالية بشكل واضح وصريح لا يدع مجالًا للشك، قالوا عنه إنه نبي لا نقاش في ذلك، لكنه بُعث بعد «نوح» وإنه من ذريته ومن ذرية «إبراهيم» بالتحديد، وقال بعضهم إنه هو نفسه النبي «إلياس»

عليه السلام الذي جاء في بني إسرائيل.

هل إدريس هو إلياس لدى علماء الإسلام

قال الزمخشري(538): إنه هو «إلياس» وقُرئ «إدريس»، وقال «ابن كثير» في البداية والنهاية: «وقد زعم بعضهم (يقصد المؤرخين المسلمين) أن «إدريس» لم يكن قبل نوح بل في زمان بني إسرائيل... يقول البخاري ذاكرًا عن ابن مسعود وابن عباس: أن إلياس هو إدريس (537)، واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزهري عن أنس في واقعة إسراء النبي محمد -صلّى الله عليه وسلم- أنه لما مرّ بـ «إدريس» عليه السلام، حيث قال «إدريس» للنبي «محمد»: (مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح)، ولم يقل كما قال «آدم» و«إبراهيم» لـ «محمد» -صلّى الله عليه وسلم- عند ملاقاته (مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح)، قالوا فلو كان في عمود نسبه لقال له كما قالا له»(536).(535)، وهذا ما ذهب إليه «الضحاك بن مزاحم» وحكاه «قتادة» و«محمد بن إسحاق»، ولكن لم يعتبر «ابن كثير» هذا سندًا قويًا حيث أردف قائلًا: «وهذا لا يدل، ولا بدّ لأنه لم يكن الراوي حفظه جيدًا، أو لأنه قاله له على سبيل الهضم والتواضع، ولم ينتصب له في مقام الأبوّة كما انتصب لآدم أبو البشر وإبراهيم الذي هو خليل الرحمن، وأكبر أولي العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين»(534).

وكرّر «ابن كثير» الحديث في هذا الشأن مرةً أخرى لإثبات نفس الرأي ولكن هذه المرة في تفسيره وقال: «عن قتادة، وبن اسحق، وابن أبي حاتم، نقلًا عن عبد الله ابن مسعود أنه قال: إلياس هو إدريس عليه السلام وكذا قال الضحاك»، وأردف قائلًا: «وقال وهب بن منبه: هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، بعثه الله في بني إسرائيل بعد حزقيل(533)عليهما السلام، وكانوا قد عبدوا صنمًا يُقال له: «بعل »... وفي نهاية التفسير قال «بن كثير» هذا ما حكاه «وهب» عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته(532)، ويبدو من قوله هذا أنه غير مقتنع لأنه مُعتاد على قول هذه الكلمة بعد كل نقل، ويرى «ابن كثير» أنهما مختلفان وأن «إلياس» ليس هو «إدريس»، فقال: «والصحيح أنه غيره كما تقدّم. انتهى».

ويقول ابن خلدون حاسمًا لهذا الملف: «أعلم أن الخلاف الذي في ضبط هذه الأسماء إنما عرض في مخارج الحروف، فإن هذه الأسماء إنما أخذها العرب من أهل التوراة ومخارج الحروف في لغتهم غير مخارجها في لغة العرب، فإذا وقع الحرف متوسطًا بين حرفين من لغة العرب فترده العرب تارة إلى هذا وتارة إلى هذا، وكذلك إشباع الحركات قد تحذفه العرب إذا نقلت كلام العجم، فمن هنا اختلف الضبط في هذه الأسماء».(531)

ومن بعد هذه الآراء لم يترتب بعد ذلك أي بحث أو عمل على معرفة هل هما واحدٌ أو اسمان مترادفان فيما بحثت واطلعت.

هل نوح قبل إدريس لدى علماء الإسلام؟

بعيدًا عن أن النبي «إدريس» هو نفسه النبي «إلياس» أم لا، تكمن إشكالية أخرى في عدم اقتناع العديد من العلماء المسلمين بأن «إدريس» كان قبل نوح رغم اقتناعهم بأن إدريس وإلياس اثنان وليسا شخصًا واحدًا، وكذلك لم يقتنعوا بأن «شيث» كان نبيًا، بل يرون أنه رجلٌ صالحٌ، ورث العبادة والتقوى عن أبيه «آدم عليهما السلام، أي أنهم يُكَوِّنون رأيًا آخر ملخصه أن «شيث» ليس نبيًا فلا أنبياء قبل «نوح»، وأن «إدريس» نبي لكنه جاء بعد «نوح» عليهم جميعًا السلام.

وقد نُقل ذلك عن علماء كثيرين، واستندوا لقول الله تعالى في القرآن الكريم (كان الناس أمة واحدة) (530) وقالوا إن أوَّل نبي بُعث هو «نوح» عليه السلام، وقالوا إن المؤرخين وقعوا في خطأ كبير بقولهم إن «إدريس» جاء كان قبل «نوح»، واستدلوا بما ورد في القرآن الكريم: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبين من بعده) (529)، حيث تنص الآية صراحةً بأن النبيين جاءوا من بعد نوح بنَص القرآن، واستدلوا بما ورد في الحديث الصحيح في قصة الشفاعة: «أن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له: أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض»(528)، وتم تفسير الآية القرآنية (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتها النبوة والكتاب) (527) بأنه لا شك في أن إدريس كان نبيًا بجَزْمِ النّص القرآني في سورة مريم(526) ولكن في الآية السابقة تأكيد بأن النبوة والكتاب من ذُرية نوح وإبراهيم، أي أن إدريس من ذريتهما، واستندوا كذلك إلى قول الله تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا) (525)، ثم عقب الله على ذلك بعدها بقوله: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) (524)، واستدلوا بأن هذا أكبر برهان على

أن إدريس جاء بعد نوح وإبراهيم، وأن هذا واضحًا في لفظ «أولئك» المحدد(523)، وفي آيات أخرى عديدة نرى ذِكر نوح قبل كل الرُسل دائمًا، أما إدريس فلم يُذكَر ولو لمرة واحدة بالقبلية(522) - هذه وجهة نظرهم كاملة.

إدريس في عقيدة الصابئة المندائيين

ربط الكثير من المؤرخين أن «دنانوخ» الوارد ذِكره في كتاب «الصابئة» هو نفسه «أخنوخ»

الوارد ذكره في الكتاب المقدس، ويُعتبر النبي «دنانوخ» هو النبي الرابع في العقيدة الصابئة المندائية، فلهذه الديانة سبعة أنبياء متشابهون مع باقي أنبياء الديانات السماوية وهم: «آدم، شيث (ويقال عندهم شيتل)، آنوش، نوح، سام بن نوح، دنانوخ، يحيى بن زكريا»، ولمكانة النبي «دنانوخ» في هذه العقيدة مكانة خاصة، وهذا ما اتضح من نصوصهم في كتابهم العقائدي (كنز ربا)(521) أو «الكنز العظيم»، وباقي كتبهم الأخرى.

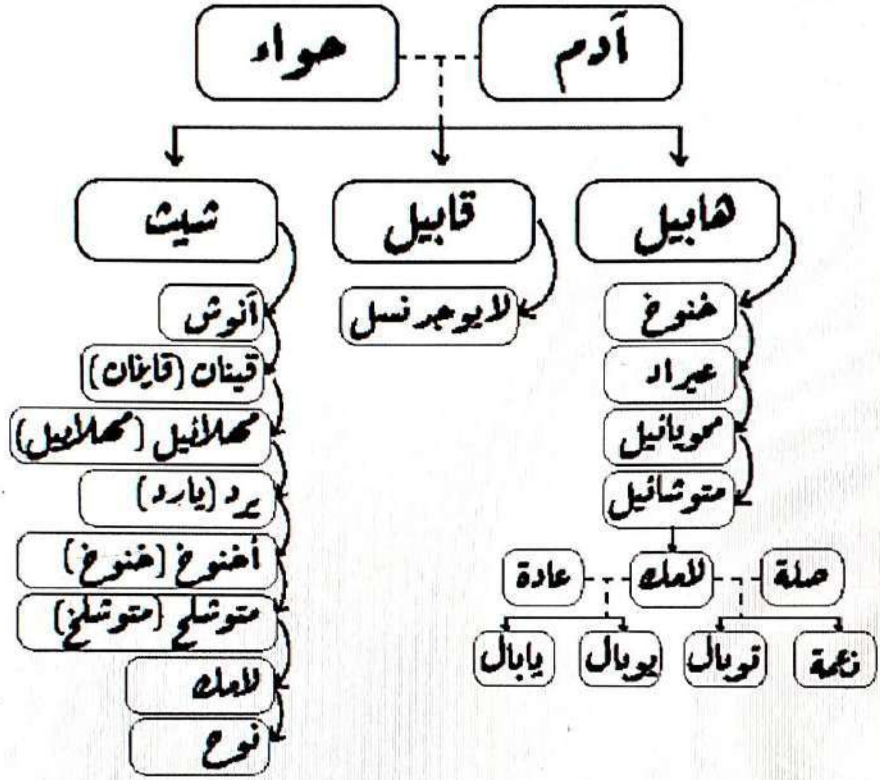
* * *

٢ - عهد قوم نوح

على كل حال وصلت الوصاية والنبوة لـ «نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يارد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم» أبي البشر عليهم جميعًا السلام (520)، ولم يذكر القرآن أي شيء عن نسب نبي الله نوح، ومن هو أبوه، ولا حتى سبب تسميته بهذا الاسم، وكل ما ذكرناه هو منقولٌ عن التوراة وكبار المؤرخين المسلمين.

أما عن سبب تسميته بـ «نوح»، فقال بعض المؤرخين أمثال «يزيد الرقاشي» أن سبب تسميته بذلك كثرة النواح والمناجاة لخالقه بسبب عصيان قومه، ولكنْ هناك تشكيكًا في هذا التفسير والسبب أن تسميته سبقت نبوءته، وإذا افترضنا أن آباءه كانوا أتقياء كما ذكرْنا، كيف علموا أنه سيكون كثير النواح والخشوع، وإذا افترضنا أن الله ألهمهم بذلك فسنجد إشكالية أخرى تتمثل في أن نوح وأهله كانوا عجم، فكيف ألهمهم الله أن يختاروا هذا الاسم الذي يشير إلى هذا المعنى في العربية فقط، وإذا افترضنا ذلك فالنقطة الأهم والأكثر حسمًا هي أن اسمه «نُوح» بضم النون، وهذا الاسم في اللغة العربية لا يدل على كثرة النواح وليس له معنى في اللغة العربية كلها على الإطلاق، فإذا كان اسمه (نَوح) بفتح النون كان هذا التفسير صحيحًا، لكن اسم (نُوح) هو المعتاد والمشهور، وبالتالي هذا التفسير للمعنى عارٍ من الصحة. (519)

بُعث «نوح» كنبيٍّ في غير ذُريته لأول مرة منذ خَلْق البشرية الأولى، وفي زمانه كان قد زاد الاختلاط وطغى، وكثرت ذرية «قابيل»، التي تفرَّع منها قوم نوح.



جدول كامل لذرية بنو شيث وبنو قابيل

مَن هم قوم نوح؟

لم تقف كتب التفسير على انتساب هؤلاء الناس إلى قبيلةٍ معينةٍ أو لجنس بشري خاص باستثناء أنهم من ذُرية قابيل، ولكن ذكر «ابن كثير» أن قوم نوح اسمهم (بنو راسب) ونقل ذلك عن ابن جرير الطبري وغيره(518)، ولكن بمراجعة تاريخ الطبري سيتبين أنه لم يقل ذلك بوضوح، فقد قال عبارة تتضمن: (وأن منهم من يقول: كانوا أهلَ طاعةِ بيوراسب(517)، وكان قومه يعبدون الأصنام)(516)، وربما لندرة التنقيط قديمًا، تصحفت كلمة «بيوراسب»، إلى «بنوراسب» ثم أصبحت كلمتين: «بنو» «راسب» (515)، وأما جَعْل «بنو راسب» هم قوم نوح، فلأن بعض الرواة جعلوا نوحًا بزمن الملك «بيوراسب الضحاك»(514)، وهو الملك المعروف بعدة أسماء على حدّ ذِكرهم مثل بيوراسب(513) أو بوراسب (512)، أو كما يُسمَّى في مواضع أخرى: بيوراسف، بيسوراسب (511).

ويتبين بعد دراسة المراجع والمصادر جميعها أنه لا يوجد حجة أو برهان لخدمة فكرة أن قوم نوح اسمهم «بنو راسب»، ولا حتى عاصروا الملك الضحاك الذي حكم بابل في الأسطورة الشهيرة، بل أقرت غالبية أخرى أنه جاء بعد زمان نوح بقرون، ومنهم من قال إنه حميري حكم مملكة «حمير»(510)، وآخرون قالوا إنه هو «النمرود بن كنعان» نفسه. وهذا يدل على أن قصته وردت بعد الطوفان بزمان فوق الأزمان، وبناءً على ذلك يظل نسب قوم نوح مجهول نظرًا لعدم وروده في السجلات التاريخية أو الدينية بشكلٍ واضح؛ والسبب هو فناؤهم دون ترك أيّ أثرٍ تاريخي لهم، وما ورد في شأن اسم قوم نوح في المواضع العدة ليس له أي سند قوي نجزم به بل هي مجرد أخبار تتوارث دون دليل، وبالبحث والتدقيق سنجد أنه لا وجود لقبيلة تحمل اسم «بنو راسب» إلا قبيلة عريقة وحيدة سكنت أرض جعلان بسلطنة عمان، وقد نشأت بعد طوفان نوحٍ بقرون طويلة، حيث أنها خرجت من نسل أحفاد نوح نفسه، وهم «بنو راسب بن مالك بن ميدعان بن نصر بن الأزد».(509)

وبعيدًا عن أصول قوم نوح، فلا شك في أن هؤلاء كانوا لا مثيل لهم في الأولين، فهم أول من ابتدع الشرك، وأول من عبد صنمًا في تاريخ الأسلاف، وكانوا يعبدون أصنامًا خمسة وهم: «وَدّ» و«سواع» و«يغوث» و«يعوق» و«نسر»(508)، وكانت هذه الأصنام لنفر من بني آدم قد شاع صيتهم قبل هذا الزمان في الصلاح والتقوى عندما كانت ذُرية «شيث» هي السابقة، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا حزن عليهم أتباعهم حزنًا عميقًا ووقفوا عند قبورهم باكين، وتمنوا أن يروهم مصوَّرين حتى يستذكروا صلاحهم فيقتدون بهم في العبادة، فصوروهم على هيئة تماثيل، ثم بدأوا يتباركون بهذه الأصنام؛ ثم عظّموها مهلًا فمهلًا(507)، فلقد تعامل الشيطان مع هذا الأمر بصبرٍ شديد، ولم يحرضهم على الشرك بشكلٍ سريع، ولو كان قد فعل ذلك لانكشف أمره وما تجرأ أحدهم على الإقدام نحو فكرة الشرك بالله أو حتى استيعابها، لكنه تدرّج في الفكرة حتى لا يشعرن بها أحد. فلقد طاوعهم في الفكر بدهاءٍ شديد، وكأن الشيطان نفسه أحبّ هؤلاء الرجال الصالحين، لذلك أوحى لهم بوجوب صناعة تماثيل تُخلّد ذكرى الصالحين في زمانهم، وبعدما استبدل الله هذا النسل بنسلٍ آخر أقل علمًا، أكمل الشيطان باقي خطته، وأقنعهم بأن من سبقوهم قد عبدوا هذه الأصنام واستسقوا بها المطر(506)، فاستجابوا له وأصبحت عبادة هذه الأصنام هي العبادة السائدة في هذا الزمان وبنوا لهم معابد وصروحاً(505)، وأول من عُبدَ على الأرض من دون الله كان الصنم «وَدّ»، وأول اسم سميت به الأطفال في الشرك «عبد وَدّ».

نوحًا نبي

ويتبين بعد دراسة المراجع والمصادر جميعها أنه لا يوجد حجة أو برهان لخدمة فكرة أن قوم نوح اسمهم «بنو راسب»، ولا حتى عاصروا الملك الضحاك الذي حكم بابل في الأسطورة الشهيرة، بل أقرت غالبية أخرى أنه جاء بعد زمان نوح بقرون، ومنهم من قال إنه جِميري حكم مملكة «جِمير»(510)، وآخرون قالوا إنه هو «النمرود بن كنعان» نفسه، وهذا يدل على أن قصته وردت بعد الطوفان بزمان فوق الأزمان، وبناءً على ذلك يظل نسب قوم نوح مجهول نظرًا لعدم وروده في السجلات التاريخية أو الدينية بشكلٍ واضح؛ والسبب هو فناؤهم دون ترك أيّ أثرٍ تاريخي لهم، وما ورد في شأن اسم قوم نوح في المواضع العدة ليس له أي سند قوي نُجذم به بل هي مجرد أخبار تتوارث دون دليل، وبالبحث والتدقيق سنجد أنه لا وجود لقبيلة تحمل اسم «بنو راسب» إلا قبيلة عريقة وحيدة سكنت أرض جعلان بسلطنة عمان، وقد نشأت بعد طوفان نوحٍ بقرون طويلة، حيث أنها خرجت من نسل أحفاد نوح نفسه، وهم «بنو راسب بن مالك بن ميدعان بن نصر بن الأزد».(509)

وبعيدًا عن أصول قوم نوح، فلا شك في أن هؤلاء كانوا لا مثيل لهم في الأولين، فهم أول من ابتدع الشِّرك، وأول من عبد صنمًا في تاريخ الأسلاف، وكانوا يعبدون أصنامًا خمسة وهم: «وَدّ» و«سِواع» و«يَغوث» و«يَعوق» و«نَسر»(508)، وكانت هذه الأصنام لنفر من بني آدم قد شاع صيتهم قبل هذا الزمان في الصلاح والتقوى عندما كانت ذُرية «شيث» هي السابقة، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا حزن عليهم أتباعهم حزنًا عميقًا ووقفوا عند قبورهم باكين، وتمنوا أن يروهم مُصوَّرين حتى يستذكروا صلاحهم فيقتدون بهم في العبادة، فصوروهم على هيئة تماثيل، ثم بدأوا يتباركون بهذه الأصنام؛ ثم عظّموها مهلًا فمهلًا(507)، فلقد تعامل الشيطان مع هذا الأمر بصبرٍ شديدٍ، ولم يحرضهم على الشرك بشكلٍ سريع، ولو كان قد فعل ذلك لانكشف أمره وما تجرأ أحدهم على الإقدام نحو فكرة الشِّرك بالله أو حتى استيعابها، لكنه تدرَّج في الفكرة حتى لا يشعرن بها أحدٌ، فلقد طاوعهم في الفكر بدهاءٍ شديدٍ، وكأن الشيطان نفسه أحبّ هؤلاء الرجال الصالحين، لذلك أوحى لهم بوجوب صناعة تماثيل تُخلِّد ذكرى الصالحين في زمانهم، وبعدما استبدل الله هذا النسل بنسلٍ آخر أقل علمًا، أكمل الشيطان باقي خطته، وأقنعهم بأن من سبقوهم قد عبدوا هذه الأصنام واستسقوا بها المطر(506)، فاستجابوا له وأصبحت عبادة هذه الأصنام هي العبادة السائدة في هذا الزمان وبنوا لهم معابد وصروحاً(505)، وأول من عُبدَ على الأرض من دون الله كان الصنم «وَدّ»، وأول اسم سميت به الأطفال في الشرك «عبد وَدّ».

نوحًا نبي

بعدما زاد الشرك والضلال بين هؤلاء بعث الله فيهم «نوح» عليه السلام كأول رسول نبي؛ وأول أولي العزم، ولم يبعث الله نوح لقومه على صورة بشير كغالبية الأنبياء؛ ولكنه جاء كنذير نظرًا لسوء حالهم(504)، لأنهم كانوا قائمين على شرٍ لم يسبق له مثيل؛ لا سيما بدعة الشرك بالله التي لم يسبقهم أحدًا بها.

آمن مع نوح عدد قليل جدًا من فقراء قومه، وكان أول من اعترض دعوته وتصدّى لها الملأ من قومه الذين كانوا يأمرونهم بعبادة الأصنام، وكانت كلمتهم نافذةً نظراً لقوتهم وأموالهم الجمة وأولادهم الكثر(503)، فهم الذين يملأون الواجهة السياسية وصناعة القرار، هم المتحكمون في الرأي العام بأموالهم، هم كبار القوم وساداتهم ووجهاؤهم، وقد سُموا بالملأ لِمَلئِهم عيون الجماهير والأتباع بعزهم وجاههم، ومَلْئِهم قلوب الضعفاء بالرعب والخوف، ومَلئِهم الواجهة المجتمعية بآرائهم ونفوذهم، هم الذين أثاروا الشبهات ضد نوح، وصوبوا تهديداتهم نحو صدره، هم الذين قالوا له: يا نوح كُف عمّا تقوله؛ فالذي تدعونا إليه ضلالٌ مبين. ولكن لم يزجر نوح ولم يقابل إهانتهم بهجاء، بل قال بلطفٍ سَهل المَرام: يا قومي، ليس بي ضلالة ولكني رسولٌ قد بعثني الله إليكم؛ أبلغكم الرسالة من خالقكم وأنصح لكم وأعلم من الخالق ما لا تعلمون، فرَدوا عليه بإستخفاف وانتقاص: أن يا نوح ما أنت إلا بشر مثلنا ولم يتبعك إلا أراذلنا (502)؛ بادي الرأي(501)، ونحن سادةُ القوم وأسياده فكيف يجمعنا وإياهم دينٌ واحدٌ؟ فردُ عليهم نوح بحلم الحكمة قائلًا أن: يا قوم، لا إكراه في الدين ولن نلزمكموه وأنتم له مكرهون. أما أنا فلا أسألكم المال فأجري على الله، وأما هؤلاء المساكين والضعفاء فأنا غنيٌ بهم ولن أطردهم إرضاءً لكِبركم؛ فمَن ينصرني من الله إن طردتهم؛ فأنا لست ملكًا ولم أملك خزائن الأرض، فأنا بشر مثلي مثلكم قد بعثني الله إليكم لكي أنذركم عذاب يومٍ عظيم، يا قومي اعبدوا الله واستغفروه إذا أردتم خير الدنيا والآخرة، لمَ لا تعظمون ربكم الذي خلقكم وترجون له وقارًا!

وما كان من كفار قومه إلا أن اجتمعوا ضده ماكرين داعين الناس بأن لا يذروا آلهتهم، ومنعوا الإنصات لكلام نوح (500).

صفات قوم نوح

بهذا الشكل استمروا في التعنت والجدال طوال ألف سنة إلا خمسين عامًا؛ وهذا عُمر دعوة نوح وليس عمره كاملًا، ولم تكن الدعوة على مراحل بل كانت ليلًا ونهارًا؛ على صورٍ وأشكالٍ متنوعة، فكان يدعوهم سرًا بشكلٍ أحادي؛ وجهرًا بشكلٍ جماعي، وطوال هذا العمر الطويل أعطاهم الله فُرصًا كثيرة تمثلت في مئات السنين وقتًا - وعشرات المواضع مكانًا - وعشرات

الطرق دعوةً، ولكن استمر مبتدعو الشرك في ضلالهم؛ بل زادوا عليه ضلالًا وكِبرًا، حيث كان مجتمع هؤلاء يشعُ بالطبقية، وكانوا قومًا متكبرين لا يملكون سعةً من البال، فكانوا لا يريدون سماع كلامه من الأساس، ووصل كِبرهم إلى أن قاموا بوضع أصابعهم في آذانهم ككناية على عدم الرغبة في دخول نقاش؛ حتى وإن كان من يحدِّثهم نذيرًا بحجةٍ بينة، ثم زادهم الكِبر كبرًا حيث استغشوا ثيابهم حتى لا يرون وجه نوح؛ في انقلابٍ واضحٍ للصورة، فالفطرة الإنسانية دائمًا ما تصوِّر وجه الناصحين بالنور والراحة حيث يعتبر النظر في وجوه الصالحين عبادةً، بينما هؤلاء بإصرارهم وكبرهم قد بدلوا الآية، فهو إجراء منهم يدل على أن وجه المصلح الناصح بالنسبة لهم وجه مكروه، فقد استحبوا الهوى والرجس وأطاعوه، وما دون ذلك من صلاح بالنسبة لهم مجرد ثرثرة ومضيعة لوقتهم الثمين الذي كرسوه في الشرور واللَعب.

لم تتأثر قلوب قوم نوح رغم مجهوده الذي لم يتوقف لمدة تسعمائة وخمسين سنة، وبمنتهى الوقاحة استعجلوا عاقبتهم طالبين منه إنهاء النقاش؛ وأنه جادلهم فأكثر جدالهم فآن الأوان أن يأتيهم بما يعدهم، وهذا يوضح أن مجتمعهم بالفعل كان مجتمعًا معاندًا لا يستوعب أن يكون به ناصحًا أو صالحًا وأنه مجتمعٌ غارقٌ في الشر لا يريد أن يرى أو يسمع أو يفكر... وزاد عبثهم عندما آذوا نوحًا بقولهم عنه مجنونٌ وازدجر تارةً؛ وكذَّابٌ أشر تارةً أخرى(499)، وعن كثرة جبروتهم روى «ابن جرير الطبري» أن كان هناك رجل طاعن في السن عاجز يحمله ابنه، قال احملني إلى هذا الرجل الذي يسمى نوحًا؛ فحمله، ولما أنزله أخذ عصاه وطفق يضرب نوحًا على رأسه.

وبهذا الشكل كان أذى نوح يشارك فيه الكبير والصغير، الرصين والساقط، الأبي والأحمق، الوقور والوضيع، بل كان أيضًا من وصايا الأب والأم عند الموت أن لا يؤمن أهلاهما بدعوة نوح.

أعداء من أهل نوح

كفر بدعوة نوح الغالبية العظمى من قومه، بل وكان من ضمن هؤلاء الكفار زوجته الأولى وولده منها، حيث كان فيما ورد لنوح زوجتان الأولى وصفها القرآن بالخائنة؛ ولها منه ولد لم يتبع مِلَّة النبي نوح كأمه؛ واسمه «يام» (كنعان)، وأخرى مؤمنة ولها منه ثلاثة أبناء «سام» و«حام» و«يافث»(498)،(497)... وزوجته الأولى التي وصف القرآن كفرها، عند العبرانيين اسمها «والهة» أو «نعمة»؛ ومعروفة لدى علماء التفسير الإسلامي باسم «واغلة» لأنها توغَّلت في الكفر على حد تفسيرهم، أما وصفها بالخائنة لا يعني باغية؛ فما بغت امرأةُ

نبي قط(496)، فنساء الأنبياء معصومون عن الوقوع في البغاء لحرمة أزواجهن الأنبياء(495)، ولكن خيانتها كانت تكمن في أنها رفضت الإيمان؛ وخانت نبي الله بنقلها أخباره إلى أعدائه وأصحاب النفوذ من الضالين المضلين في القوم، وكانت أحيانًا تتهمه بين قومها بالجنون(494)، وكان نبي الله قد تزوّجها قبل تبليغه رسالة ربه؛ ولما عرض عليها التوحيد استكبرت وبقيت على كفرها حتى أخذها الطوفان(493)، وهناك رأيٌ آخر يقول إن واغلة لم تفت في الطوفان ولكنها ماتت قبل وقوع الطوفان الذي غرق فيه المشركون. (492)

التجهيز لصناعة الفلك

وصل الأذى إلى قلب النبي الصبور؛ واستنفد معهم كل الفرص التي كانت ستنجيهم من بطش الله، فأوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من آمن؛ وأن باب التوبة قد تم إغلاقه؛ فلا تحزن ولا تبتئس بما فعلوا(491)، ويصف القرآن دعاء نوح لربه بأن يارب لا تذر على الأرض منهم شخصًا واحدًا؛ حتى لا تتكاثر ذُريّتهم وينشروا الفساد في الأرض؛ فيزدادوا إثمًا وعذابًا أكبر(490)، فاستجاب له الله تعالى وأعقم أرحام النساء فلم يولد لهن ولدٌ بعد هذه اللحظة، وأوحى الله له أن يا نوح إصنع فُلكًا؛ ولا تخاطبني في الذين كفروا من اليوم وصاعدًا مهما كان منهم عزيز؛ فمصيرهم الغرق لا محالة.

أصدر الله الأمر لنوح بصناعة الفُلك ولم يخبره بموعد الطوفان، ولكن كيف سيصنع نوح سفينةً في الصحراء؛ ومن سيعلّمه صناعة السفن حيث لم يزها من قبل، ثم من أين سيأتي بالأخشاب أو الأشجار في هذا المكان القاحل!

بدأ نوح عليه السلام في صنع الفُلك بأعين الله ووحيه(489)؛ فأعين الله هي التي حرست الفُلك حتى لا يفسده أحدًا أو يعبث به العابثون، أما وحي الله فهو «جبريل» عليه السلام الذي علّم نوح حرفة صناعة السفن لأول مرة وأهداه إلى أدواتها، وقال الشيخ «متولي الشعراوي» بأن مصدر الأخشاب التي بنى بها نوح الفُلك كان من خلال شجرةٍ قد زرعها نوح قبل مئات السنين بأمرٍ من الله العليم دون أن يخبره وقتها بالغرض من ذلك، وقال تلك الشجرة عاشت طيلة عمر دعوة نوح، وبسبب طول المدة كانت قد تضخمت جدًّا، وبما أن جذع الشجرة ينمو دائريًا بمقدار دائرة كل عام؛ فاذا قطعت الشجرة فستجد أن قُطر الجذع نفسه مقسّمًا لدوائر؛ وكل دائرة تمثل عامًا من عمرها؛ فما بالك بمئاتٍ من السنين، وبهذا الشكل ربما تكون هذه الشجرة العملاقة وحدها هي التي تكفلت ببناء هذه السفينة الضخمة كلها والله أعلم... كما أن بعض المفسرين لهم رأي آخر بأن نوحًا ظلّ مائة عام يغرس الأشجار ويقطعها، ومائة

سنة يصنع الفُلك... بينما قال آخرون أن نوحًا زرع الشجر أربعين سنة وجففه أربعين سنة(488)، وكل هذه الآراء من الإسرائيليات باعتراف المؤرخين المسلمين الذين تناقلوها، نظرًا لعدم وجود نَصٍ واضحٍ لها في القرآن.

مواصفات الفُلك

بدأ نوح في بناء الفُلك، وتشكيل عتاده من الخشب والحديد والقار الذي عُرف منذ قديم الأزل في طلاء السفن للوقاية من تسلُل الماء، وظل مجتهدًا في بنائه ولا يخاطب أحدًا، وكان يمر عليه المشركون فيسخرون منه ويتهكّمون عليه حيث أنهم كانوا لا يعرفون الفُلك قبل ذلك، ولكن ما هو ظاهر أمامهم أنها أعمال نجارة؛ فقالوا له ساخرين: يا نوح كنت نبيًا والآن صرت نجارًا، ما كذبنا عندما قلنا عنك مجنونًا يا نوح(487)، فقال لهم نوح: إن تسخروا منا فنحن أيضًا نسخر منكم، وسوف تعلمون مستقبلًا من سيأتيه عذابٌ يخزيه(486)، وعندما اتضح لهم أنه يصنع سفينة زاد تعجبهم وسخريتهم من صنع سفينةٍ في الصحراء.

كان نوح يصنع الفلك بمهارة شديدة وكأنه نجار محترف، وعلّمه الله تقطيع الألواح وضمها بالتوازي، وشدها بأربطةٍ ودُسُر(485) كما نصنع الآن البراميل الخشبية، وكانت سفينة نوح ذات مسالك أو مساكن أو غرف كما جاء وصفها في القرآن الكريم، حيث قسّم نوح الفلك إلى ثلاث طبقات، ليجعل السفلى للدواب والوحوش، والوسطى للناس، والعليا للطيور، وجعل بابها في عرضها، ونقل بعض العلماء المسلمين ما ذكرته التوراة بأن الله أمره بجعل طولها ثلاثمئة ذراعًا وعرضها خمسين ذراعًا، وارتفاعها في السماء ثلاثين ذراعًا، واستمدّ علماء الإسلام هذا التدوين نسبةً لما تمّ ذِكره في سفر التكوين(484)، وقِيلَ كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع(483)؛ وأن نوحًا صنع السفينة في سنتين فقط؛ وقيلَ غير ذلك، ولم يرد عن ذلك في الإسلام من خبرٍ، لكنها كلها منقولة عن أهل الكتاب كما يشير بذلك الناقلون(482).

علامة الانطلاق

انتهى نبي الله من صنع السفينة، وأوحى له الله أن هناك علامة إذا ظهرت فاركب أنت والذين آمنوا معك الفلك، وتلك العلامة هي فوران «التنور»، والتنور هو الفرن؛ والعلامة هي أن يفور الماء من نار الفرن في حدثٍ إعجازي حتى تكون الآية واضحة، بينما فسّر مفسرون آخرون أن فوران التنور يعني انفجار الماء من وجه الأرض، أو كما تفعل البراكين التي تُخرج

البخار المغلي بفورانٍ سريعٍ يتحول مباشرةً إلى ماءٍ أو مطرٍ شديدٍ، وعدة آراء تفسيرية أخرى، من بينهم رأي يقول إنه تنوير الصبح ولكن الأول أكثرهم صحة طبقًا للطائفة المعتقده به(481).

بالفعل وقعت العلامة وعرفَ نوح أن لحظة الحسم قد حانت، وأمره الله أنْ احمل في السفينة من كل نوع من الحيوانات زوجين اثنين وأهلك؛ والمقصود بأهلك أهلية النسب وأهلية الإيمان أيضًا؛ أي كل من اتبعوك وآمنوا؛ تاركًا كلَّ مَن سبق عليهم القول ممن لم يؤمنوا بالله؛ بما فيهم ابنك وامرأتك اللذان عارضا دعوتك.

وما آمن مع نوحٍ إلا قليل برغم طول المدة والمُقام؛ فورد في كتب المفسرين أنه لم يؤمن مع نوح إلا ثمانون نفسًا، وقيل مجموع الثمانين يشمل نوحًا في العدد؛ وهم نوح وزوجته (يُقصد المؤمنة)(480) وأولاده الثلاثة «سام وحام ويافث» وزوجاتهم الثلاثة، بالإضافة إلى اثنين وسبعين نفسًا ممن اتبعوه، وهذا العدد هو ما تم التوافق عليه من بين مجموعة آراء أخرى.(479)

كيف ستركب الوحوش السفينة؟

بدأ نوح في حَمل زوجين من كل ما توفر لديه من حيوانات وبهائم وطيور من أجل بناء حياة جديدة بعد الطوفان، ولكن تبقى هناك معضلةٌ واحدةٌ هي التي أبقتهم منتظرين حتى الآن؛ وهي كيف سيصطحبون الوحوش لامتطاء السفينة!

الجميع يفكر في حلٍّ حتى يتثنى لهم إغلاق باب السفينة، وقد تكهن بعض المفسرين أن حيلة اصطحاب الوحوش حدثت بتسهيلٍ من الخالق، فقد ذكرَ بعضهم أن نوحًا لم يكن مطالبًا بفعل غير المتاح، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها؛ فلم يُطلب منه أن يجوب العالم كله بحثًا عن الأجناس الحيوانية؛ فكلٌّ بأمرِ الله وإلهامه؛ فما كان عليه إلا أن يجمع زوجين من كل حيوان أو طائر أو حتى وحش من المتاح في بقعته، وقد رُوي في بيان كيفية الجمع بين أنواع الحيوان التي لا تجتمع عادة في مكان واحد روايات موقوفة وآثار مقطوعة لا داعي لذِكرها لأنها دون دليلٍ، وهذا كله قصص لا يصح إلا لو استند، والله أعلم كيف كان(478).

وجاء في الروايات عن ابن مسعود أنه قال: «لم يستطع نوحٌ عليه السلام أن يحمل الأسد حتى ألقيت عليه الحمى، وذلك أن نوحًا عليه السلام قال: يا رب، فمِن أين أطعم الأسد إذا حملته؟ قال تعالى: فسوف أشغله عن الطعام فسلط الله تعالى عليه الحمى»، وقال العلماء المسلمون أن أمثال هذه الكلمات من الأولى تركها، فإن حاجة الفيل إلى الطعام أكثر وليس به

حمى(477).

وهناك روايات أخرى منها أن منذ بداية أهوال الطوفان نزل المطر الغزير أول شيء دون أن يُغلَق باب السفينة؛ حيث هطلت الأمطار من السماء كأفواه القِرَبِ، مطرًا منهمرًا لم تعهده الأرض من قبل؛ فتفاجأوا بالوحوش يهلعن وسط الأرض هربًا من الماء؛ وبأمرٍ من الله اجتمع الكثير منهم حول السفينة، فحينئذٍ حمل فيها نوح من كل زوجين اثنين وأغلق بابه.

وآراء أخرى عديدة والله أعلم، ولكن ما اجتمع عليه العلماء أن الأمر من أوله إلى آخره إعجازيٌّ، فمَنْ سخَّر طوفانًا وبدَّل الأرض لن يعجزه السيطرة على الوحوش وهدايتهم، على حد تفسيراتهم.

بداية الرحلة

بعد هطول الأمطار من السماء أمرَ الله الأرض فنبعت المياه من جميع فِجاجها وسائر أرجائها(476)... ووقتها أغلق باب السفينة بعد تنفيذهم لأمر الله بركوبها، وبدأت الرحلة(475)، ونظر نوح فوجد المشركين يهرولون من هول الفاجعة، ثم رأى نوح ابنه يقف في معزل فناداه: يا بني، تعالَ اركب معنا، فردَّ عليه في إصرارٍ على الشرك قائلًا: سآوي إلى جبلٍ عالٍ يعصمني من الماء، فحزن نوح وأخبره بأن العذاب قادمٌ ولا عاصم من أمرِ الله، وحال بينهما الموج بإرادة الله ورحمته حتى لا يرى الأب ابنه وهو يغرق ويتألم، وهذا عطفٌ من الله على قلب نبيه الأب.(474)

وفسَّر علماء المسلمين أن الطوفان كان لهؤلاء عذابٌ مقيمٌ ليس مجرد مياه تغمر سطح الأرض فيغرقون ويموتون، ولكن هناك كناية عن العذاب بالاختناق أثناء محاولاتهم النجاة ومقاومة الأمواج؛ أو كما يقال الموت بالبطيء.(473)

بدأت رحلة السفينة من الماضي إلى المستقبل، وبدأت أهوال «الطوفان العظيم».

* * *

الفصل الثاني

الطـوفـان

ما بين (الدين - والعلم - والأسطورة)

حتمًا لكل بدايةٍ نهاية، ولكل شيءٍ قيامته، ولكلٍّ واحدٍ منا نهايةٌ خاصة، ولنا كافةً نهايةٌ جامعة، ولكوكبنا المظلوم نهايةٌ محتومةٌ بعد كل هذا الظلم الذي يشهده من عتوٍ للإنسان في الأرض وفسادًا، فبالطبع هو أكثرنا معاناةً، ربما لسوء عاقبته الآن؛ أو حتى مستقبلًا، وربما لأنه عاش نهايةً أولى لم يعشها الخلق الحديث، فالكون الآن ليس كما كان عليه من قبل، فلقد تبدّل هذا العالم بعالم آخر دون سابق إنذار، وشهدت الكرة الأرضية كارثة تُعدُّ من أضخم كوارث الكون منذ بداية الخليقة... عالمٌ قديم اختفى في ظروفٍ غامضةٍ، ولم يبقَ غير القليل من آثاره الصامدة عبر آلاف السنين، في واحدة من أعظم الكوارث الكونية بلا منازع.

١- الكارثة الكونية (الطوفان العظيم)

اهتزت الأرض اهتزازًا مريبًا وعنيفًا، ومالت ميلًا عظيمًا، وكأن يدًا عظمى هي التي جزّفتها عن محورها، رعدٌ وبرقٌ لم تشهد مثله المعمورة، ثم قُذفت شلالات من السماء فأخفت معالمها، وبعدها بدأ الغلاف الجوي الأرضي في الاختفاء، ثم انفلقت القشرة الأرضية بسبب الضغوط التي أنهكتها، وبسبب هذا الضغط والتصدُّع تحررت الأحواض المائية تحت الأرض بسرعة رهيبة، وانفجرت وفجّرت الأرض عيونًا والتقى الماء، وحجب البخار الرؤية في كل مكان.

الكل يفقد دوره...

بعدها انطلقت محتويات الأحواض المائية إلى السماء نحو أقصى مدىً للغلاف الجوي، ثم عادت إلى الأرض بشكلٍ انزلاقي مريب ومهيب، على صورة أمطار بل شلالات تغطي الكوكب كلَّه، ثم زاد منسوبُ المياه عن سطح الأرض، فبدأت التفجيرات البركانية العملاقة في تدمير الأرض بالكامل - على حدّ رأي عمومية الطوفان - فانزلقت وانجرفت قِطَعٌ من اليابسة حاملة سكان الأرض نحو البحر مع إحداث هزةٍ مرعبةٍ عند قذف كل قطعةٍ وانجرافها في الماء(472).

كل شيء يعلم دوره، وكأنه عقابٌ مبين.

لم تحتمل الأرض ما أصابها من سوء، فتبعثرت وتمخمضت، وانتابها اضطرابٌ شاملٌ، وتبعثُرها محا معالمها، فاختلطت القارات بالبحار.

ثم جاءت الموجة الأخرى من الكارثة، والتي خلفتها تلك التغييرات، فهذه التغييرات قد ساعدت على اندفاع موجات المد، مما ساهم في وجود إعصار مدمر بلغ ارتفاعه ٦٠٠٠ قدم! (471).



(لوحة تخيلية لطوفان نوح بريشة فرانسيس دا)

زحف الإعصار وكأنه يبتلع ما تبقى، وحينها جاء دور تفاعل الحمم البركانية والغازات الخانقة والسامة، للقضاء على ما تبقى من شكل الحياة على الأرض، لتعلن الأرض استسلامها في سيناريو متقن ومرتَّب بإحكام.

كانت سفينتهم جارية تعبيرًا عن جريانها فوق الماء بشكلٍ سريع... وقال قتادة: إن الله قد أرسل المطر أربعين يومًا، وقال آخرون إنهم ركبوا في السفينة في اليوم العاشر من شهر رجب، وأبحروا بها لمدة مائة وخمسين ليلة ثم توقفت بهم على جبل «الجودي» شهرًا كاملًا، وقال آخرون: إن نوح ومَن آمنوا معه ركبوا السفينة لمدة عشر ليال منذ نهاية شهر رجب وخرجوا منها يوم عاشوراء من المحرم (470)، وأقوالًا أخرى لا فرق بين ذكرها أو لا، مأخوذة من أهل الكتاب باعتراف المؤرخين المسلمين، لأنه لم يَرِد في ذلك خبر في القرآن أو السُّنة النبوية.

وقال المفسرون أيضًا نقلًا عن أهل الكتاب: إنه قد ارتفع الماء على أعلى جبل في الأرض قيل: خمس عشرة ذراعًا، وقيل ثمانين والله أعلم، وقد عم جميع الأرض سهلها وحزنها وجبالها وقِفارها، فلَم يبق على وجه الأرض أي شخص لم يعبد الله - على حدِّ تفسير علماء الأديان الثلاثة - وقالوا إن السفينة قد طافت بالأرض كلها دون استقرار حتى أتت الحرم فدارت حوله أسبوعًا، ثم ذهبت في الأرض تسير بهم حتى انتهت إلى جبل الجودي(469) فاستقرت عليه (468)، وقيل إن نوح قد حمل جسد آدم عليه السلام معه على السفينة.

ويذكر - القرآن - أن رحلة السفينة توقفت بعدما غاض الماء ونقص، وظهر ضوء الشمس بعد غيابٍ طويل؛ فهبط نوح ومن معه من السفينة التي استقرت بعد سيرها وبدأوا حياةً جديدةً، ولحكمةٍ لا يعلمها إلا الخالق انقرض نسل أهل السفينة ما عدا أولاد نوح الثلاثة، فيعتقد - علماء الأديان الثلاثة - أن الناس كلهم من أولاد نوح، ولم يُجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلٌ ولا عقب، حيث جعل الله ذُريَّة نوح وأولاده هُم الباقين(466)، فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم يُنسبون إلى أولاد نوح الثلاثة، «سام» و«حام» و«يافث»(465)، وبعد بداية الحياة الجديدة، جعل الله السفينة باقية لتكون آيةً للناس. (464)

نهاية الرحلة

لم يوضح القرآن الكريم المكان الذي حدث فيه الطوفان بالضبط، ولا حتى المكان الذي سكن فيه الناجون من السفينة بعد واقعة الطوفان، فترك المجال للعلماء والباحثين في الاجتهاد والبحث عن المكان، فمنهم من اجتهد وبحث في الأمر بشكلٍ علميٍ خاضع لمعايير البحث - وآخرون نقلوا بشكلٍ مليء بالخِداج - ومنهم من تأثر بالروايات والأساطير- ومنهم من نقل بشكلٍ حرفي عن كَتبة أهل الكتاب.

وورد أن الله عز وجل أنزل وحيه إلى نبيه نوح عليه السلام ليطمئنه بأن الطوفان لن يُعاد على الأرض مجددًا، وأن يُعمر الحياة الجديدة ويعلمهم تعاليم السماء على الحق والإسلام(463).

٢- قصة الطوفان في التوراة

يذكر سِفر التكوين في العهد القديم بأن «نوح بن لامك» شرع في بناء السفينة وعمره ستمائة عام، ثم عاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين عامًا بعد الطوفان، ولكن عندما تبحث عن القصة بتمعُّن في المخطوطات التوراتية ستجد نفسك في تخبُّط واضح، ربما سببه أن تلك المخطوطات تم تجميعُها بعد قرون من نزول الألواح على «موسى» عليه السلام، حيث تم تدوينُها تقريبًا في القرن الخامس قبل الميلادي؛ فهناك مخطوطاتٌ تم تجميعها تصوِّر لك نوحًا على أنه كان أوَّل فلاحٍ على وجه الأرض، وكان سِكِّيرًا وأول صانعٍ للنبيذ، بينما هناك مخطوطاتٌ أخرى تُصوِّر لنا نوحًا بأنه كان رجلًا صالحًا اختاره الله ليخلص البشرية من الدمار، والسبب في هذا التناقض بين المخطوطات هو ربما وقوع خطأ أثناء تجميع الروايات ونقلها.

وإذا نظرنا لجميع أسفار «موسى» عليه السلام الخمسة فسنجدها قد شرحت قصة نوح والطوفان بشكلٍ مُفصَّل وكاملٍ، بل وقطعت بأن الطوفان كان عالميًا، وبسببه مات كل من كان على الأرض؛ بما فيها من بشر وكائنات حية وحرث ونسل، ولم ينجُ منه إلا من ركب السفينة، وجاء ذلك في «تكوين ٦ العهد القديم»(462).(461).(460)، وفي «تكوين ٧ العهد القديم»(459).(458)، نجد التوضيح بأن كل الأرواح من أناسٍ وطيورٍ وحيواناتٍ حتى الزواحف قد ماتت، وأن كل مَن كان يتنفس قد مات، ومحا الله كلَّ قائمٍ على وجه الأرض، وتبقى نوح والذين معه في الفُلك فقط(457)، ونقلت التوراة أن الطوفان قد عمَّ كل الأرض وقد علا على الجبال بخمس عشرة ذراعًا كما ذكرنا، وبعد ما غرق كلُّ من كان على وجه الأرض، بدأت الحياة من جديد على الأرض الجديدة بنزول نوح وأبنائه، وبنزول الحيوانات والطيور الأخرى التي كانت على متن السفينة.

٣ - قصة الطوفان في الإنجيل

أما العهد الجديد من الكتاب المقدس؛ فقد وضّح لنا أن نوحًا شخصيةً صالحةً، وكان قريبًا ومطيعًا للخالق، وقد اعتبره «إنجيل مرقس»(456) في منزلة سيدنا «إبراهيم» وسيدنا «يعقوب» عليهما السلام، ووردت قصة «نوح» عليه السلام في الكتابات المسيحية بشكلٍ موسع؛ والتي كُتبت في القرن الثالث بعد الميلاد من قبل «أوريليس أوغسطين»، واعتبره المسيحيون قدوةً عليا لرجل صالح وصابر، وقد شبهوا الكنيسة بسفينة نوح ككناية ترمز إلى أنها السبيل الوحيد لنجاة المؤمنين.

لم يحدّد الكتاب المقدس الفترة التي استغرقها نوح في بناء الفُلك، ولكن حاوَل المفسّرون تتبُّع الأمر حيث تم ذِكر نوح لأول مرة في «تكوين ٥: ٣٢» وكان عمره خمسمائة عام(455)، وعندما دخل الفُلك كان عمره ستمائة عام، وقالوا إن الوقت الذي استغرقه في بناء الفُلك يعتمد على مقدار الفترة الزمنية بين «تكوين ٥: ٣٢» والوقت الذي أمرَ فيه الله نوحًا ببناء الفُلك في «تكوين ٦: ١٤»(454)، وربما يكون ذلك بأقصى تقدير ١٠٠ عام.

وذكرَ الكتاب المقدّس أنّ نوحًا دخل الفُلك في اليوم السابع من الشهر الثاني كما هو مُوضّح في «تكوين ٧»(453)، وغادر الفُلك في اليوم السابع والعشرين من الشهر الثاني في العام التالي كما هو مُوضّح في «تكوين ٨»(452)، وبهذا التقدير تم التفسير بأن نوح ربما استمرّ على الفُلك ما يعادل ٣٧٠ يومًا، نسبةً لما هو مذكور في الكتاب المقدس.

ويَذكُر الكتاب المقدس أن نوحًا أخذ معه على الفلك من كلّ نوعٍ سبعة أزواج من الحيوانات الطاهرة القابلة للذبح، حتى يمكن تقديم ذبائح بعد نهاية الطوفان دون تعريض الفصائل لخطر الانقراض، وكذلك أخذ سبعةً من الطيور، وأخذ زوجين فقط لِما دونَ ذلك كما هو واردٌ في «تكوين ٦»(451) و«تكوين ٧»(450)، وذكر الكتاب المقدس أن عدد المؤمنين مع نوح كانوا ثمانين شخصًا نسبةً لما جاء ذِكره في «سفر التكوين الإصحاحات ٦ - ٨»، ولم يذكر الكتاب المقدس اسم زوجة نوح بشكلٍ واضح، ولكن يعتقد البعض من تفسير «تكوين ٤» أنه ربما يكون اسمها نعمة كما سبق وذكرنا (449).

٤ - قصة الطوفان في المعتقدات المختلفة

تكررت تلك القصة في معتقداتٍ أخرى ولكن باختلاف المواضع والأسماء، منهم من رأى قصة نوح قصة رمزية كـ«البهائيين» الذين يرون أن نوح والسفينة والطوفان مجرد قصة رمزية، وكذلك أتباعه الذين ركبوا السفينة كانوا رمزيين وكانت أرواحهم فقط على قيد الحياة، وأما من ماتوا فقد ماتوا أيضًا روحيًا، وكذلك رأوا أن نوح ركب معه اثنان وسبعون نفسًا رمزيين، وأنه كذلك دعا قومه تسعمائة وخمسين سنة رمزية (448)، (447)،(446).

أما في ديانة «الصابئة المندائيون»، فنوح عندهم هو النبي «نو»، وقد وردَ بشكلٍ مفصل في كتاب ديانتهم المسمى بـ «الكنز العظيم»، علاوة على أنهم حتى يومنا هذا يحيون مناسبة تُعدّ هي الأعظم عندهم، وهي مناسبة «أبو الهريس»، وعندهم معتقدان لهذه المناسبة - فمنهم من يعتقد أن هذه المناسبة هي ذكرى وفاة أجدادهم الأوائل الجماعية في الطوفان العظيم أو ما يعرف بطوفان «نو» - ومنهم مَن له اعتقاد آخر أنها ذكرى الإبادة الجماعية للثلاثمائة والخمسة والستين ترميذي الذين قتلهم اليهود في أورشليم القدس.

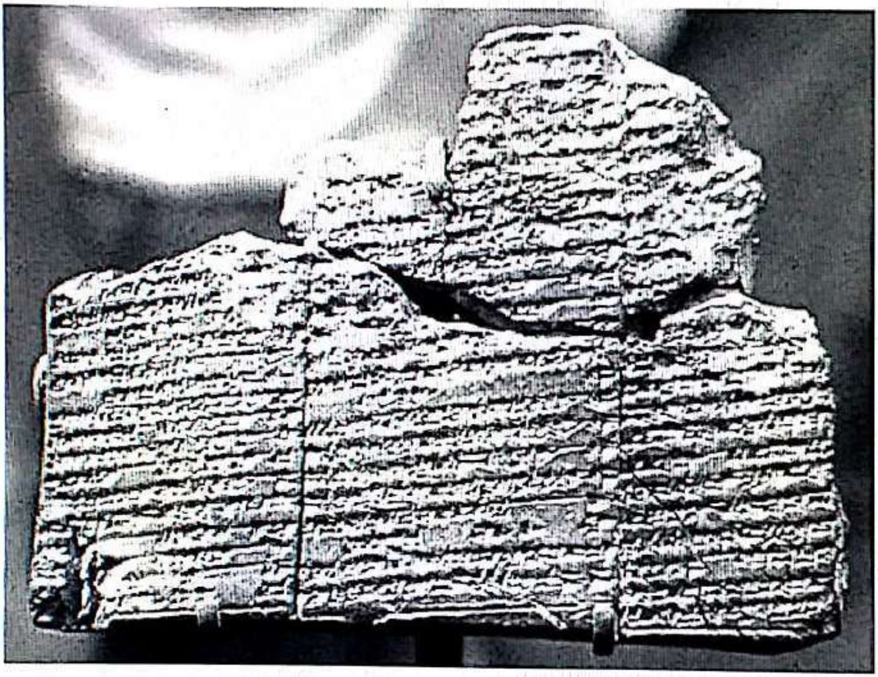
أما تسمية هذا اليوم بأبو الهريس جاء من معتقدهم الأول بأنّ نوحًا وابنه سام قاما بعمل طعام غفران الخطايا الوفاني، على أرواح الذي ماتوا في الطوفان، وكان طعام الغفران على حد وصفهم يتكوّن من سبع حبوب تمثل أيام الأسبوع السبعة، ومن هرس هذه الحبوب السبع جاءت تسمية أبو الهريس(445).

هذا على سبيل المثال لا الحصر، فقد تكررت قصة نوح والطوفان في عشرات المعتقدات الأخرى بمسميات ومواضع مختلفة.

٥ - قصة الطوفان في أساطير الشعوب القديمة

وردت قصص كثيرة جدًا تشبه قصة نوح عليه السلام، عن رجل ينجو بالصالحين من طوفان جبار بسفينة قد قام بصنعها، ولعلَّ مِن أقدم هذه الحضارات:

في الحضارة السومرية



(صورة لاقدم نسخة لاسطورة الخلق السومري)

بداية هذا النّص السومري الذي يحكي قصة الطوفان غير واضحة ومنتقصة، ولكن ظهر من مفاد مُجمَل النّص، أن الآلهة قررت إغراق البشر بطوفانٍ عظيمٍ والقضاء على النسل البشري وإبادته كلّيًا، ولكن بعد أخذ القرار تشاورت الآلهة فيما بينهم ليصوتوا على هذا القرار، حينما كانوا مجتمعين في حضرة أبو الآلهة «آنو» ومعه «إنليل» كبير المجمع الإلهي، اللذان أقرّا الحكم في محاولة من باقي الآلهة لعدولهما عنه.

وقفت إله الحب والخصوبة «إنانا»، لتنوح وتبكي على فناء البشر، وكذلك بكت الأم الكبرى «ننتو»، ومعها «إنكي» إله الحكمة، وبعد وقتٍ من التوسّلات استطاعوا جميعًا إقناع أبو الآلهة بالرجوع عن الحكم، فتراجع وقرّر أن ينقذ البشرية، وقتها وقعَ الاختيار على رجل صالح

اسمه «زيو سودرا» كان مقرّبًا من الآلهة وقائمًا على المعابد ودائمًا لتقديم القرابين، وكان حاكمًا عادلًا على مدينة «شوريباك» - أهم مدن سومر (العراق حاليًا)، فأوحى له الإله «إنكي» في منامه، وأمره بأن يقف عند جدار وأن يسمع إنكي من ورائه يقول له: «سأقول كلامًا فاتبع كلامي، أعطِ أذنًا صاغية لوصاياي، إنًا مُرسلون طوفانًا من المطر فيقضي على بني الإنسان، ذلك حكم وقضاء من مجمع الآلهة، أمر آنو وإنليل أن نضع حدًا لملكوت البشر».

أمر هذا الرجل الصالح ببناء سفينة وجمع زوجين من الطيور والحيوانات، وفعل ذلك، حتى نجا هو والصالحون من هذا الطوفان، وتمّ وصف هذا الطوفان في هذا النّص بأنه استمر لسبع ليالٍ، وأن الصالحين سبَحُوا بسفينتهم على الماء بأمان، وعندما انتهى الطوفان نظر «زيو سودرا» من نافذة السفينة ليرى ضوء «أوتو» إله الشمس الأعظم ليعطيه أملًا ويمنحه الطمأنينة، فقابله «زيوسودرا» بالسجود، وقدّم أضحية من الغنم وأضحية ثور، ثم استكملت الملحمة بنزول أبو الإلهة «آنو» ومساعده «إنليل» ليمنحا عطفهما إلى هذا الرجل الصالح، وعندما رآهما سجد لهما، فقررا منحه الحياة الأبدية، واصطفوه هو ومَن معه للعيش في «أرض دلمون» (البحرين حاليًا) التي كانت تعتبر جنة الأرض السومرية،(444)،(443)، (442)- هذا ما يُسمّى بنص الطوفان السومري.

في الحضارة البابلية

بالبحث في سجلات الحضارة البابلية ستجدها تركت ثلاث روايات عن الطوفان، وأقدمهم:

الرواية الأولى - «الملحمة المفقودة»

وهي نَصّ غير مكتمل وغير موضح، ولا يُفهم منه شيء سوى أن طوفانًا عظيمًا سوف يحدث.

الرواية الثانية - «ملحمة أتراحاسس»

وقد كُتبت في القرن الثامن عشر قبل الميلاد بعدة روايات على ألواح طينية، تحمل الملحمة اسم بطلها «أتراحاسس»، ومعناه «شديد الحكمة»، وتحتوي هذه الألواح على شرح قصة أسطورة الخلق وقصة الطوفان.

وتحكي القصة أن «أتراحاسس» كان مَلِكًا من الملوك السومريين، وكان يحكم «شوروباك» في أزمنة ما قبل الطوفان، ويحتوي اللوح الأول من هذه الملحمة على أسطورة الخَلْق التي تدور حول الآلهة السومرية «آنو» و«إنليل» و«إنكي»، (في تشابه محدود مع الملحمة السومرية الأولى).

ويذكر اللوح في مقدمته عبارة تقول: «عندما كان الآلهة مثل البشر» اقترع الآلهة، فكان من نصيب «آنو» حكم السماء، و«إنليل» الأرض، و«إنكي» البحار العذبة، قام «إنليل» بتعيين آلهةً صغيرة لتتحمل عبء الزراعة وكذلك تنظيف الأنهار والقنوات، وبعد مرور أربعين سنة اتحدت هذه الآلهة الصغيرة وتجمعت وتمرّدت ورفضت أن تقوم بهذا العمل الشاق، وقتها لم يعاقبهم الإله «إنكي»، بل اقترح خلق الإنسان ليقوم بهذا العبء بدلًا منهم».

سلّمت الإلهة الأم «مامي» مهمة خلق البشر من خلال تشكيل تماثيل طينية مخلوطة بلحم الإله «غيشتو إي» ودمه بعد أن قُتلَ، ثم بصق الآلهة واحدًا واحدًا على الطين، وبعد عشرة شهور، انفتح رحم مخلوق لهذا الشأن وؤلدَ البشر... وبمتابعة ترجمة اللوح الأول ستجده انتقل إلى الحديث عن أساطير بخصوص النمو السكاني والأوبئة، ثم يُشار إلى «أتراحاسس» في نهاية اللوح.(441)

أما اللوح الثاني فيتضح من ترجمته أن بدايته تحكي عن الكثافة السكانية وزيادة أعداد البشر، ويصف إرسال الإله «إنليل» كل ١٢٠٠ عام موجه قاسية من الجفاف والجوع، هدفها غربلة البشر وتقليل أعدادهم، ويتضح من هذا اللوح أن الإله «إنليل» قاس جدًا وله نزوات وهفوات، أما الإله «إنكي» فيظهر بشكل حنون وحكيم، ويعتقد الباحثون أن سبب نعت «إنكي» بالطيبة والحنان الظاهرين في النص أن كهنته هم الذين قاموا بكتابة الملحمة بمجاملة واضحة له... باقي هذا اللوح مشوّه لم يتضح منه شيء آخر، وفي نهايته نجد قرارًا بأن «إنليل» سينهي البشرية بطوفان وإلزام «إنكي» بقسم أن يبقي هذه الخطة سرية بينهما. (440)، (439).

أما اللوح الثالث من «ملحمة أتراحاسس» فهو يحتوي على قصة الطوفان، ويُعتقد أنه الجزء الذي اقتبس منه اللوح الرابع من «ملحمة جلجامش» التي سنرويها لاحقًا(438)، ويروي هذا اللوح تحذير الإله «إنكي» إلى «أتراحاسس» حاكم شوروباك، من طوفانٍ عظيم عندما خاطبه من خلال جدارٍ قصبي، ثم أمره بتفكيك منزله، ليُخلِي الساحة من أجل بناء سفينة عملاقة، حتى يمتطيها ليتمكن من النجاة من طوفان «إنليل» الذي سيقوم به من أجل إفناء البشرية.

بنى «أتراحاسس» سفينة لها سقف تشبه «عالم أبسو»(437)، وكان تصميمها عبارة عن طابق علوي وطابق سفلي، وتبحر باستعمال القار، ويحكي اللوح أن بعد اكتمال السفينة صعد إليها «أتراحاسس» مع عائلته ومع الحيوانات وأغلق الباب عليهم، ثم بدأ الطوفان الذي صحبه الكثير من الرياح والعواصف، واهتز الجميع من جبروته بما فيهم الآلهة، ومع القراءة والوصول إلى السطور سبعة - وثمانية - وتسعة، من هذا اللوح يظهر بوضوح كلمتا «النهر»

و«ضفة النهر»، ويرى الباحثون أن المقصود بهما «نهر الفرات»، لأن الباحثين قد توصلوا إلى أن «أتراحاسس» كان ملكًا لشوروباك كما ذكرنا، والتي كانت قابعة على ضفة نهر الفرات.

بعد مرور سبعة أيام من الطوفان العنيف، ينجو «أتراحاسس» ومَن معه على السفينة، ثم يُقدِّم قرابين للآلهة، وقتها لم يستطع أبو الإلهة «إنليل» أن يكتم غضبه على «إنكي» لأنه نقض عهده وأفشى بالسر إلى «أتراحاسس»، وخلال مواجهة حادة وقعت بينهما يُنكر «إنكي» أنه نقض عهده وجادل قائلًا: «لقد ضمنت استمرار الحياة»، وبعد النقاش بينهما يتراجع «إنليل» عن غضبه، ويتفق مع «إنكي» على البحث عن بدائل وخطط أخرى تمكنهم من السيطرة على تعداد البشر.(436)

الرواية الثالثة - «ملحمة جلجامش»



(صورة لأحد ألواح ملحمة جلجامش)

وفيها نجد أن الرجل الصالح الخاص بأسطورتهم اسمه «أوتنابشتم»، وهذا اختلاف في الاسم برغم أن الأسطورة البابلية وُلدت من رحم الأسطورة السومرية التي ذكرناها وتناقلت من خلالها!، وكذلك يُعتقد أنها اقتبست بعض حبكتها من «ملحمة أتراحاسس» السابقة.

و«ملحمة جلجامش» عبارة عن ملحمة مكتوبة بشكل قصائدي، وهي واحدة من أعظم الأعمال الأدبية القديمة في بلاد الرافدين، وتحل في المرتبة الثانية من حيث الأعمال القديمة الباقية بعد «نصوص الأهرام الدينية»، وتبدأ هذه الملحمة بخمسة قصائد عن ملك الوركاء «جلجامش»، ويعود تاريخ هذه القصائد إلى عصر سلالة «أور الثالثة».

تحكي القصة في قسمها الأول عن جلجامش ملك أورك - الوركاء، أنه كان ابنًا لأب من البشر وأم من الآلهة، ومن أجل ذلك يقال بأن نصفه مقدّس والنصف الآخر بشريّ، وبسبب خوفه من نصفه الفاني كان يبحث دائمًا عن الحياة الأبدية، وتوضّح الملحمة أن «جلجامش» كان ملكًا غير محبوبٍ من قِبل شعبه، حيث تُنسب له ممارسات سيئة منها ممارسة تسخير الناس في بناء سور ضخم حول «أورك» العظيمة بالقوة، لذلك كان يتضرع سكان أورك للإلهة ويصلون لهم من أجل إغاثتهم من نار «جلجامش»، فاستجابت لهم الآلهة، وتطوعت الإلهة «أرورو» بخلق رجل من طين اسمه «أنكيدو» للنيل من «جلجامش».

كان «إنكيدو» المخلوق الحديث قويًا وجامحًا، وكان يصول ويجول لإنقاذ المخلوقات من الشرور، وكان يحرر الحيوانات من شباك الصيادين، فتقدّم الصيادون بشكوى إلى الملك «جلجامش»، وبدوره أمر إحدى خادمات المعبد بالذهاب ومحاولة إغراء «أنكيدو» ليمارس الجنس معها حتى يتأنسن ويصبح شخصًا عاديًا ويتوقف عن إنقاذ المخلوقات، وبهذا تبتعد الحيوانات عن مصاحبته بعدما يصبح إنسانًا مدنيًا. وبالفعل أغوته الخادمة التي كانت تُدعى «شمخات» فمارَس الجنس معها، ثم بعد ذلك علّمته الحياة الإنسانية، كاللبس والطعام وشُرب النبيذ، وحاولت إرهابه وتخويفه بقوة «جلجامش»، وكيف أنّه يدخل بالعروسات قبل أزواجهن، ولما سمعها «أنكيدو» استاء من هذا الفعل، وقرّر أن يذهب إليه ويتحداه ليجبره على ترك هذه العادة السيئة وظُلم العروسات.

انطلق «إنكيدو» إلى مقر عرش مملكة الوركاء، ووقف هناك وطلب تحدّي «جلجامش» في منازلة تُبرز قوة أحدهما، واقتتل الطرفان بشراسة حيث كانت قوتهما متقاربتين، وفي نهاية التشابك ربح «جلجامش»، واعترف «أنكيدو» بقوته، وبعد هذه الحادثة تصافا وتحابا، وأصبح الاثنان صديقين حميمين، وانطلقا معًا في رحلة ستدوم لستة أيام في غابة الأرز السحرية التي كانت تعتبر مقرًا مقدسًا للآلهة، وكان «جلجامش» يريد دائمًا أن يذكره التاريخ، فقرر إحداث عمل عنتري، ومن ثم قرر قطع جميع أشجار الغابة المقدسة، وحول هذا القرار خطط الصديقان سويًا للفكرة التي ستبدأ بقتل الحارس الوحشي المخيف الذي كان يُدعى «خومبابا الرهيب»، وبالفعل قاما بقطع شجرة الأرز المقدسة برعونة وتحدٍّ.

بعد مصرع حارس الغابة الوحش الرهيب بدأ اسم «جلجامش» ينتشر كبطل جبار، فحاولت

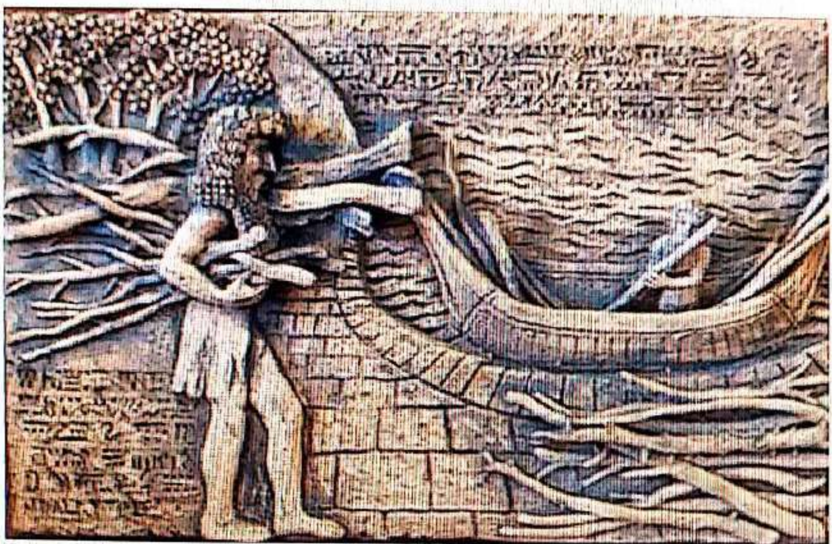
الإلهة «عشتار» التقرب والزواج منه، ولكن «جلجامش» رفض عرض الزواج، لتشعر «عشتار» بالإهانة وتغضب غضبًا شديدًا ثم تطلب من والدها «أنو» إله السماء أن ينتقم لكبريائها، فيقوم «آنو» بإرسال ثور مقدس من السماء، وفور وصوله تمكن «أنكيدو» من الإمساك بقرنه ثم قام «جلجامش» بقتله، وبعد هذه الحادثة عقدت الإلهة اجتماعًا طارئًا للنظر في كيفية معاقبة «جلجامش» و«أنكيدو»، لتقر الآلهة بقتل «أنكيدو» لانه كان قد تأنسن، أما «جلجامش» فسوف ينجو، لأن في عروقه دم الآلهة حيث أن نصفه مقدس، بعدها بدأ المرض المُنزل من الآلهة يصيب «أنكيدو» الصديق الحميم لـ «جلجامش» فيموت بعد فترة، ويحزن «جلجامش» حزنًا شديدًا على صديقه، لدرجة أنه حمل جسده سبعة أيام آبيًا أن يتركه، حتى خرج الدود من أحشائه.

ويحكي القسم الثاني من الملحمة مدى حزن «جلجامش» على فُقدان «إنكيدو»، مما دفعه إلى القيام برحلة طويلة محفوفة بالمخاطر لاكتشاف سِرّ الحياة الأبدية، ولكن لكي يجد «جلجامش» سر الخلود عليه أن يجد الإنسان الوحيد الذي وصل إلى تحقيق الخلود، وهذا الشخص كان اسمه «أوتنابشتم» والذي يعتبره البعض مشابهًا جدًا بل مطابقًا لشخصية «نوح»، وتذكر الملحمة أنه أثناء بحث «جلجامش» عن «أوتنابشتم» قد تفاجأ بوجود الإلهة «سيدوري» إله الخمر والنبيذ، لتطلب منه أن يكف عن هذه الرحلة المتعبة، ثم تنصحه بأن يستمتع بما تبقى من حياته بدلًا من البحث عن الخلود، وأن يُمتع بطنه بأشهى المأكولات، ويمتع جلده بأرقى الثياب، ويحاول أن يكون سعيدًا بما يملك، لكن «جلجامش» رفض النصيحة وأصرّ على استكمال رحلته، ثم ساعدته بعد ذلك الإلهة «سيدوري» ودلّته على موقع «أوتنابشتم»، وأرسلته إلى الطّوّاف «أورشنبي»، ليساعده في عبور «بحر الأموات» ليصل إلى الحكيم «أوتنابشتم» الإنسان الوحيد الذي استطاع بلوغ الخلود.

تقابل «جلجامش» مع «أوتنابشتم»، ثم بدأ الأخير بسرد قصة

«الطوفان العظيم» الذي وقع بأمر الآلهة، وتشرح الملحمة قصة الطوفان في تشابه واضح مع قصة طوفان نوح، وكذلك في تشابه تام مع قصة «زيو سودرا»، وبدأ يقص عليه القصة التي تقول: -

إنه كان يعيش في مدينة «شوريباك»، وفي يوم ما اجتمعت الآلهة بغرض التشاور في كيفية إهلاك البشرية بطوفان غامر، وهبط إله الحكمة «إيا» إلى «أوتنابشتم»، وناداه من وراء جدار وقال له نصًا: «قوّض بيتك وابن سفينة، اهجر ممتلكاتك وانج بنفسك، اترك متاعك وأنقذ حياتك، اعمل على حمل بذرة كل ذي حياة، والسفينة التي أنت بانيها ستكون وفقًا لمقاسات مضبوطة فيكون عرضها معادلًا لطولها».



(أوتنابشتم الصالح يبني سفينته)

بدأ الرجل الصالح في بناء السفينة وحمل فيها من كل كائن حي زوجين، وحمل عليها كل ما يملك من حُلي وحيوانات ودواب، وحمل معه مجموعة من الناس الذين يملكون الحرف، ومجموعة من أهل بيته وأقاربه، وبعدها أمطرت السماء مطرًا ليس له مثيل، ويقول النص: «فتكت المياه بالناس كأنها الحرب، وصار الأخ لا يبصر أخاه، ولا الناس يميزون السماء، وحتى الآلهة ذعروا من عباب الطوفان، فهربوا وعرجوا إلى السماء»، وهنا يوضح النص هول الأجواء، لدرجة أن الآلهة أنفسهم قد أصابهم الخوف والفزع واستدعاهم الموقف لتغطية وجوههم من الصاعقة، ويُذكَر أن الإلهة «عشتار» انهمرت في البكاء والنواح، وأبدَت ندمها الشديد على موافقتها هذا القرار، وصارت الآلهة تنظر إلى ما يجري وهي تغطي وجوهها فزعًا وحزنًا.

يتشابه نَصّ هذه الملحمة مع نَصّ الملحمة السومرية بأن الطوفان استمر لستة أيام وسبع ليالٍ، وبعدما انقضى الطوفان رست السفينة على «جبل نصير» (بالقرب من السليمانية بالعراق حاليًا)، وعندما صفت السماء فتح «أوتنابشتم» النافذة ليدخل شعاع الشمس، ثم سجد للآلهة شكرًا على النجاة، ثم أطلق حمامة فعادت خائبة بعدما عجزت عن وجود مكان تحط عليه، ثم حاول مجددًا إطلاق طائر «السنونو» فعاد خائبًا مثلها، ثم في المرة الثالثة أرسل الغراب فنجحت محاولته بعد ما وجد الأرض قد جفت، فاستقرَّ وأخذ يبحث عن أي جيفة يتناولها، حينها علم «أوتنابشتم» أن الطوفان قد انتهى وأن الأرض شربت ماءها، ففتح أبواب السفينة ونزلت الحيوانات والوحوش والدواب، وقام بإنشاء محرقة وقدم فوقها

قربانًا فعمت الرائحة في كل الأركان، فانجذبوا لها جميعًا والتفّ الجميع حول المحرقة، وحينها رفعت «عشتار» عقدها الشهير الذي صنعه لها «آنو» أبو الآلهة، وقالت إنها لن تنسى هذه الأيام كمثل عدم نسيانها عقدها الحبيب، وكانت هذه إشارة منها توحي بعدم مشاركتها في هذا الأمر مرة أخرى، (تتشابه قصة العقد مع قصة قوس القزح الموجودة في بعض الروايات التوراتية، التي شُبّه بأنه إشارة من الله بعدم تكرار الطوفان على الأرض).

بعد ذلك تجمعت الآلهة وحذروا الإله «إنليل» من المجيء إلى محرقة القربان، لأنّه هو الذي أمر بالطوفان، وقتئذ نظر «إنليل» للوضع غاضبًا بسبب أن بعض الآلهة خالفوه وأنقذوا بعضًا من البشر، ونظر الإله «إيا» إلى الإله «إنليل» ولامه على قراره الجماعي بشدة وقال له:»حمل المخطئ وزر خطيئته، وحمل المعتدي إثم اعتداءه، ولكن إرحم في العقاب، لئلا يهلك، وتشدد فيه لئلا يُمعِن في الشر»، وقتها هدأ الإله «إنليل» وراجع نفسه، ثم تقدّم «أوتنابشتيم» نحوه وسجدَ له، فرضى عنه «إنليل» وباركه هو وزوجته، ومن ثَمَّ منحه الخلود هو وزوجته.

بعد ما أتم «أوتنابشتم» سرد قصته تفاجأ بطلب «جلجامش» وإصراره على معرفة ما هو سر الخلود، فعرضَ عليه شرطًا إن نفّذه سيكون خالدًا، ويتمثل هذا الشرط في بقاء «جلجامش» مستيقظًا لمدة ستة أيام وسبع ليالٍ، دون أن يغلبه النوم، وإن أتمهم بسلام سيكون خالدًا... فشل «جلجامش» في تحقيق ذلك وضاعت فرصته في الخلود، ولكنه لم يستسلم وظل يلح عليه من أجل إيجاد طريقة أخرى تُبلغه الخلود، واثناء إلحاحه شعرت زوجة «أوتنابشتم» بالشفقة على «جلجامش»، فدلته على عشب سحري موجود في عمق البحر بإمكانه إرجاع الشباب الدائم إلى «جلجامش» كتعويض عن فشله في الحصول على الخلود، فتركهم بعد ما علم مكانه، وغطس في مياه البحر في أرض الخلود دلمون (البحرين حاليًا)، وتمكن من الحصول على هذا العشب السحري، ثم قرر العودة إلى أورك ليجرب العشب على أي شخص طاعن في السن قبل أن يتناوله، ولكن في طريق عودته استراح قليلًا، وأراد أن يغتسل في النهر، حينئذٍ هبّت أفعى وانقضت على العشب وتناولته، فرجع «جلجامش» إلى أورك تملأه الحسرة، وفي طريق العودة شاهد السُورَ العظيم الذي بناه حول أورك، وحينها وقف ليمنّي نفسه بأن هذا العمل الضخم هو أفضل طريقة ليخلد بها اسمه.

في نهاية رحلة البحث عن الخلود استنتج «جلجامش» أن «الحياة التي تسعى في إثرها لن تنالها أبدًا، لأن الآلهة عند خلقها البشر، جعلت الموت من نصيبهم، واستأثرت بالخلود نصيبًا لها وحدها»، وعاد إلى حُكمِه ورشده وكفَّ عن أذى شعبه، وفي النهاية تتحدث الملحمة عن موت «جلجامش» وحزن شعب أورك على وفاته بعدما تغير للأفضل، نُقشت هذه الملحمة على الطين، وتم اكتشافها في عام ١٨٥٣م (435)، (434)،(433)،(432).

ثورة العلماء بسبب تشابه القصة مع قصة الكتاب المقدس

بعد اكتشاف ملحمة جلجامش وترجمتها ثار العديد من العلماء الغربيين على ما ورد في بعض أسفار التوراة، فقد أكد المترجم البريطاني «أندرو جورج» أن قصة الطوفان في «سفر التكوين العهد القديم» تتشابه كليًا مع هذه القصة الموجودة في «ملحمة جلجامش»، لدرجة أنه قال «لا يوجد شك إلا القليل، نقطة بنقطة وبنفس الترتيب، حتى عندما تسمح القصة ببدائل أخرى»(431)، وفي هذا الصدد صدر تعليق على التوراة في عام ٢٠٠١ م باسم حركة المحافظين اليهودية، وقال الباحث الحاخامي «روبرت ويكسلر»: «الافتراض الأكثر ترجيحًا الذي يمكننا افتراضه هو أنَّ كلًا من «سفر التكوين» و«ملحمة جلجامش» قد استمدا محتوياتهما من تقليد شائع عن الطوفان كان موجودًا في بلاد ما بين النهرين، ثم بعد ذلك تباعدت هذه القصص في الرواية.»(430)

وعن ذلك قال عالم الآشوريات «ألكسندر هايدل»: «إن تأثير الملحمة في الكتاب المقدس واضح جدًا ومعترَف بهِ ومقبول أكاديميًا»(429)، وكذلك تجد العديد من المواضيع وعناصر الحبكة والشخصيات في «ملحمة جلجامش» لها نظائر متشابهة في الكتاب المقدس العبري ولا سيما مواضيع جنات عدن، وهناك عملية نقل مباشر لنصيحة الإلهة «سيدوري» التي ورد ذكرها في ملحمة «جلجامش» من قِبل كاتب «سفر الجامعة العبراتي»(428)، وقصة الطوفان في «سفر التكوين».(427)

في الحضارة المصرية القديمة

يعتقد الكثير ومنهم بعض العلماء بأن قصة الطوفان لم ترد إلا في الحضارات السومرية والبابلية ولا سيما ملحمة جلجامش وبعض أساطير الحضارات، ولم ترد أثريًا في الحضارة المصرية القديمة، ولكن هيًا بنا نتجول في كتاب «الخروج في النهار»(426)، وخاصةً في إحدى البرديات الموجودة في الفصل رقم ١٧٥، والتي تسرد حوارًا بين الإله «آتوم» والإله «أوزوريس» والذي جاء كالآتي:

أوزوريس: وماذا عن الزمن الذي سأقضيه هنا في العالم السفلي؟

آتوم: ستحيا ملايين السنين، زمنًا طويلًا إلى ما لا نهاية، لكنني سوف أدمر كل ما خلقته، فهذا العالم عليه العودة من حيث جاء، إلى المحيط الأزلي بالطوفان، لكني سأبقي على القليل منهم معك يا أوزوريس.

وللأسف هذه البردية غير مكتملة، فالجزء الذي يتحدث عن تفاصيل الطوفان خاصةً مُمزّق

وغير واضح.

وهناك واقعة أخرى ذكرها «أفلاطون» تقول إن «سولون»(425)حينما قابل الكهنة المصريين سمع منهم أن في وقتٍ مضى أرسلَت السماء طوفانًا غيّر معالم الأرض، ودفنَ معه كل الآثار والمخطوطات التي تدل على حياة من سبقهم، وأصبح الجيل الجديد لا يعرف شيئًا عمّا سبقوه.

وكذلك أورد الكاهن المصري القديم والمؤرخ «مانيتون»(424)ابن مدينة «سمنود» بمحافظة الغربية حاليًا، والذي كان كاهنًا في عهد الملك «بطليموس الثاني» حوالي ٢٨٠ ق.م والذي كلِّفه بكتابة تاريخ مصر القديمة، أن هناك خبر طوفان قد حدث بعد «هرمس الأول» الذي كان بعد «ميناس الأول»، وهذا التأريخ يعتبر أقدم من تاريخ التوراة.

وهناك أيضًا أسطورة مصرية أخرى اسمها أسطورة «هلاك البشرية»، وتحكي الأسطورة عن أن إله الشمس «رع » أصبح في ضعفٍ شديدٍ بسبب تقدُّمه في السن، وأن رعيته من البشر خرجت عن طوعه، بل وتجرأوا إلى حدٍ جعلهم يتآمرون على قتله، فطلب النجدة من عينه «عين رع»، وهي إلهة السماء والخصوبة «حتحور» لتقضي على كل البشر المتآمر على «رع»، فبدأت حتحور في تنفيذ المطلوب منها دون رحمة، ولكن وقتها حن قلب «رع» على رعيته فتراجع عن قراره، وقرر إنقاذ ما تبقى من البشر، فدبر خطة تمكّنه من إيقاف بطش «حتحور»، وهي أن يُقدم لها شراب الجعة الذي تحبه، فشربت منه حتى فقدت وعيها وثملت، ثم نسيت ما كانت تفعله وتوقفت عنه بسبب عدم تركيزها، ولكن لم يُذكر في هذه الأسطورة شرحًا للطوفان ولا للسفينة ولا لبطلها.(423)

في الحضارة الفارسية

كذلك في الحضارة الفارسية ستجد لقصة الطوفان أثرًا ولكن بشكلٍ أغرب، فتذكر أسطورتهم بأن «أهرمن» كان مكارًا ومخادعًا ومعاندًا للإله المقدَّس لدى الفُرس «مثرا»، وعندما استنفد مثرا معه كل الحيل، استنفر وأرسل طوفانًا إلى الأرض أغرقها عن بَكْرة أبيها، ولم ينجُ من الطوفان غير رجل واحد من الصالحين وأسرته وبعض الحيوانات، بفضل صناعته لمركبٍ صغيرٍ، وقد قام هذا الرجل بتجديد الحياة على الأرض مرةً أخرى بعد أن طهّر الأرض بالنار، وتناول مع ملائكته الخبز وودعهم، ثم صعد إلى السماء حيث قام بدور المرشد للأبرار.(422)

في الحضارة اليونانية

في أساطيرهم ستجد القصة مشابهة وبطلُها اسمه «ديوكاليون» وهو ابنٌ لـ«إبروميثيوس»(421) ومعه زوجته، وكانا صالحين دونًا عن كل البشر وقتها، فلما قرر الإله «زيوس» إله السماء والصاعقة القضاء على الجنس البشرى بطوفانٍ ضخم يغمر الأرض نتيجةً لعصيانهم، حذرهما زيوس وأمرهما ببناء صندوق يطفو على سطح الماء حتى ينجوا بسبب صلاحهما.

وتتشابه القصة في الأسطورة التي كتبها «أفلاطون» في إحدى محاوراته المسماة «حوار طيماوس»(420) ولكن تختلف في ذكر الشخصية التي حذرته، حيث تقول محاورة طيماوس أن زيوس غضب بسبب حروب البشر البرونزيين الدائمة، فقرر أن يعاقب البشرية بالفيضان ولكن لم يحذره الرب بنفسه، بل حذره التيتان «بروميثيوس» بهذا الأمر وأفشى بالسر إلى «ديوكاليون» ونصحه ببناء فلك لينقذه، وبدأت المياه في الانحسار بعد تسعة أيام وليالٍ، وحطت السفينة في جبل «بارناسوس»(419)، وبعدها شعر الزوجان بالوحدة، فأخبرهما «هيرمز»رسول الآلهة الإغريق ابن زيوس، أن يذهبا إلى وادي صخري حيث أراد «زيوس» أن يعيدا الحياة، فأمر الزوجين أن يقوما برمي الأحجار الصغيرة خلفهما، فتحولت الأحجار إلى بشرٍ ومخلوقات حية، وأصبح «ديوكاليون» ملكًا على هؤلاء البشر وعلمهم الزراعة.(418)

في الحضارات الأفريقية

وفي قلب أفريقيا يتحاكى الناس في تنزانيا بأن قديمًا قد وقعت قصة فيضان الأنهار الذي نتج عنه فيضان عظيم، وأن الرب نصح شخصين باستقلال سفينة وطلب منهما اصطحاب اثنين من جميع أنواع الحيوانات، بالإضافة لبذور نباتية لإعادة تعمير الأرض.

وفي الكاميرون يتحاكى الناس أن قديمًا كان هناك «ماعز» أو «عنزة» ذهبت إلى فتاة صالحة وأخبرتها بقرب حدوث الطوفان، وطلبت منها مغادرة القرية هي وشقيقها قبل وقوع الكارثة.

وهناك أسطورة يونانية يتم تداولها في بلدان أفريقية عديدة عن الطوفان تقول إن كبير آلهة الأوليمب «زيوس» إله السماء والصاعقة قرر تدمير الحياة، فأرسل طوفانًا عارمًا لمدة تسعة أيام، قضى على الجميع ما عدا «ديكليون» وزوجته «فرحة» اللذين طافا بسفينة استقرت بهما على جبل «البرنا»، ثم أراد «زيوس» أن يعيد الحياة، فأمر الزوجين أن يقوما برمي الأحجار الصغيرة خلفهما، فتحولت هذه الأحجار إلى مخلوقات حيّة.(417)،(416)

في الحضارة الهندية



(صورة الرمزية لماتسيا لفيشنو أوتار برادي)

في موروثات الحضارة الهندية ستجد في أسطورتهم البطل اسمه «مانو» نقلًا عن نصوص «ساتاباثا براهمانا» و«بورانا»(415) التي احتوت على قصص الطوفان العظيم، وذكرت النصوص أن الإله الأعلى أو الحقيقة العليا في الهندوسية الفيشنوية «أفاتار فيشنو» كان على شكل سمكة قد أنقذها «مانو» في الصغر، ولما كبرت السمكة حفظت الجميل لمانو، ثم قامت بتحذير «مانو» من الفيضان الوشيك وأخبرته ببناء قارب عملاق، وعلّمته كيف يصنع السفينة وأخبرته بمن يحمل معه فيها، وعندما وقع الطوفان ربط «مانو» السفينة إلى قَرني السمكة العملاقة، وقادت هذه السمكة السفينة بحكمة وسلام حتى نجا مَن كان عليها.(414)، (413)

في الحضارة الصينية

أما الأساطير الصينية فتقول إن «ياو» هو بطل القصة، وهو أبو البشر الثاني بعدما نجا وبصحبته سبعة من الصالحين في سفينة، وهم زوجته وثلاثة أبناء وزوجاتهم من طوفان هائل دمّر الأرض، ووصفوا أهوال الكارثة بأن هذا الطوفان قد سبقه زلزال أرضي ضخم نتج عنه تفجير للمياه من كل مكان على وجه الأرض، وأن هؤلاء السبعة أعادوا تعمير الأرض، وكذلك هناك روايات مماثلة في بورما وشرق آسيا.(412)

في موروثات أمريكا الشمالية

يتوارث الناس في أمريكا الشمالية قصة الطوفان، وتقول أسطورة الشعوب الأنيشينابية، السكان الأصليون في منطقة البحيرات الكبرى وكندا والولايات المتحدة، إن الطوفان جاء للقضاء على تكبُّر شعب تلك المنطقة، وغرق الجميع بكل محتوياتهم ولم ينجُ منهم غير شخص واحد يدعى «نانابوزو» ومعه مجموعة من المخلوقات بفضل قاربٍ صغيرٍ.

وكذلك سكان هاواي القدامى يتوارثون في حكاياتهم الشعبية بأن رجلًا اسمه «نو» قد نجا هو وعائلته بعدما هاجم الأرض طوفان عظيم، بفضل زورق كبير قد صنعه على شكل بيت مرتبٍ، وله طبقات وملأه بالحيوانات، وانتهى الطوفان بنجاته ومن معه، ثم جدد الحياة على الأرض من ذريته.(411)

في موروثات أمريكا الجنوبية

نزولًا للجنوب سنجد في أمريكا اللاتينية وتحديدًا في «حضارة الإنكا» وكذلك الأساطير البرازيلية قصة مشابهة، تقول إن الإله «فيراكوتشا» الخالق العظيم في أساطير الإنكا وما قبل الإنكا، قرر أن يُغرق جميع البشر، ووصل الطوفان إليهم وأغرق بحيرة «تيتيكاكا» التي تقع بين بيرو وبوليفيا في الهضبة العالية في الأنديز، ولم ينجُ من هذا الطوفان غير زوجين من الصالحين وأنجبا ذريةً جديدةً.(410)

في الموروثات الأوروبية

في أساطير شعوب الدنمارك والنرويج والسويد هناك أسطورة الطوفان الإسكندنافية، والتي تقول إن طوفانًا عظيمًا قد وقع، ونجا منه شخص صالح اسمه «بلغامير» ومعه عائلته بعد ما استقلوا سفينةً عملاقة.

أما شعب ليتوانيا الواقع أيضًا بشمال أوروبا، نجد أسطورتهم خيالية بشكل أكبر، فقد ورد في موروثهم بأن الرب أرسل للأرض قشرة بندق عملاقة، لكي تنتشل المؤمنين وبعضًا من الحيوانات والطيور، من فيضان ضخم قد أغرق الأخضر واليابس، وفي النهاية رست بهم على قمة جبل.

وفي الأساطير الروسية نجد الأمر مختلفًا عن ذلك، حيث تقول أسطورتهم بأن الشيطان تمكّن من إغواء زوجة الرجل الصالح الذي بنى السفينة، فطاوعته وأعدّت لزوجها شرابًا مسكرًا، وبعد ما تناوله باح بسرّ صنع السفينة، فتسلل الشيطان إلى السفينة بعدما مهدت الزوجة له الطريق، وحاول إغراق السفينة بمن عليها، لكنه فشل.

وفي الأساطير الإيرلندية يتوارث الناس أن قديمًا كان يوجد ملكة أبحرت في سفينة مع

مجموعة لمدة سبع سنوات، هربًا من الطوفان الذي أغرق أيرلندا كلها.(409)

في موروثات شعب الإسكيمو

برغم أن شعب الإسكيمو يعتبر في معزلٍ عن العالم مستقلٌ بذاته في الشمال الجليدي، ولهم قصصهم وتقاليدهم الخاصة التي لم تتأثر بأي معتقدات أخرى من باقي البشر، تجد في موروثاتهم ذكر حادثة الطوفان، وتقول أسطورتهم بأن طوفانًا قديمًا قضى على كل البشر، وقد وصل إليهم ولم ينجُ منه سوى شخصين هما من جدّدا نسل البشرية.(408)

كما ذكرنا لا يقتصر ذِكر الطوفان على الأديان الإبراهيمية وغيرها من المعتقدات فحسب، بل وفي الحضارات القديمة، ولعلَّ ما يزيد دهشتنا هو أن قصة الطوفان لم تأتِ في أساطير حضارات الشرق الأوسط الذي هو مسرح الواقعة أو نقطة البداية فقط، لكنها جاءت كما ذكرنا في حضارات أقصى الأرض وأسفلها، وشرقها وغربها، حيث وصلت قصص وأساطير الطوفان في العالم لأكثر من ٥٠٠ أسطورة، وكلهم متشابهون في قصة أنه طوفان من الإله أو من الآلهة، وأن هناك رجلًا صالحًا حملَ أهله في قارب ومعه أزواجٌ من الطيور والحيوانات، ولا يمكن لكل هذه الشعوب والحضارات أن تفكر أو تخترع أسطورة من العدم متشابهه بهذا الشكل، فهذه الشعوب تختلف حضاريًا وثقافيًا ومكانيًا وزمنيًا عن بعضها البعض، وهذا الأمر قادَ الكثير من العلماء إلى نظرية عموم الطوفان وأن الواقعة واحدة وعامة، لكن اختلفت بسبب تغيير التفاصيل التي يطغو عليها الخيال ونسيان أجزاء من القصة الحقيقية، وكذلك تأثير البيئة التي حيكت فيها، واختلاف أسلوب الحكي على مر العصور.

٦ - الخِلاف الأزلي - الطوفان عالمي أم محلي؟

تتفق اليهودية والمسيحية على أن الطوفان قد غمر الأرض بأكملها بالنص الديني، ولكن هناك علماء يهودًا ومسيحين وضعوا أبحاثًا وكُتبًا تحاول توضيح العكس، أما لدى علماء المسلمين فنجد لديهم رأيين حتى بشكل ديني قبل أن يكون علميًا.

نظرية عمومية الطوفان

ذهبت العديد من آراء -علماء الإسلام - إلى فكرة أن الطوفان قد أغرق العالم كله، وأنه كان عالميًا، نظرًا لانتشار القصة وتشابهها في كل أرجاء الأرض، وأكدوا على أنه لم ينجُ منه بشرٌ إلا من ركب السفينة، وذُرية مَن حمل الله مع نوح من خلال وجهات نظرهم في تفسير بعض الآيات القرآنية (407)،(406)، (405).

الاستدلال العلمي

استدل أنصار عالمية الطوفان بوجود الأصداف والحيوانات البحرية والأسماك المتحجرة في قمم الجبال، ورأوا أن هذا أمرٌ إعجازي يدل على وصول مياه الطوفان إلى قمم الجبال، إلا إذا اعتبرنا أن الأسماك كانت تعيش قديمًا فوق الجبال وهذا أمرٌ يستحيل حدوثه.

نظرية محلية الطوفان

رأى بعض - علماء الغرب - وانضم إليهم مجموعة من - علماء المسلمين - أن عالمية الطوفان أمر مستحيل علميً، وقالوا إن طوفان نوح لم يكن عالميًا، وأن هناك الكثير من الطوفانات قد وقعت على مَر الزمان في أماكن كثيرة جدًا، ويذهب بعضهم لفكرة أنه هو «طوفان البحر الأبيض المتوسط على البحر الميت» الواقع في عام ٥٦٠٠ قبل الميلاد، وطُرحت هذه النظرية بواسطة عالمين في الجيولوجيا البحرية من «جامعة كولومبيا» في عام ١٩٩٦م، وهما الدكتور «وليام ريان» والدكتور «والتر بيتمان»، واللذان افترضا أن سكان المنطقة اضطروا إلى الفرار بعد تدفُق أربعين ألف متر مكعب من المياه، وقالوا إن هذا الطوفان يُعتبَر هو صاحب أكبر تأثير في قصة الطوفان البابلي المذكورة في ملحمة جلجامش، وكذلك طوفان نوح الوارد في الديانات الإبراهيمية، وشرح الدكتوران ذلك في كتاب اسمه «طوفان نوح»، ولكن يرى البعض أن هذا الطوفان ليس طوفان نوح، فبالتمعن والتدقيق ربما سنكتشف أن طوفان البحر الأبيض على البحر الميت ليس له علاقة بطوفان نوح، لأن كل الأدلة التي ذكرناها من الكتب السماوية وحتى التي وردت في مختلف الثقافات، وضَحت بأن الطوفان حدث بفعل انفجار عيون الأرض وهطول أمطار غزيرة من السماء، وبالتالي فالطوفان حدث بماءٍ عذبٍ

وليس بماءٍ مالحٍ، وكذلك لم يَرِد دليلٌ واحدٌ يثبت بأن الطوفان قد وقع نتيجة ارتفاع أي بحار أو طغيانها، وكما ذكرنا أنه حدثت طوفانات كثيرة على مرّ العصور منها ما هو بسبب ذوبان الجليد في العصور الجليدية، ومنها ما هو بسبب فيضانات البحار أو فيضانات الأنهار، وبناءً على ذلك فإن نظرية طوفان البحر الأبيض على الأسود قد تكون حدثت فعلًا لا جدال في ذلك، ولكنها بعيدة كل البعد عن قصة طوفان نوح.

ولنظرية محلية الطوفان أنصار أيضًا من - علماء المسلمين - كما ذكرت، استنتجوا بأن الطوفان ربما كان محليًا، لأن كل نبي قد أرسِل لقومه ماعدا سيد الخلق -صلّى الله عليه وسلم- قد بعثه الله للعالمين جميعًا، وبناءً على هذا فإن نوحًا قد أرسله ألله لقومه فقط، فكيف سيعذب الله أقوامًا أخرى لم يأتِهم بشيرٌ أو نذيرٌ وما ربك بظلّامٍ للعبيد، علاوة على أن أقوام الأنبياء الآخرين عذّبهم الله عذابًا محليًا فلمَ هؤلاء قد أخذ الله البشرية بذنبهم، وقالوا ما ذنبُ سائر الحيوانات والطيور المنتشرة على وجه الأرض، لماذا يعمهم العذاب بسبب ذنب اقترفه البشر، واجتمع هولاء حول فكرة أن الله لم يغرق إلا الذين كذّبوه ولم يَقل أغرقنا العالمين.

وذهبت طائفة أخرى مِن بعض مَن اجتهدوا في التفسير القرآني لتوضيح خواطر أخرى من الآيات التي يستدل بها أنصار عمومية الطوفان ومنها (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا) (404)، وقالوا إن كلمة الأرض صحيح أنها جاءت مُعرّفة بالألف واللام ولكن لا يعتبر هذا دليل على أنها الأرض كلها، بل تعني الأرض التي كان يعيش فيها نوح وقومه فقط، واستدلوا بذلك أنه ورد في القرآن الكريم على لسان نبي الله «يوسف» عليه السلام: (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) (403)، وكان يقصد بالأرض مصر فقط وليس العالم كله، وقوله تعالى لأنبيائه «موسى» و«هارون» عليهما السلام(قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ) (402) المقصود بها أرض مصر كذلك، ومن هذا المنطلق فسروا أيضًا الآية التي تقول (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) (401) وقالوا إنها تثبت أنه كان على الأرض أقوام آخرون معاصرون لعصر سيدنا نوح ولكن لم تصلهم رسالته، فلذلك لم يمسهم عذاب الله بالطوفان، واستدلوا بكلمة «وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ» وأنهم بعد ذلك سيتم اختبارهم وامتحانهم، فمن يعصِ الله تعالى منهم فسوف يمسه عذاب الأليم.

الاستناد العلمي

يرد أنصار محلية الطوفان على نظرية عالمية الطوفان التي قالوا فيها إن الدليل هو وجود الأصداف والحيوانات البحرية والأسماك المتحجرة في قمم الجبال، بأن ذلك لا يدل على أنها من أثر طوفان نوح، بل الأقرب أنه من أثر تكوّن الجبال وغيرها من اليابسة في الماء، وقالوا إن صعود الماء إلى الجبال أياماً معدودة بفعل طوفان نوح لا يكفي لحدوث ذلك، ولكن برروا وجود هذه الحيوانات المتحجرة بأنها ربما تكون من بقايا رسوبية كانت في يوم من الأيام تحت البحر أو على ضفافه، بسبب التغيرات الجيولوجية والتمعجات الحاصلة على قشرة الأرض نتيجة لعوامل الطبيعة كالزلازل وغيرها، حيث في حالة حدوث تغير جيولوجي تتبدل أماكن هذه القطع الصخرية أو غير الصخرية، فيقع من كان عاليًا ويرتفع من كان سافلًا وعليه بعض الكائنات البحرية التي ماتت وتحجرت، وقالوا إن مثل هذه الأمور كانت كثيرة الحدوث في الفترات الأولى للحياة على أثر انخفاض حرارة سطح الأرض.

وقالوا لا يصح هيدرولوجيًا أو مترولوجيًا أن نصدق فكرة عمومية الطوفان للأرض، لأن العلم من وجهة نظرهم يكذب ذلك، فكل متر مربع من الأرض يرتكز عليه عمود هواء يحمل بخار ماء بمعدل ١٦ كيلوجرام، وأقصى كيل يبلغه ٢٥ كيلوجرام، أي ٢٥ ألف جرام ترتكز على كل متر مربع، أي بحجم ٢٥٥ ألف جرام مكعب ترتكز على متر الذي هو ١٠٠٠٠ سنتمتر مربع، وعندما نقسم هذا على هذه المساحة تخرج لك الإمكانية التي تحدّد الحدّ الأقصى لو عمّ طوفان وجه الأرض حيث سيكون منسوب ارتفاع الماء ٢.٥ سنتيمتر فقط لا غير!

وهذا معناه أنهم ينفون رواية التوراة أن الطوفان كان أعلى من أعلى جبل بزيادة ذراع في عموم جبال الأرض كلها من وجهة نظرهم، وقالوا إن كذّبنا العلم وافترضنا أن هذا صحيح، أين ذهبت كل هذه الكمية الهائلة من المياه، فعلميًا لا يمكن للأرض أن تشرب كل هذه الكمية، وأكدوا أن الطوفان كان محليًا وأن العقل لا يقبل غير ذلك، بالتالي فالماء الذي خلفه الطوفان المحلي البسيط الواقع في نطاق رقعة واحدة، من السهل أن يعود إلى الطبقة السفلية من الأرض ليغذي المائدة المائية.

وقالوا إن نظرية عموم الطوفان لم تثبت في - القرآن الكريم - بشكل حازم، وأن المفسرين قد ذهب بعضهم لتفسير آيات القرآن بمعنى لفظي، والبعض الآخر تأثر رأيه برأي التوراة في هذا الصدد، التي تم تجميعها بطريقة أو أخرى غير منظمة وقد كتبها الرواة وربما تخبط عليهم الأمر- على حد رأيهم - واستدلوا بذلك بأن وصف الطوفان في التوراة شبيه بدرجة تكاد تكون مماثلة بسرد القصة في الحضارة البابلية التي هي أقدم من الطوفان، فربما تأثر الرواة بها.

و- على حد قولهم - يرون أن فكرة عالمية الطوفان من تبريرات بعض المتطرفين اليهود

الذين يربون نشأهم عليها من أجل ابتداع عقائد إلهية غير ملائمة لذات الله، والتي تقول بأن الله يبطش بالبشرية جمعاء بسبب ذنوب قوم معينين، وقالوا إن هذه مجرد خلفية دينية قد صنعوها من أجل تبرير أفعالهم، تحت مبدأ أن الابرياء من الممكن أن يتحملوا أخطاء بعض الأشقياء، وأن الدين لا يتعارض مع مساواة الجميع في الظلم، وقالوا إن وجهة النظر المذكورة في التوراة عن الطوفان دفع الملحدين لوجود حجة يشككون بها واقعة حدوث طوفان نوحٍ من الأساس، بل والتشكيك في الأديان السماوية كلها، وأنها لا تحمل حقائق، وقالوا لا يجوز أخذ أي رواية غير التي ذكرها القرآن الكريم، ولكن دون التأويل في التفسير على مأخذ يستهواه فكر المفسر - على حد رأيهم.

نهاية الجدال

هذا ما وردَ في الرأيين باختصار، وبدون تحيُز، وبمنتهى الإنصاف، ولكن تبقى الحقيقة الكبرى في أن الطوفان قد وقعَ ولا جدال في ذلك، وسواء كان محليًا أو عالميًا فلا يهم، كل ما هو مهم هي الأدلة التي أثبتت أن نوحًا هو أبو البشرية، وأن المشركين الأوائل بالفعل قد أهلكهم الله ولم ينجُ منهم أحدٌ، فلا ذرية بقيت إلا ذُرية نوح، أما بقية التفاصيل فيجب علينا تركها كما تركها القرآن لحكمة في نفس الخالق عزٌ وجلٍ، فلو كان الأمر مهمًا أو سيحدث فارقًا لرواه القرآن.

ربما أصلًا الطوفان كان محليًا وعالميًا، يجمع الصفتين في آنٍ واحدٍ، فربما كانت اليابسة في هذه الحياة الأولى صغيرةً لقرب ذلك العهد من خَلْق آدم وبداية وجود البشر عليها، فقد أخبرنا العلم: أن الأرض كانت عند انفصالها من الشمس عبارة عن كرة نارية ملتهبة ثم بعد ذلك أصبحت كرةً مائيةً، ومع الوقت انتشرت فيها اليابسة بالتدريج، وربما تكون الآية التي تقول ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ (400) لا تدل على شمول الطوفان لكل الكرة الأرضية فعلًا، بل المقصود بها شمول الطوفان لكل اليابسة الموجودة في هذا العهد السحيق، التي تحمل عددًا ليس بضخم من النسل البشري آنذاك، وهذا يؤكد أن الطوفان لم يحدث في الماضي القريب الذي افترض أحدهم أنه قبل ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد.

وقد قمت بإثبات ذلك في كتابي السابق «مختصر حضارات العالم» وأوجدت فيه دلائل عن أن هناك حضارات قامت وانتهت قبل عشرات الآلاف من السنين، وأن الطوفان قد قام في زمن غابر وسحيق في بداية تكوين الحياة الإنسانية والمجتمعية على الأرض، وأن هناك حضاراتٍ أخرى لم تصل إلينا قد قامت واختفت قبل هذا الطوفان في أحداث جيولوجية متشابه في أماكن أخرى تشكلت فيها اليابسة ثم اندثرت في بداية تكوين اليابسة، ولو قرأت هذا الفصل في الكتاب ستجدني هنا أتكلم من منظور آخر تمامًا، حتى لا أكرر نفس الكلام، أو

أفحم وجهة نظري دون عرض وجهات النظر المتعددة.

وبخصوص وجهات النظر المختلفة، فكما نرى منذ البداية أن هذا الموضوع له آراء وآراء متعددة، ووجهات نظر مختلفة، علمية ودينية وحضارية، ولقد تسللت الأساطير إليه بشكلٍ كبيرٍ للأسف، حتى الكتب العربية الإسلامية نفسها لم تخلُ من الأساطير والمدخلات التي اقتحمت كتب المؤرخين بغير قصدٍ، ففي أهوال السفينة أقوال عدة، وقد ظهرت العديد من المواضيع التي نُسجت ودُمجت داخل قصة السفينة ولم يأتِ بها من سلطان، فبعدما تتخبط في روايات الإخباريين عن حكايات الطوفان ومدته، تجد في بعض المواضع الكثير من المبالغات والأقاويل حول قصة السفينة، لمجرد أنهم استندوا على رواة غير أهل لذلك، كقصص السباع والوحش والبهائم التي حملها نوح معه في السفينة، وتعلُّق الشيطان بذنب الحمار، وقصة الحية والعقرب، والفأر التي قرضت حبال السفينة، وكلها قصص تسلل لمتنها العلة، وغالبيتها روايات ضعيفة ولن تتأثر بها مصائر الأمم، ولا تتوقف الحياة على فتواها، ولا يمكننا ذكر كل هذه الموضوعات تحسبًا للإطالة، لكن سنذكر ما هو مكروه تصديقه منها، وما لا يقبله العقل، والذي يتداوله الناس باقتناع وتصديق للأسف.

٧ - أساطير حول قصة السفينة والطوفان

يُروى فيما يزعم الناقلون أن بن عباس رضي الله عنه قال: قال الحواريون(399) لعيسى بن مريمَ عليه السلام: لو بعثتَ لنا رجلًا شهد السفينةَ، فيحدِّثنا عنها.

فانطلَق بهم حتى انتهى بهم إلى كثيبٍ من تُراب، فأخذ كفًّا من ذلك التراب بكفِّه.

قال: أتدرون ما هذا؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: هذا كعبُ حام بن نوح، (وفي رواية أخرى هو سام بن نوح).

قال: فضرب الكثيب بعصاه، وقال: قم بإذن الله.

فإذا هو قائمٌ ينفُض التراب عن رأسه قد شاب، قال له عيسى: هكذا هلكتَ؟ قال: لا، ولكن مِتُّ وأنا شاب، ولكنني ظننتُ أنها الساعة، فمن ثَمّ شِبتُ.

قال: حدِّثنا عن سفينة نوح.

قال: كان طولُها ألف ذراعٍ ومائتي ذراع، وعرضُها ستمائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات، فطبقةٌ فيها الدوابُّ والوحوش، وطبقةٌ فيها الإنس، وطبقةٌ فيها الطير، فلما كثر أرواث الدواب، أوحى الله إلى نوحٍ أن اغمز ذَنَبَ الفيل(398)، فغمز فوقع منه خنزيز وخنزيرة، فأقبلا على الروث... فلما وقع الفأر بجَزِّ السفينة(397) يقرضه، أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد، فخرج من منخره سنَّوز وسنورة(396)، فأقبلا على الفأر.

فقال له عيسى: كيف علم نوحٌ أن البلاد قد غرقت؟

قال: بعث الغراب يأتيه بالخبر، فوجد جيفة فوقع عليها، فدعا عليه بالخوف، فلذلك لا يألف البيوت. قال: ثم بعث الحمامة، فجاءت بورق زيتون بمنقارها، وطين برجليها، فعلم أن البلاد قد غرقت، فطوقها الخضرة التي في عنقها، ودعا لها أن تكون في أنس وأمان، فمن ثَمّ تألف البيوت.

قال: فقلنا: يا رسول الله، ألا ننطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا؟

قال: كيف يتبعكم من لا رزق له؟

قال: فقال له: عُد بإذن الله.

قال: فعاد ترابًا.

أخرج هذه القصةَ الإمامُ الطبري في تفسيره، وأوردها ابن كثير في تفسيره كذلك، والإمامُ القرطبي في تفسيره، وذهب هؤلاء الأئمة كلهم إلى تشكيك هذه القصة، وتعجبوا هم وطائفة كبيرة من المفسرين من دخولها للتاريخ الإسلامي، وقالوا إنها جاءت بالكثير من العلل. (395)

وبهذا فقد يتبين أن هذه القصة تعتبر من الغرائب المنكرة جدًا، فلم يُثبت علميًا ولا تاريخيًا ولا حتى دينيًا أن الفيل هو أب الخنزير، ولا أن الأسد هو أب القطة، حيث تبيَّن أن القصة واهية منكرة، وليس لها حقيقة علمية، وقد بيَّن عِلمُ الوراثة أن كروسومات نواة خلية الخنزير تخالف تمامًا كروسومات نواة خلية الفيل في عددها وفيما عليها من جينات.

وكذلك رُوي في قصص السفينة أمورٌ لم تُثبت صحتها ولا علّتها، لكنها من الروايات الضعيفة التي لا يجب الأخذ بها، منها أن نوحًا عليه السلام كان يأتيه الحيوان، فيضع يمينه على الذَّكَر ويساره على الأنثى، وروي أن أول ما أدخل في السفينة الذر، وآخر ما أدخل الحمار، فتمسك الشيطان بذنبه، فزجره نوح عليه السّلام فلم ينبعث فقال له: ادخل ولو كان معك الشيطان، قال ابن عباس: زلت هذه الكلمة من لسانه فدخل الشيطان حينئذٍ، وكان في كوثل السفينة(394)، وقيل كان على ظهرها(393)، وروى العديد من العلماء عدم صحة هذا الحديث.

وكذلك هناك قصص أخرى أسطورية يتعجب العلماء من إدخالها في الكتب الإسلامية، حيث لم يثبت صحتها لا تاريخيًا ولا حتى عقليًا، ولعلَّ مِن أبرز هذه الأساطير، هو أن عملاقًا مرَّ بجانب السفينة ونجا من الغرق، فمَن يكون هذا العملاق؟

أسطورة العملاق «عوج بن عنق»

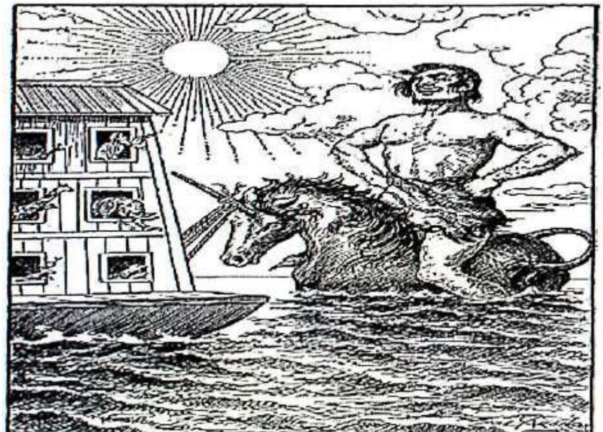
من وجهة نظر غالبية - علماء الإسلام - هذه القصة هي من بعض الأساطير والافتراءات التي تم نشرها دون حجة ولا أثر، وقد وردت في بعض كتب العبرانيين، وأيضًا بعض كتب الناقلين العرب والمسلمين، فبرغم التأكيد أن الناجين هم من كانوا على السفينة، تجد في بعض كتب التراث بأن هناك عملاقًا قد نجا من الطوفان وعاصرَ حقبة نوح، واستمر حتى حقبة موسى عليه السلام، وقد تناقلت قصته حتى وصلت إلى تفاسير كثيرة، فقد تمّ ذِكر هذه القصة في أربعة مواضع متفرقة على ما اطلعت عليه، كذلك ذكرها الكرماني، وبن الخازن، والثعلبي، وبن عطية، وغيرهم من المفسرين، وتجد القرطبي والثعلبي نقلا ذلك عن بن عمر، والكرماني في تفسيره نقلًا عن بن عباس، وتقول القصة:

أنه كان هناك عملاقًا اسمه «عوج بن عنق» وأن طوله كان ثلاث آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين وثلثا، أي أن حجمه يفوق حجم آدم أبو البشرية نفسه بست وخمسين مرة، فآدم كان ستين ذراعًا، ولكن هناك حديثًا نبويًا صحيحًا ينص بأن حجم الخلق ينقص من بعد آدم(392) يتضح منه أنه لا يوجد بين نسل آدم من هو أضخم منه... وما المشكلة فربما هو لم يكن من نسل آدم مثلًا؟ لا، في الحقيقة قالوا إنه حفيد آدم من ابنته «عنق» بنت آدم، وأنها أول من مارس السحر وأول عاهرة في التاريخ، ولذلك نُسب الابن لها دون أب، وتقول الروايات إن فساد الأم «عنق» قد انتشر وزاد، مما جعل أمها «حواء» تدعو عليها بالهلاك، فبعث الله أسدًا قالوا إنه بحجم فيل، افترسها وأراح البشرية منها - على حد قولهم.

وذكرت الروايات أن هذا العملاق بن عنق كان خارقًا ضخمًا، وأن هذا الطوفان العظيم لم يصل إلى حدِ كعبه، وأنه خاض البحر فوصل إلى حجزته، وأنه عندما كان يشعر بالجوع يلتقط حوتًا من قرار البحر فيشويه في عين الشمس، وعندما يشعر بالعطش يستوقف السحاب فيشرب منه، وأن هذا العملاق المزعوم لما خاف الغرق قال لنوح عليه السلام: احملني في قصعتك هذه.

فأبى نبي الله أن يحمله وقال له: يا عدو الله لم يأمرني الله بك.

فقال له: أعلم أنها لن تسعني، ولكني وددت أن أكون معكم.



صورة تخيلية للعملاق عوج تعود للعصور الوسطى

فمشى بجانب سفينة نوح ونجا - على حدّ زعمهم - ثم عاش قرونًا طويلة حتى عاصر زمان موسى بعد مئات السنين، وحينما عسكر نبي الله موسى والأسباط بعد نجاتهم من فرعون

في معجزة انفلاق البحر، أمرَ موسى عليه السلام أتباعه بالدخول لأرض الميعاد، فما استطاعوا كتم خوفهم من العمالقة ولا سيما هذا العملاق، وبعدها أقنع موسى وفدًا من الأسباط أن يذهبوا للتفاوض مع العمالقة قبل نشوب الحرب.

مضى هذا الوفد المفوّض في الصحراء، وعلى حين غرة، وقعوا في أسر هذا العملاق، وقيل إنه ربط كل واحدٍ منهم في عود حطبٍ، وحملهم إلى زوجته وقال لها: أترى هؤلاء يريدون غزوَنا، سوف أقتلهم الآن، فاقترحت عليه زوجته ونصحته بألّا يقتلهم وأن يرجعهم إلى ذويهم ليحكوا ما رأوه من أهوال.

رجع الرجال إلى موسى عليه السلام وحكوا له ما دار، فنصحهم نبي الله بأن لا يفشوا سر ما رأوه حتى لا ينشروا الفزع في معسكر بني إسرائيل، ولكن لم يلتزم بعضهم وقاموا بإفشاء السر... تمرد القوم وضجوا وهاجوا وانتشرت الفوضى، ثم قالوا لنبي الله اذهب أنت وربك قاتلا إنا هاه نا قاعدون، فغضب الرب وعاقبهم بالتيه أربعين سنة.

وتقول هذه الأسطورة الغريبة بأن هذا العملاق هو من هَم وبادر بالقتال، وأتى إليهم بسيناء ومعه صخرةٌ عملاقة بين يديه كادت أن تغطيهم جميعًا، وفي هذه اللحظة أرسل الله جيشًا من الطيور (وفي موضع آخر قيل هُدهُدًا واحدًا)، وقاموا بنقر الصخرة حتى تفتّتت، وانقسمت فوقعت على العملاق حتى انحبست رأسه وعنقه وكتفيه فيها، فخار على الأرض، ثم قفز موسى بعصاه عليه وثابة عشر أذرع فلم يبلغ إلا كعبه، فأصابه موسى في كعبه فقتله بالعصى، فخرَّ على نيل مصر، فحسره للناس عامًا يمرون على صلبه وأضلاعه وكأنه جسرا!

هاجم الكثير من - علماء الإسلام - هذه الرواية الغريبة، وقالوا إن متنها غير مقبول، فلماذا تركه الله أصلًا يعيث في الأرض فسادًا لآلاف السنين، رغم إرساله أنبياء للأرض في هذه السنوات الطويلة من أجل عبادته!

ولا يمكننا قول أي شيء أهم مما أوردَه «ابن القيم» الذي أفتى قائلًا: «فأنا لا أتعجب من هذا التجرؤ والكذب، ولكن العجب على مَن أدخلوا هذا الكلام الأسطوري في كتبنا العربية دون الوقوف على تحريره».

وكما ذكرْنا لا وجود لذرية على الأرض غير ذرية نوح - على حدّ قول الأديان السماوية - ولهذه القصة استنفر غالبية أئمة العِلم الإسلامي وقالوا من تأليف الراوي «عبد المنعم بن إدريس» نفسه، وللمفسرين انتقادات عدة في شخصه بالذات موجودة في الحواشي(391)، وبرغم ذلك تجد قصته متداولة في الحكايات ومنصات الإنترنت.

والاقرب في أمر هذا العملاق أنه ربما كان من بقية قوم عاد، وكان من الكنعانيين العمالقة

الذين حاربوا بني إسرائيل، وأنه كان له طول في الجملة مائة ذراع أو شِبه ذلك لا هذا القدر المذكور، وأن موسى عليه السلام قتله بعصاه، هذا القدر الذي يحتمله العقل، وربما حيكت قصته بالتهويل زمانًا بعد زمان فتحرفت، والله أعلم.

وبرغم حجم الأساطير التي ورذث عن نوح والطوفان والسفينة، لم تُنكر الغالبية العظمى وقوع الطوفان ولا نبوة نوح ولا السفينة من الأساس، بسبب الشواهد والأدلة الضخمة التي تحدثت عنهم.

لكن ماذا حدث بعد الرحلة وكيف سيبدأ عهد البشرية الثاني؟

* * *

الفصل الثالث

ما بعد الطوفان

(عهد البشرية الثاني)

عالَم قد تغير، وذرية قد اندثرت، وأناس قليلون يعبرون فوق طوفان، وكأنه خلْق جديد.. استبدال جغرافي لليابسة، وآثار الخراب والدمار في كل مكان.. كيف سيتجول الناجون على الطين والجيفة، وكيف سيعيشون، وكيف سيصنعون حياةً جديدةً من اللا شيء، وكيف سينتشرون في الأرض ويُعيدون إعمارها، وما هو أول مكان نزلوا به، وما هي أول قرية بُنيت بعد الطوفان، ثم ترى مَن منهم سيكون أبًا لعرقنا أو أي عِرق آخر؟

١ - انتهاء الرحلة

يقول - المؤرخون المسلمون - إنه كان مع نوح في السفينة ملكان، فلما قال الله عز وجل للسماء أقلِعي ماءك، وللأرض ابلَعي ماءك، قالا لنوح: ابعث طيرًا يأتيك بخبر الأرض، فبعث نوح الغُرابَ فوجدَ جيفةً طفت على الماء، فتأخر في المهمة بسبب تعطُّله للأكل منها، فلما أبطأ، بعث نوح الحمامة بدلًا منه، فلم تلبث أن أقبلت بسرعة ومعها ورقة زيتونة، فقالا له الملكان: ارئدها تأتيك بطينٍ، فرجعت إلى المكان فوجدت بأعلى الجوديّ مكانًا من الأرض كأُرفعة، يذهب عنه الماء مرة ثم ينطبق عليه مرة كموج البحر، فأخذت منه طِينةً ورجعت بها إلى نوحٍ مرةً أخرى، فقال له الملكان اعرف وزن الطين، فإنها قد أتتك بميزان الأرض كلها، واقسمه بين بنيك، واقرع بينهم بالسهام، وقالوا إن من حينها عُرف الميزان والسهام(390).

وقيل: لما نزلَ نوح من السفينة ورأى هول الخراب الذي ولَّده الطوفان زاد حزنه وغمه، فأوحى الله إليه أني لن أرسل الطوفان على الأرض بعدها أبدًا، ولما خرج نوح من السفينة أقفلها بقفل ودفع المفتاح إلى ولده «سام»(389).

وبحسب قول بعض - المؤرخين المسلمين - أن أول مكان نزل به نوح ومن معه بعد ما استوت سفينتهم، هو مكان يقع بين الجزيرة وبلاد الموصل قرب جبل الجوديّ، ورويَ أن في أسفل هذا الجبل اجتمع الناجون من السفينة وعسكروا، وهناك أقام نوح مذبحًا لوجه الله، وصام له شكرًا وكان أول من صام بعد آدم عليه السلام(388)، وفي الجوديّ هناك أقوال عدة، فقد تعددت الروايات والاعتقادات حول المكان الذي رست فيه السفينة فور انتهاء الطوفان.

أين رست السفينة

زاد الشغف حول البحث عن آثار سفينة نوح بدايةً من العصور الوسطى وحتى الآن، وهناك بلاد عديدة ادعت أنها محط رحلة الطوفان، في محاولة منهم أن ينالوا هذا الشرف، وبين كل هؤلاء لا يوجد دليلٌ ملموس حتى الآن... منهم من قال مثلًا أنها توجد فوق قمة جبل من مجموعة جبال «آرارت»، ومنهم من بحث عنها هناك ولم يجدها مرات، ومنهم من قال إنها مدفونة في قمم الجبال الجليدية لذلك لا يُعلم محلها، ومنهم من قال إنها تتواجد بتركيا في المنطقة الشرقية، وأقوال غير ذلك شطحت بعيدًا عن هذا المسار وتكهنت بأنها ربما تكون في اليمن، ومنهم من قال مكة، ومنهم من قال الهند، ومنهم من قال أمريكا، وغيرها من الأقاويل.

لم يختلف غالبية علماء الأديان والعديد من علماء الجغرافيا على وقوع الطوفان، ويبدو لنا أنهم مختلفين على موقع مرسى سفينة نوح فقط، وبالتدقيق سنجد أن عددًا كبيرًا جدًا من هذه الأقوال تُبدي اتفاقها على المنطقة الواقعة شرق تركيا بين حدود آرمينيا وأذربيجان والعراق وسوريا وإيران بتقسيمات الحدود الحالية، وبدا ذلك في نصوص «الكتاب المقدس»، وكتابات غالبية المؤرخين المسلمين، وبعض محاولات المستكشفين، وهذا ما سنركز عليه.

أطلق القرآن الكريم على هذا الجبل اسم «الجوديّ»، وقِيلَ عن «الجوديّ» إنه بـآمِد ديار بكر (بتركيا قريبًا من حدود سوريا وحدود العراق)، وقيل هو جبل يقع في جنوب الهضبة الأرمينية، وقيل هو جبل بالجزيرة (قرب الموصل العراقية)، وهذا ما أكده غالبية المؤرخين كالطبري في تاريخه ومن نقل عنهم(387)، وذُكرَ في معجم البلدان بأنه: «جبلٌ مطلٌ على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل، عليه استوت سفينة نوح، عليه السلام.. وأكمل قائلًا: خرج نوح ومن معه من السفينة وبنى مسجدًا ومذبحًا لله تعالى وقرَّب قربانًا.. ومسجد نوح، عليه السلام، موجود إلى الآن»(386)، وكذلك قِيلَ في خبر الأقطار: «جبل الجودي بالجزيرة وهو قبل «قردي» وحدَّث من رآه أنه ثلاثة أجبال بعضها فوق بعض، يصعد إلى الأول في أعلاه جب للماء.. ثم يُصعَد إلى الجبل الثالث وهو الذي استوت عليه السفينة، وهناك حجر يقولون إن عليه نزلت، وهو شِبه سفينة، وهناك بيعتان للنصارى ومسجد للمسلمين.. أكمل قائلًا: وفي أسفل هذا الجبل مدينة «ثمانين»(385)، ومدينة ثمانين هي المدينة التي يُعتقد أنها أول مدينة بناها نوح على الأرض بعد الطوفان.

وكذلك جاء في دائرة المعارف الإسلامية:»الجُوديّ جبلٌ شامخ في الشمال الشرقي لجزيرة ابن عمر، وترجع شهرة هذا الجبل إلى استواء سفينة نوح عليه، وجاء في الكتاب المقدس: أن الفُلك استقر على جبل أرارات، هذا الجبل يعرف بـ (ماسيس) في أرمينيا، وتذهب بعض التفاسير الدينية إلى أن الجبل المعروف بجبل الجودي هو بالأرمينية «كردخ» كما تقول المصادر المسيحية، وهو المكان الذي استقر عليه فُلك نوح»(384)، وفي التاريخ الآرميني ستجد عندهم لمنطقة جبال آرارات ثلاثة مسميات وهم: أرارات - الجودي - قردي.(383)

وبالتدقيق في كل هذه الأوصاف ستجدها كلها أماكن قريبة من سلسلة جبال آرارات (هضبة أرمينية)، وبعضها يصف أحد جباله بالتحديد(382)، ويربط العديد من أصحاب هذا التصور أن هذا الامر يتطابق مع ما جاء في «سفر التكوين» بأن السفينة رست على جبل من مجموعة جبال آرارات(381).

وكلمة آرارات أو آراراط هي كلمة عبرية مأخوذة من أصل آكادي (أورارطو)، أطلقت على منطقة جبلية في غرب آسيا، وهي أعلى مكان في «هضبة أرمينية»، وكما هو واضح تتداول الغالبية أن على أحد هذه الجبال استقر فُلك نوح، وقمة هذا الجبل يُطلق عليها «أرارات»، واسمها في التركية «اغري داغ»(380).

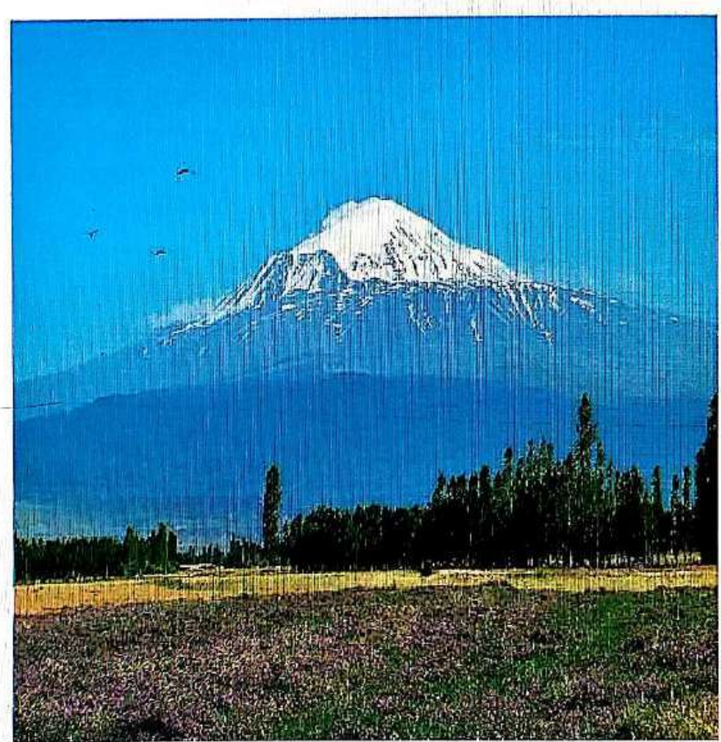


لوحة تخيلية تحت اسم (نزول نوح من أرارات) بريشة إيفان إيفازوفسكي

وبقراءة الكتاب المقدس ستجده لم يقل إنها رست على قمة جبل آرارات، لكنه قال إنها رست بآرارات، أي أنه ربما يكون المقصود أنها رست على مكانٍ ما داخل هذه الهضبة، فالمرتفعات الأرمنية أو الهضبة الأرمنية هي اسم يطلق على سلسة المرتفعات الواقعة شرقي الأناضول والممتدة من جورجيا بالشمال الغربي حتى شمال سوريا جنوبًا، وترتبط شرقًا بالهضبة الإيرانية وغربًا بهضبة الأناضول.(379)

وصيغة الجمع التي جاءت بـ «الكتاب المقدس» هنا تدل على أن الإشارة ليس معناها قمة جبل أراراط، فالتوراة لم تحدد الجبل بالضبط، لكن فيما معناه أنها قالت هو جبلٌ ما، في منطقة سلسلة مرتفعات أراراط، وفي عبرية التوراة «أراراط» بيقصد بها أرمينية أي الهضبة الآرمينية نفسها(378)، وهو الإقليم الجبلي من أرمينية، وعقلانيًا من الصعب التفسير بأن يكون المقصود بأراراط هو قمة جبل أراراط لأنها أساسًا قمة بركانية تقع بعيدًا عن الإقليم الرئيسي وترتفع من منخفضات نهر أراس إلى نحو ١٧.٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، وتقابلها قمة أخرى على بُعدِ سبعة أميال يصل ارتفاعها إلى ١٣.٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، ويسميها

الأرمينيون «ماسيس»، وهذا معناه أن الكتاب المقدس لم يُسَمِّ جبلًا بعينه لمرسى سفينة نوح، لكنه ببساطة قال إنها رست على جبل ما داخل منطقة «جبال أرمينية» كما ذكرنا(377)، أما القرآن فحددها بالجودي.



قمة جبل آرارات البركاني وهو أعلى قمة جبلية في سلسلة المرتفعات الآرمينية، ويقع شمال شرق تركيا بمقاطعة أغري على الحدود الأرمينية والإيرانية

لكن هذا يشعرنا بشيء من الحيرة والشعور بالتناقض لمجرد معرفتنا أن جبال أراراط اليوم تقع في تركيا - لكن الأمر أبسط من ذلك - لأنَّ منطقة جبال أراراط كانت لقرون طويلة جزءًا تاريخيًا من الولايات الأرمينية، ثم سقطت في يد الإمبراطورية العثمانية، ثم الإمبراطورية الفارسية، وبعد الحرب الروسية الفارسية تم ضمُّها إلى الإمبراطورية الروسية كجزءٍ من مقاطعة أرمينية، ثم لاحقًا إلى حكومة «إيريفان»، ولكن بعد الحرب العالمية الأولى خضعت هذه المنطقة لإدارة جمهورية أرمينية الديمقراطية كجزءٍ من مقاطعة أرارات، ولكن تم التخلي عنها إلى تركيا عن طريق الاتحاد السوفيتي إزاء «معاهدة قارص» في ١٣ أكتوبر ١٩٢١م، وهذا يوضِّح أن هذه المنطقة كانت هي والهضبة الأرمينية موقعًا واحدًا.

وبعد كل هذه الأقوال التي وردَ ذكرُها نستنتج: أن تعدُّد الأسماء لمكان رسو السفينة عند كل جماعة يتلخص في: (آراراط، قردي، أغري داغ، كرداخ، ماسيس، الجودي)



صورة توضح المسافة بين قمة أرارات وجبل الجودي الذي أقرت السلطات التركية بأنه هو مرسى سفينة نوح

وبالذهاب إلى الخريطة سيتضح أن هذه البقعة الشاسعة التي توافق عليها «سفر التكوين» وغالبية المؤرخين المسلمين، ربما يكون المقصود بها المنطقة الواقعة على الحدود الشرقية لتركيا، المحاذية لحدود كلٍّ من آرمينية وأذربيجان وإيران، والعراق، والحدود السورية، ومن الواضح أن الروايات المنقولة في هذه البلدان تؤكد ذلك، فربما تكون كل هذه الأسماء هي مسميات لمنطقة واحدة، والسبب هو تعاقب الأجيال والحضارات واللغات على هذه المنطقة الشاسعة التي تعتبر قريبة من كل هذه الدول بحدودنا الحالية، والتي يُعتقَد أن فيها حطت سفينة نوح - على حدّ قول أصحاب هذه الآراء - ثم نزل منها هو ومن معه وبنوا قرية «ثمانين» بعدد الأشخاص الناجين من الغرق، وبنوا مسجدًا لا تزال آثاره باقية (وقت كتابة المؤرخين)(376).

وبرغم هذا التوافق النسبي ليس هناك قولٌ قاطعٌ في شأن جبل الجودي، فقد قيلت أقوال اجتهادية أخرى، منها من قال: إن الجودي لا يُقصد به جبل معين، بل الجوديّ اسم لكل جبل(375)، وكذلك نرى دولًا عديدة الآن تدعي وجود سفينة نوح على أرضها في شرق الأرض وغربها، وعدم ذِكر القرآن مكان الجودي سببه أن العبرة ليست في المكان وإنما العبرة في القصة، وكل ما جاء في هذه القصة مجرد تخمينات.(374)

وبعد كل هذه الأقوال التي وردَ ذكرُها نستنتج: أن تعدُّد الأسماء لمكان رسو السفينة عند كل جماعة يتلخص في: (آراراط، قردي، أغري داغ، كرداخ، ماسيس، الجودي)



صورة توضح المسافة بين قمة أرارات وجبل الجودي الذي أقرت السلطات التركية بأنه هو مرسى سفينة نوح

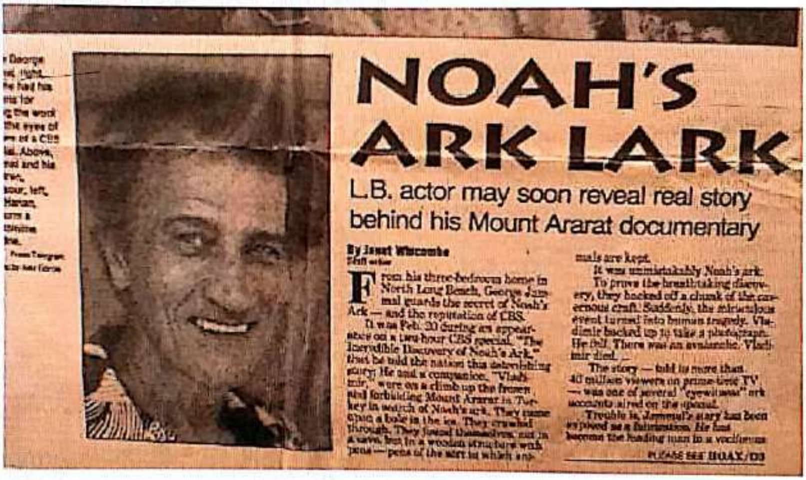
وبالذهاب إلى الخريطة سيتضح أن هذه البقعة الشاسعة التي توافق عليها «سفر التكوين» وغالبية المؤرخين المسلمين، ربما يكون المقصود بها المنطقة الواقعة على الحدود الشرقية لتركيا، المُحاذية لحدود كلٍّ من آرمينية وأذربيجان وإيران، والعراق، والحدود السورية، ومن الواضح أن الروايات المنقولة في هذه البلدان تؤكد ذلك، فربما تكون كل هذه الأسماء هي مسميات لمنطقة واحدة، والسبب هو تعاقب الأجيال والحضارات واللغات على هذه المنطقة الشاسعة التي تعتبر قريبة من كل هذه الدول بحدودنا الحالية، والتي يُعتقد أن فيها حطت سفينة نوح - على حدّ قول أصحاب هذه الآراء - ثم نزل منها هو ومن معه وبنوا قرية «ثمانين» بعدد الأشخاص الناجين من الغرق، وبنوا مسجدًا لا تزال آثاره باقية (وقت كتابة المؤرخين)(376).

وبرغم هذا التوافق النسبي ليس هناك قولٌ قاطعٌ في شأن جبل الجودي، فقد قيلت أقوال اجتهادية أخرى، منها من قال: إن الجودي لا يُقصد به جبل معين، بل الجوديّ اسم لكل جبل(375)، وكذلك نرى دولًا عديدة الآن تدعي وجود سفينة نوح على أرضها في شرق الأرض وغربها، وعدم ذِكر القرآن مكان الجودي سببه أن العبرة ليست في المكان وإنما العبرة في القصة، وكل ما جاء في هذه القصة مجرد تخمينات.(374)

وفي العصر الحديث ذهب العديد من المستكشفين للبحث عن بقايا سفينة نوح في منطقة آرارات، وفي منطقة شرناق جنوب شرق تركيا التي تقع على المثلث الحدودي التركي العراقي السوري، وسنشرح أشهر هذه المغامرات.

محاولات البحث عن السفينة

حول مغامرة اكتشاف سفينة نوح تجد محاولاتٍ ومسابقاتٍ، وقد زعم العديد من المستكشفين العثور على حطام سفينة نوح أكثر من مرة وفي أماكن مختلفة، وفي الحقيقة لا يسعنا أن نذكر جميع الرحلات الاستكشافية ونتائجها لكثرتها، بالإضافة لوجود عشرات الادعاءات لمزورين قالوا بأنهم وجدوا بقايا سفينة نوح، كالتي ظهرت في نوفمبر ١٩٨٥م من قِبل الممثل العالمي «جورج جمال»(373).



NOAH'S ARK LARK

L.B. actor may soon reveal real story behind his Mount Ararat documentary

By Janet Wiscombe
Staff writer

From his three-bedroom home in North Long Beach, George Jammal guards the secret of Noah's Ark — and the reputation of CBS.

It was Feb. 20 during an appearance on a two-hour CBS special, "The Incredible Discovery of Noah's Ark," that he told the nation this astonishing story: He and a companion, "Vladimir," were on a climb up the frozen and forbidding Mount Ararat in Turkey in search of Noah's ark. They came upon a hole in the ice. They crawled through. They found themselves not in a cave, but in a wooden structure with pens — pens of the sort in which animals are kept.

It was unmistakably Noah's ark.

To prove the breathtaking discovery, they hacked off a chunk of the cavernous craft. Suddenly, the miraculous event turned into human tragedy. Vladimir backed up to take a photograph. He fell. There was an avalanche. Vladimir died.

The story — told to more than 40 million viewers on prime-time TV — was one of several "eyewitness" ark accounts aired on the special.

Trouble is, Jammal's story has been exposed as a fabrication. He has become the leading man in a vociferous

PLEASE SEE HOAX/B3

قصة جورج جمال في الصحف

قال «جمال» كذبًا أنه بحث عن سفينة نوح بين عامي ١٩٧٢- ١٩٨٤م، واقتنع بكلامه المجتمع العلمي، وبعد محاولات من الضغط عليه اعترف بأنه اختلق القصة بأكملها، وأن الخشب الذي تم تصويره في الواقع عبارة عن خشب صنوبر، تم العثور عليه بالقرب من بعض خطوط السكك الحديدية في لونج بيتش - كاليفورنيا، وبدوره قام بغليه مع التوابل وخبزه في فرن، حتى يكون واقعيًا، ويُمكنه من خداع عقول العالم.(372)

دَعْنَا نستثني كل هذه الأخبار المزيفة، ونذكر فقط الرحلات التي قامت وتم توثيقها، أي أنها بُذل فيها مجهود حتى وإن كانت التجربة فاشلة، ولكن لكثرة المحاولات لن نذكر إلا أشهرها:

القرن التاسع عشر:

القصة تحكي رواية أحد الرحالة بأن «الأرمن» منذ مئات السنين، يؤمنون بأن هناك بقايا لسفينة نوح على قمة جبل من أحد جبال «أرارات» ولا سيما القمة الرئيسية، وقد شاع منذ أكثر من مائتي عام أن مجموعة كشافة عثمانيين عثروا على موقع السفينة، وبعد ذلك اتضح أنها مجرد شائعات، ولكن هذا الأمر استدعى أستاذ الفلسفة «فريدريك باروت» للإقبال على مهمة تسلق مجموعة جبال آرارات العالية في عام ١٨٢٩م، لكي يسجل اسمه في التاريخ كأول شخص يقوم بتسلُّق هذا الجبل بحثًا عن بقايا فُلك نوح(371)، لكنه بعد انتهاء هذه المهمة الشاقة تفاجأ بعدم رؤية أي حطام للسفينة، لكنه برَّر ذلك بأنه ربما تكون السفينة قد طُمرَت تحت الجليد الموجود بكثافة على قمة الجبل كما هو ظاهر بالصورة.

تبدو مهمة فريدريك غير مفيدة، لكنها فتحت الباب لآخرين لمحاولة تسلُّق الجبل من جديد، فقد قرر المؤرخ الإنجليزي «جيمس برايس» تكرار التجربة في عام ١٨٧٦م(370)، وبعد الوصول لقمة الجبل عثر على قطعة من الخشب مدفونة بأعلى، وعاد من رحلته وهو مقتنع تمامًا بأنها من بقايا سفينة نوح(369)، ولكن لم يعتبر العالم هذا الأمر مُثبتًا علميًّا.

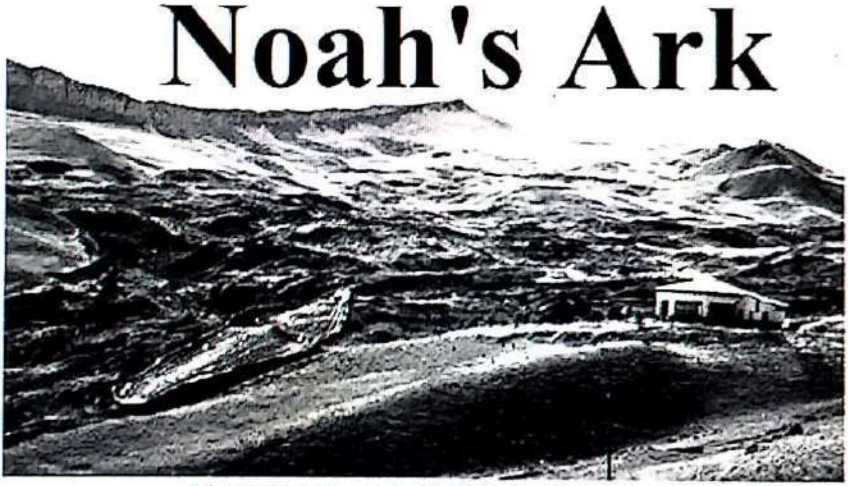
القرن العشرون:

مع دخول القرن العشرين زاد الولع بالفوز بمبادرة العثور على سفينة نوح، التي انشغل بها العالم على مدار آلاف السنين... وفي منتصف القرن العشرين حدث زلزال في شرق تركيا، وتم اكتشاف شكل لتقولب في أحد الأماكن، لأول مرة على يد ضابط الخرائط التركي النقيب «إلهان دوروبينار»، في ١١ سبتمبر١٩٥٩م(368)، أثناء عمله بالمديرية العامة للخرائط على خريطة منطقة «دوغو بايزيد»، وبعد نشر هذا الاكتشاف بالصُحُف والمجلات الوطنية بتسعة أشهر بالتمام والكمال، تتبع الأمر أحد أهم خبراء المسح التصويري في العالم وهو البروفيسور «آرثر براندنبيرغر» من جامعة «أوهايو الأميركية»، وانطلق معه البروفيسور «جورج فاندمان» من معهد «واشنطن للأبحاث الأثرية»(367)، ومعهما صحفي سويدي وثلاثة عمال أوروبيين، وانطلقوا جميعًا لزيارة منطقة «دوغو بايزيد» لتفقد سفينة نوح، بعد الحصول على التراخيص مِن قِبَل الحكومة التركية برعاية وتمويل اتحاد الكنائس، وأثناء البحث والتحري تقابل أفراد البعثة مع فلاح كُردي يتردد على المكان باستمرار، يُدعى «رشيد سرحان»، والذي أكَّد لهم أن هذا الشكل لم يكن موجودًا من قبل، وأنه بدت ملامحه واضحة بعد وقوع الزلزال، وأن هذا الشكل الذي يشبه السفينة، ظهر إثر حدوث انزلاق أرضي في أحد الحقول، وقال إن هناك فلاحين عدة قد شاهدوا هذا الأثر، لكن مع التحريات لم يجد أحدهم أيّ

شهود عيان غيره.

على الفور قامت صحيفة Life magazene في الصفحة الثانية - عدد شهر سبتمبر - عام ١٩٦٠م، بعمل سَبْق وتحقيق عن خبر اكتشاف سفينة نوح لأول مرة، وأدمجت معه صورة الاكتشاف، ولكن بعدها بأشهر فاجأهم «جورج» وقال إنه قد تبين له أن التقولب المثير للجدل ما هو إلا تكوين جيولوجي طبيعي.

تجدّد الشغف مجددًا وظهر بَطَلان جديدان على الساحة وهما المستكشف «رون وايت»، وخبير الإنقاذ «ديفيد فاسولد»، اللذان ذهبا للموقع ليتفقدا هذا الأثر ما بين أعوام ١٩٧٧، و١٩٧٩، و١٩٨٤م(366)، وقالا إن هذا الأثر يُحتمل أن يكون لسفينة نوح، وبعد سنوات من الدراسة صرح «رون وايت» بأن موقع السفينة يرتفع حوالي ٦.٣٠٠ قدم فوق سطح البحر، وعلى بُعد حوالي ٢٠٠ ميل عن البحر، وبناءً على ذلك اعترفت الحكومة التركية بالحدَث، وأعلنت عن أن الموقع سيصبح حديقة وطنية ليتعرف العالم على قصة السفينة، واستغلت هذا الاكتشاف في الترويج للموقع سياحيًا منذ عام ١٩٨٦م(365).

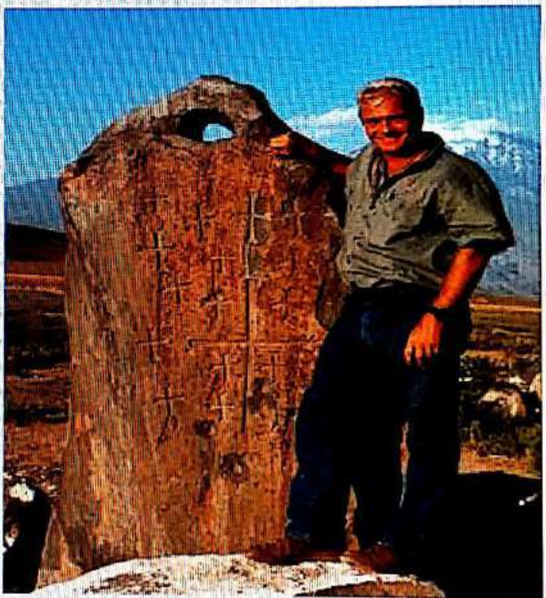


Noah's Ark and the Visitor's center

الموقع الذي أُعلن عن أنه جبل الجودي شرق تركيا، ويتضح من الصورة شكل القالب الذين قالوا أنه تقولب بسبب السفينة

انضم لفريق العمل بعد ذلك عالم الجيولوجيا «جون بومغاردنر»، ودافع هو و«ديفيد فاسولد» عن الاكتشاف، وقالا إنهما متأكدان من أن هذا الاكتشاف هو مرسى سفينة نوح، لكن كليهما تراجع عن رأيه بسبب شكوكهما بشأن النتائج، وانفصلا في النهاية عن «رون وايت» الذي

ظل متمسكًا بالاكتشاف(364)، ثم في عام ١٩٩٦م شارك «فاسولد» في تأليف بحث مع الجيولوجي «لورانس جي كولينز» أكدا فيه أن هذا الاكتشاف لم يكن لمرسى سفينة نوح على الإطلاق، ولا حتى نموذجًا من صنع الإنسان، وصرح «لورانس» أن بعد دراسة عينات من الصخور وبعض الصور الفوتوغرافية للموقع اتضح له أن هذا التقولب ما هو إلا تكوين طبيعي للصخور(363)، ونحو هذه الفكرة أكد الجيولوجي «أيان بلايمر» نفس الكلام بعد زيارة الموقع، وقال إنه عبارة عن تكوين جغرافي طبيعي يُعرَف بـ «السباينكلاين»، وبعدها قال المستكشف «ديفيد فاسولد» حول هذا الاكتشاف بعد أن أثبتت الحفريات أنه مجرد تكوين طبيعي، في محاولة لتبرئة نفسه من تهمة ادعاء اكتشاف علمي: «لقد اعتقدت فعلًا أنني كنت قد وجدت سفينة نوح لأنني كنت محاطًا بأشخاص أرادوا العثور على سفينة نوح، فقد كان حجمه وموقعه مناسبين، كما أخبرني الناس أن الأدلة التي عثرنا عليها جيدة»(362).



صورة صخرة زعموا أنها أحد مراسي السفينة

كذلك في منتصف الستينيات، ادعى مهندس النفط «فريد دريك» أنه شاهد ست صور لسفينة نوح في عام ١٩٥٤م، وأن من التقط الصور زميله «جورج جرين»، الذي كان قد استقل طائرة هليكوبتر حول جبل أرارات أثناء عمله في شركة تركية خاصة بخطوط أنابيب النفط، وأظهرت الصور نتوءًا مجهولًا على الجبل يشبه مقدمة سفينة خشبية كبيرة، توصل تحقيق أجرته مؤسسة الأبحاث الأثرية إلى أن «جرين» حاول وفشل في تنظيم رحلة استكشافية

إلى أرارات(361)، ثم توفي بعد ذلك في عام ١٩٦٢م، ولم يكن أصدقاء جرين وعائلته متأكدين مما حدث للصور التي التقطها لـ «آرارات»، والتي لم يتم العثور عليها مطلقًا حتى هذه اللحظة.

عادت هذه القصة للأذهان مرةً أخرى بعد ما نُشر مقالٌ بقلم الصحفي «بيل كراوس» عام ١٩٩٠م، قال فيه إن هناك تكوينات طبيعية مختلفة في أرارات، بدت وكأنها تشبه محط سفينة في الصور، وقال ربما تكون قصة جرين حقيقية، وأنه غير مُدَّعٍ، وأن هذا الشكل ربما هو نفسه الذي رآه(360).

مرت السنوات وما زال البحث جاريًا عن سفينة نوح في كل مكان، ومع تقدُم التكنولوجيا استطاعت الأقمار الصناعية التقاط صورٍ مثيرة تُظهر نتوءًا في قمة جبل آرارات، وقتها انقلب العالم رأسًا على عقب، وبدأ السباق من جديد، لدرجة أن رجل أعمال ثري تبرَّع بمبلغ قدره تسعمائة ألف دولار لأي فريقٍ عِلميٍ مستعدٍ للبحث عن السفينة، ولكن هدأ الولع مجددًا بعدما أقرت مجلة National Geographic بأن هذه الصورة المأخوذة مشكوك في صحتها.

محاولات «جيميس إروين» الثمانية

وفي السبعينيات أبدى رائد الفضاء الشهير «جيمس إروين» رغبته في الانضمام إلى إحدى بعثات البحث عن سفينة نوح، لكن من سوء حظه أن في ذلك الوقت كانت السياسة التركية قد أغلقت جبل «أرارات» أمام المستكشفين، وحُرم إروين من الحصول على تصريح، ثم في أعقاب انقلاب ١٩٨٠م، سمحت له شهرته القوية بإقامة علاقة مع الرئيس «كينان إيفرين» الذي دعاه لقيادة بعثة استكشافية في عام ١٩٨٢م(359)، ولكن انتهت بعد ذلك مهمة إيروين بكارثة، عندما غادر وحده دون المجموعة بحثًا عن طريق مختصر للقمة، وسقط عن المسار، لم يتذكر بعد ذلك سبب السقوط، لكنه توقَّع لاحقًا أنه وقع في انهيار صخري وأصيب بصخرة، واستيقظ بعد ساعات مصابًا بجروحٍ بالغة، وزحف وهو ملتفٌ في غطاء نومه لينجو من الجليد في قسوة الليل، وظلَّ ليلةً كاملة يسارع الموت، حتى تفاجأ بعد طلوع النهار بفريق الإنقاذ الخاص بالبعثة يتسلل لإنقاذه، وأنزلوه من الجبل لتلقي العلاج.(358)



جيميس إروين

ومع دخول شهور الصيف قرَّر «إروين» تنفيذَ محاولةً أخرى مع بداية أغسطس ١٩٨٣م، وشاركه في رحلة البحث «مارفن ستيفنز»(357)، ومن ثَم استأجرا طائرة لمسح منطقة آرارات من أعلى، وقادا رحلة استكشافية مكونة من اثنين وعشرين فردًا، كان فيهم عدد كبير من عائلة «إروين»، وأثناء التسلُّق قال مرشد تركي أنه رأى خشب السفينة بسبب انحسار خط الثلج، فسعدوا جميعًا من الخبر، وقرَّر الفريق الاتجاه نحو ما ادعاه المرشد(356)، لكن قامت عاصفة ثلجية وأجبرت الفريق على العودة، قبل أن يتمكنوا من الوصول إلى الموقع(355)، حينها صرَّح إروين قائلًا: «من الأسهل السير على القمر، لقد فعلتُ كل ما في وسعي، لكن الفُلك ما زال يراوغنا.(354)»

كان إروين ينوي بالفعل الإقدام على محاولة أخرى في عام ١٩٨٤م، برغم اعترافه باستحالة وجود السفينة، لكن في نفس الوقت ما زال اعتقاده الراسخ يؤمن بأن السفينة كانت موجودة بالفعل، إلا أنه كان أقل يقينًا من عدم تدميرها على مَرّ القرون، وقال: «إن احتمال بقائها على الإطلاق ضئيل»، كما اشتبه في أن العديد من المشاهد التي تم الإبلاغ عنها على جبل أرارات كانت خاطئة(353)، وبرغم يئسه أقدم على المحاولة، وتسلق الجبل في ذلك الصيف للبحث عن الخشب الذي شوهد في العام السابق، ولكن عندما وصل إلى الموقع الذي أشار إليه المرشد سابقًا في العام الماضي، وجد فقط زوجًا من الزلاجات(352) المهجورة

(351).

وعندما جاء عام ١٩٨٥م قرر إروين تكرار التجربة، ولكن وقتها كانت الأوضاع السياسية حساسة، فقد وصلت أكمنة المتمردين الأكراد إلى ناحية جبال آرارات بحثًا عن السفينة (350)، وبحلول الوقت الذي تمكن فيه إروين من الصعود في ٢٤ أغسطس، شمح لخمسة فقط من أعضاء فريقه المكون من اثنين وعشرين عضوًا بمرافقته، ورافق الحملة ثلاثون جنديًا تركيًا(349)، وأثناء الوصول إلى القمة حدث شيءٌ غريبٌ، حيث تفاجأت البعثة بأمرٍ من المسؤولين الأتراك بالنزول، وبحلول الوقت الذي حصلَ فيه الفريق على الإذن باستئناف المهمة مرة أُخرى، كانوا منهكين للغاية بحيث لا يمكنهم الاستمرار، والسبب في التعطيل وفقًا لتصريح السفير الأمريكي في تركيا وقتها «روبرت شتراوس هوبي»، أن الحكومة كانت تردُّ على إحدى المناورات السوفيتية بالقرب من الحدود، وتخشى أن يصبح «إروين» هدفًا ذا قيمة عالية للإرهابيين(348).

خطّط إروين للقيام برحلة سادسة إلى آرارات في بداية يوليو ١٩٨٦م، مع فريق أصغر(347)، ولكن تعطلت هذه الخطة في يوم ٦ يونيو عندما عانى من عدم انتظام ضربات القلب، وبرغم ذلك بحلول يوليو أستئنفت الرحلة، وبعد الانتهاء من مسح جوي لأرارات، تم اعتقال فريق إروين في فندقهم بتهمة انتهاك المجال الجوي السوفيتي والإيراني(346)، ثم تم إطلاق سراح المجموعة كاملةً بمجرد أن أكد المسؤولون المحليون أن رحلة إروين قد تم السماح بها، حينها شعر إروين باليأس وصرّح قائلًا: «أعتقد أنني فعلت كل ما بوسعي لجذب الانتباه إلى الفُلك، وأعتقد أن الوقت قد حان ليبدأ الآخرون في البحث.»(345)

بدا أن استسلام إروين قد طغى، ولكن أقنعت موجة الحر التي هبت على تركيا عام ١٩٨٧م إروين بتغيير رأيه، والعودة لانطلاق رحلته السابعة إلى جبل أرارات(344)، كان يعتقد أن درجات الحرارة الدافئة ربما تكون قد قامت بإذابة درجة كافية من الأكوام الجليدية في الجبل، لتسهيل اكتشاف سفينة نوح من الهواء(343)، ولكن باءت المحاولة بالفشل(342)، وشارك «إروين» في رحلة ثامنة عام ١٩٨٨م، لكن هذه المرة من منزله بسبب ظروفه الصحية، وأناب بدلًا منه «بوب كورنوك»(341)، ولكن لم تقدم هذه الرحلة أي جدوى.

مرت سنوات أخرى وما زال البحث جاريًا، وفي عام ٢٠٠٤ م، أثارت إحدى البعثات ضجة في

المجتمع العلمي، بعد ما ادعت بأنها تمكنت من اكتشاف سفينة نوح، لكن رُفض بحثهم، وقيل إنه لا يُفيد ولا يثبت وجود السفينة.

وثمة محاولات أخرى عديدة جميعها دون جدوى، ودون اعتراف علمي قاطع، وما جعل الأمر أكثر تعقيدًا هو التصريح الثابت في عقول الباحثين، والذي قاله العالم «أندرو سنلينغ»: بأن جبل أرارات تكوّن بعد أن تراجعت مياه المحيط، ولكن قد تكون حطت السفينة على جبلٍ عالٍ آخر في المنطقة في ذلك الوقت»، وهذا التصريح قد وسّع دائرة البحث وأرهق أذهان الباحثين.

كل هذا يؤكد أن مكان مرسى السفينة صعب تحديده كما ذكرنا، وأن ما نستطيع تحديده فقط، مجرد تخمين بأن السفينة قد حطّت على جبلٍ ما في المنطقة الشاسعة التي تحاذي مجموعة الدول التي ذكرناها، وربما لم تحط في هذه المنطقة أصلًا، فهذه مجرد تخمينات.

وهذا يُلخص لنا - برغم كل الادعاءات المنتشرة - أن سفينة نوح لم يتم العثور عليها بشكل قاطع حتى هذه اللحظة، لتكون آيةً وعبرةً للناس كما قال القرآن الكريم(340)، فربما كانت آيةً للسابقين من سلالة أبناء نوح بعد الطوفان فقط، وربما كانت موجودة وواضحة في العهود السابقة ولم ندركها، حيث قال البعض إنها كانت موجودة حتى زمن العباس، وربما لم تُكتشف وسيتم الكشف عنها مستقبلًا.

على كل حال انتهت رحلة نوح ومن معه، ونزلوا من سفينتهم إلى جبل الجوديّ، لكي يُعمروا الأرض الجديدة، ويبنوا أول قرية في التاريخ الجديد ليعيشوا فيها.

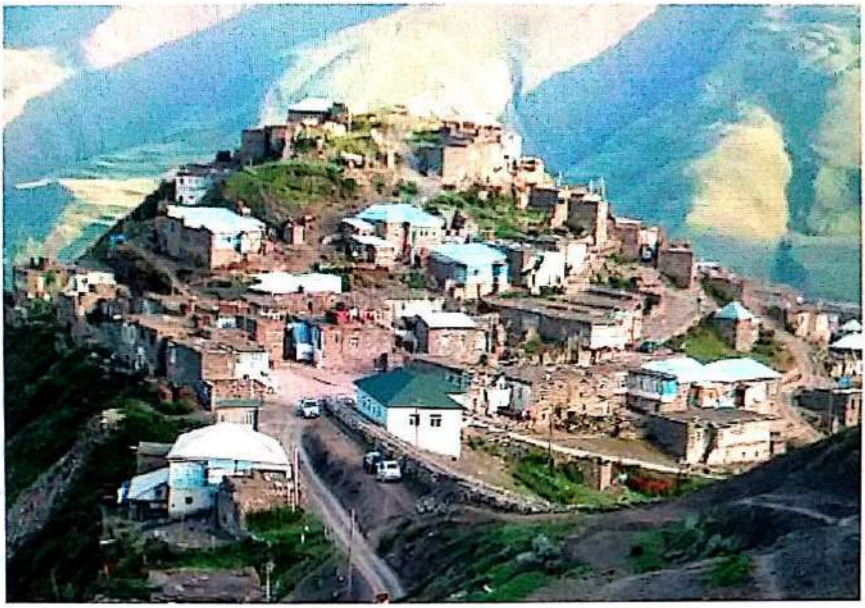
الثمانين - أول قرية على الأرض بعد الطوفان

استراح الناجون من رحلتهم التي كانت طويلة وشاقة، ولم يوجد على الحياة الجديدة سوى هؤلاء الأشخاص المعدودين، وشرع الناجون في بناء سكن يأويهم من عوامل الطبيعة، فابتنوا قريةً صغيرة، وصلى فيها نوح وأقام مذبحًا له، وأصبحت هذه المنطقة هي أولى القرى في العالم الجديد، وسميت هذه القرية باسم «قرية الثمانين» نسبةً للثمانين شخصًا الذين سكنوا فيها، وهم من كانوا على السفينة لا غيرهم، ويبدو أن هذه القرية كانت قائمة حتى عاصرها المؤرخون المسلمون الذين نقلوا لنا هذا الخبر، وقالوا إنها كانت بغير سورٍ، وأنها كان بداخلها أربعون قبرًا بهم قباب، يقال إنهم لأربعين شخصًا ممن نزلوا من السفينة وعاشوا وماتوا في هذه القرية، ولهذه القباب مشهد عظيم يجتمع فيه المسلمون في كل عامٍ ثلاثة أيام (على حسب سنوات تأريخهم والتي تتعدى الخمسمائة عام فيما مضى وأكثر) (338)،(339).

وقيل إن هذا المكان كان قريبًا من نهاوند (بإيران حاليًا) حيث تم العثور تحت مياهه فيما بعد على قرية «نهاوند» الأثرية، ووجدوا فيها آثارًا وأهرامات قيل إنها تعود إلى «هرمس الهرامسة»، ليكرر هذا الكلام الرأي الذي استعرضناه بأن هناك طائفةً كبيرةً ترى أن هرمس هو «إدريس»، حيث أن العرب منذ العصور الوسطى اعتقدوا أن أهرام «نهاوند» وبرابيها المدفونة، كان قد بناها قبل ذلك نبي الله «إدريس»، وأنه ربما يكون هو «هرمس الأول» نفسه.(337)

وبالبحث عن هذه القرية حاليًا نجد أنها غير واضحة بشكل بارز، فربما كانت موجودة بهذا الاسم ثم تغيّر اسمها، أو ربما تغير معمارها القديم واستُحدثت وطُمر تراثها، فموقعها الحالي ربما يكون مجهولًا، ولكن ما أورده المؤرخون أنها كانت من نواحي جزيرة ابن عمر بالقرب من الموصل، وهي أول قرية بُنيَت بعد الطوفان، وكثرَ الخير فيها بعد ذلك وكان فيها جامع ونهر جار(336)، ويقال إن فيها وقع الوباء فمات من كان مع نوح إلا نوح وأبنائه وزوجاتهم، ليتجدَّد النسل منهم(335)، ولكن يبدو هذا أنه من الصعب حدوثه، فحتى لو كان الله لا يريد نسلًا من صحبة نوح كان سيفعل ذلك، دون أن يعاقب هؤلاء الصالحين بالوباء، والله أعلم.

وهناك طائفة كبيرة حاليًا تعتقد أن هذه القرية ما زالت موجودة حتى الآن داخل حدود دولة «أذربيجان» التي تُحاذي إيران وآرمينية وتركيا، وبرغم أنها لم تكن قريبة من الموصل كما وردَ، لكنها تقبع بالقرب من المنطقة الشاسعة التي يُعتقد أن سفينة نوح رست فيها، وهذه القرية اسمها حاليًا قرية «خيناليق»، والتي تُعتبَر من أكثر المناطق ارتفاعًا وبُعدًا وأكثر القرى عزلةً، إذ تقع وسط جبال القوقاز الكبرى على ارتفاع ٢٣٦٠ مترًا فوق سطح البحر، وتتميز هذه القرية الغريبة بارتفاعها وصعوبة الوصول إليها، وحفاظها على تراثها الفريد، وتحتوي حاليًا على حوالي ٢٠٠٠ نسمة، جميعهم يعتنقون الإسلام بغالبية شيعية، ولهم لغة خاصة بهم اسمها «لغة الخينالوج»، بالإضافة إلى وجود مجموعة من العادات والتقاليد الخاصة بهم والتي تختلف عن باقي سكان أذربيجان.



صورة لقرية خينالوج بأربذيجان التي إعتقدوا أنها في موقع قرية الثمانين.

ويعتقد هؤلاء السكان أن أرضهم هذه مرتبطة بـ «نوح» عليه السلام، ويقولون بأن فيها رست السفينة بعدما رأى نوحُ ومن معه هذه المسطحات المرتفعة والعالية، وحينها أمر بالنزول والاستقرار فوق هذا المرتفع الصغير، وهؤلاء السكان يعتبرون أنفسهم حاليًا هم أحفاد نوح، وورثة هذه الأرض، وأنهم زعاة هذه القرية المباركة التي بناها نوح كأول قرية على الأرض بعد الطوفان، وجميعهم يعيشون حياةً بسيطةً ويعملون في رعي الأغنام والحياكة، ولذلك ليس من الغريب مصادفة المئات من الأغنام والأبقار والخيول الخاصة بهم على مسافة ١٠ كيلو مترات باتجاه القرية، ويعيش هؤلاء على ما توفره الطبيعة تاركين الكثير من التكنولوجيا، فعلى سبيل المثال لا يتوفر الغاز في القرية، لذلك يقوم السكان بتدفئة منازلهم باستخدام روث البقر؛ حتى المياه التي يشربونها تأتي من الجبال مباشرة لذلك تصل باردة حتى خلال أشهر الصيف الساخنة، وعن منازلهم القديمة يقولون إنها تلفَت مرات عديدة على مَرّ العصور وأُعيد بناؤها، وأن منازلهم الحالية يتراوح عمرها ما بين مائتي وثلاثمئة عام على الأقل برغم أن غالبيتها من الطوب اللبن.

ولكن تبقى كل هذه الآراء مجرد تخمينات واعتقادات، ليس لها سند أو دليل واضح على صحتها.

وما يمكننا التعليق حوله فقط، هو ما ذكره المؤرخون بأن قرية الثمانين هي أول قرية بناها

نوح بعد الطوفان، وأنها هي القرية التي وَزع فيها ميراث الأرض.

وهناك أساطير عدة نُسجت حول بداية عهد البشرية الثاني، لن نذكر منها ولا قصة، لكن سنذكر حقيقة تم تدوينها في «سفر التكوين» تُفيد بأن نوحًا غضب على ولده حام، فحلت لعنته عليه بسواد البشرة، وأن تكون ذُريته عبيدًا في الأرض أبد الدهر.

٢- حقيقة لعنة حام وولده كنعان

يَذكُر مفسرو «سفر التكوين»، بناءً على الآيات التي جاءت فيه(334)، أن نوحًا بعد انتهاء الطوفان، وبعدما رست سفينته بدأ في ممارسة الزراعة وإعمار الأرض الجديدة، وذُكرَ أنه هو أول من زرع شجرة «الكرم» المُسكرة(333)، ووقتها لم يجد نوح شجرة الكرم، وعندما أبصر فُقدانها، سأل «جبريل» عليه السلام عنها، فأخبره جبريل بأن إبليس قد أخذها، وحينها طلب نوح من إبليس هذه الشجرة فرفض إبليس طلبه، ثم طلبها مجددًا وعرض عليه نوح الثُلث منها فرفض إبليس العرض، فعرض عليه نوح الثُلثين فوافق، وتُشير الآيات إلى أن نوح أكل الكرم فسكر وتعرى وظهرت عورته، فرآها ابنه حام وأحدق بها، وبعدها ذهب حام لأخويه سام ويافث ليخبرهما، فجاءا بسترةٍ ليسترا أبيهما ووجهما للخلف دون النظر في عورته، وحينما استفاق نوح علم بأن حام قد اطلع على عورته ولم يستره، فلعن حفيده كنعان (الابن الأصغر لحام)، ودعا بأن تكون أمته عبيدًا لبقية الأمم التي ستخرج من نسل أعمامه.

وعلى مر الزمان رُبطت هذه اللعنة بلون سواد بشرة الأفريقيين، وبرر بعض العنصريين بأن السود هم العبيد المقصودون في اللعنة، ومن باب الإنصاف يوجد لهذه النظرية آراء رافضة عديدة من مفسري المسيحية واليهودية أنفسهم، ولكن هناك طائفة عريضة بررت ذلك، بل وتعيش معنا في القرن الحادي والعشرين على هذا المبدأ العنصري.

وهذه الواقعة قد شكك فيها - علماء الدين الإسلامي - وقالوا إن الأنبياء معصومون فكيف يسكر أحدهم ويتعرى، وكذلك تتفق جميع الأديان السماوية على مبدأ أن لا تزر وازرة وزر أخرى، فكيف يُعقل أن يقع خطأ من شخص فيلعن نبي الله ولده وهو ليس له ذنب، وقالوا إذا تغاضينا عن ذاك، فلماذا لم يلعن النسل كله، لماذا اختار حفيده «كنعان» بالذات!

ولذلك يدعي غالبية - المفكرين المسلمين - أن هذه القصة تم اختلاقها لكراهية بني إسرائيل الشديدة للكنعانيين الذين سكنوا أرض فلسطين قديمًا، وقيل إنهم جعلوهم أبناءً لـ «كنعان بن حام» هذا الذي خصته تلك اللعنة تحديدًا، وقال - أصحاب هذا الرأي - لماذا لم يتم لعن إخوته الذين يكبرونه: كوش ومصرايم وقوط مع أنهم أيضًا من أولاد حام المذنب! وإذا حقت اللعنة بالفعل على «كنعان»، ما ذنب ذريته كي يعيشوا عبيدًا لسام ويافث وذريتهما!

وفي هذا الشأن خرجت أصواتٌ منتفضة للكثير من المفكرين الذين شجبوا تلك الرواية، منهم ما هو مُسلمٌ ومسيحي، بل ومنهم يهود على حدٍ سواء، وعلى سبيل المثال قال الدكتور المسلم «مصطفى محمود»: «الغرض السياسي هنا واضح بالنسبة لليهودي الذي كتب هذا

الكلام» (يقصد رواية اللعنة)، ولمصطفى محمود وجهة نظر طويلة حول هذا الأمر وتسيسه ضد أهل فلسطين ومصر، يمكنك الإطلاع عليها إن أحببت.(332)

وكذلك ذكر «ليوتاكسل» قائلًا: «وهكذا نزلت اللعنة على كنعان الشاب الذي لم يقترف أي إساءة بحق جده، فهل كان العجوز نوح لا يزال تحت تأثير الخمر عندما نطق بلعنته! ومع ذلك قد كرسها يهوه!»(331)

وكذلك يقول الأب «سهيل قاشا»: «إن العبرانيين قد أدخلوا هذا الفصل في القصة لتبرير امتلاكهم لأرض كنعان وطردهم لأهلها الذين لعنهم «يهوه» بسبب رؤية أبيهم كنعان لصورة أبيه»(330)

وردًا على كل هذه التشكيكات ظهر رأيٌ آخر لبعض المفسرين التوراتين حول ما تم ذكره في أن الطفل كنعان ليس بمظلوم، لأنه ربما يكون هو الذي أبصر عورة جده، وأن حام لم يُبصر عورة أبيه، بل ربما رآه سكرانًا فقط، ثم ذهب لإخوته ليتدبروا حلًا، وفي هذه اللحظة ظهرَ الحفيد كنعان وأبصر عورة جده وضحك، وأن المقصود من كلمة ابنه الأصغر التي ذكرتها التوراة هو ابن حام الأصغر.

لكن هذه التفسيرات قُوبلت بالرفض، وقال المشككون كيف يُعاقب طفل صغير لم يبلغ أشده باللعن هو وذريته على أمر لم يُدرك خطورته!!، وقالوا إن التوراة نفسها قد ذكرت بأن الله بارك لنوح وبنيه في»تكوين:١:٩»(329)، فكيف يُلعن أشخاص قد باركهم الله!، هل رب السماء يتراجع عن قرارته! - هذا على حد رأيهم.

وبعيدًا عن هذا الجدال كله، لا شك في أن تعاليم السماء قد دعت إلى نبذ العنصرية وعدم التمييز، ولم تحدِّد لنا في أي موضع أن لون البشرة ربما يكون سببه لعنة، فكم من جبابرة طواغيت كانت بشرتهم بيضاء، وكم من صالحين كانت بشرتهم داكنة، فلا فرق بين ولد آدم، فآدم قد خلقه الله بقبضة من تراب أو طين من كل أديم الأرض، فخرج الأبيض والأحمر والأسمر وغيره، ولا تميز لأحدهم عن الآخر، ولا دخل للعنة في لون الوجوه.

قال الكثير من الحقوقيين حول العالم أنه قد تم الترويج لهذا التمييز بشكلٍ بارزٍ من قِبلَ الرجل الأبيض أثناء اكتشاف الأمريكيتين، وكانت حجة واضحة لإباحة نشر العبودية في الأرض، وأن البشر السود ملعونون وقاصرون في عقلهم، ولا يليق بهم إلا خدمة الرجل الأبيض، وقد اعتبروا أن واقعة «لعنة حام» هي أول تقسيم عنصري مستند على الدين، وعلى أسسها استمر التمييز حتى العصر الحالي رغم إلغاء العبودية، ففي عام ١٩٦٤م قام سيناتور ولاية فرجينيا الغربية الأمريكي «روبرت بيرد» باستخدام قصة لعنة نوح لحام، كمبرر لإبقاء

سياسة التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية وطالب بذلك في مجلس الشيوخ، وكان بيرد يُعتبر أكبر المعمرين في مجلس الشيوخ آنذاك، ومع حلول عام ١٩٩١م كان لا يزال سيناتوزا في مجلس الشيوخ، وحينها رفض ترشيح قاضيتين من أصول أفريقية أمريكية للمحكمة العليا في الولايات المتحدة، وتكرر الأمر بعدها بسنوات، حيث رفض بيرد في عام ٢٠٠٤ ترشيح «كوندوليزا رايس» لمنصب وزيرة الخارجية بسبب سواد بشرتها وأصولها الأفريقية مستشهدًا في كل ذلك بقصة لعنة حام بن نوح، وقد توفي عام ٢٠١٠ ويبدو أن هناك طائفة كبيرة تتبنى نفس معتقداته.

٣- ميراث الأرض

اجتمع نوح مع بنوه فوق هذا المكان الجديد، وقال لهم إن الله قد أخبره بأن يتكاثروا ويعمروا الأرض ويملأوها بذرياتهم، فقد بارك الله لهم فيها ورفع لعنته عنها، وأخبرهم بأن الأرض قد آذنت بركاتها فأخرجوا ثمرها وكلوا مما رزقكم حلالًا طيبًا، وأمرهم بأن يجتنبوا عبادة الأوثان التي كانت تُعبد فيما سبق، وأخبرهم بأن حُرمت عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذُبح لغير الله، ونهاهم عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

أقر أولاد نوح بالموافقة على وصية أبيهم التي قالها وفي يده ميزان الأرض، وقيل ان الطوفان قد وقع و«سام بن نوح» عمره ثمان وتسعين سنة(328)، ونقلوا عن التوراة أنه ؤلد لنوح سام وحام ويافث بعد خمسمائة سنة من عمره(327)، وهناك من يقول إن يافث الأكبر وحام الأصغر، لكن غالبية المفسرين ذكروا بأن سام هو أكبرهم، وأن أبناء نوح الثلاثة ولدوا وتزوجوا قبل الطوفان، وأن الذرية الجديدة من نسلهم، ولم يكن لقاطني السفينة دونهم أي نسل.

استعدّ نبي الله لكي يوزع جوانب الأرض على أبنائه، حتى يتشعبوا ويتكاثروا فيها ويعمروها مستقبلًا، فالميزان الأول على الحياة الجديدة في حوزته، والسهام قد صنعها، ولم يتبقَّ سوى التقسيم فقط، فأقام قُرعته تنفيذًا لوحي الله، وبعدها قُسمت الأرض الجديدة لثلاثة شطور(326).

أرض سام

بحسب ما ورد - وهَب نوح لسام أرضًا تشمل بيت المقدس وما بين شرق نهر النيل وشرق نهري الفرات ودجلة، وآسيا الوسطى أو بلاد ما وراء النهر، وحدود خراسان وفارس حاليًا، وغربًا حدود بلاد الأرمن والروم، وجنوبًا الجزيرة العربية حتى نهايتها(325)، وهذا ما يحتوي على بلاد: وسط الأرض، والحرم وما حوله إلى عالج إلى طرف بلاد الهند(324)، وفي هذا اليمن، والحجاز، والشام، وبعض الروم، والعراق، وفارس، فهو يُقال عنه أبو العرب والروم والفُرس.(323)

أرض حام

بحسب ما ورد - جعل نوح لحام القسم الغربي كله، ويشمل معه حاليًا أفريقيا حتى منخر ريح الدبور أو بداية قيامها (وهي ريح عاصفة تبدأ من المغرب) ويقال إنها هي التي أهلكت

قوم عاد(322)، وهذا ما يحتوي على بلاد: مصر، وغربها، وبلاد السودان وجنوبها، فهو يُقال عنه: أبو القبط، والبربر، والسودان.(321)، وتحتوي أرضه على أعالي النيل، وبلاد النوبة والبجة، وأصناف السودان مع البحر الأحمر.(320)

أرض يافث

بحسب ما ورد - كان ليافث ما دون ذلك، حيث تبدأ أرضه من أقصى الشمال حيث بلاد الصقالبة حاليًا، وصولًا ألى أقصى الشرق حيث منخر رياح الصبا، (ورياح الصبا هي عكس رياح الدبور وهي رياح لها نسائم عطرة تقوم من أقصى الشرق ويقال هي التي سخرها الله لنبيه سليمان عليه السلام)(319)، وبحسب رواية المؤرخين - هذا ما يحتوي على بلاد الترك (تركمانستان، وكازخستان، وأوزبكستان، وقيرغيزستان، وأذربيجان، وتركيا) وكذلك الصين، وما وراء السد، وبلاد يأجوج ومأجوج، والصقالبة، وبعض الروم، وإفرنجة، والأندلس إلى البحر المظلم، وسواحله(318) فقالوا هو أبو الترك والصين ويأجوج ومأجوج(317).

ومع مرور الوقت كبُر النشأ، وكثُرت الذرية، ومُلئت القرية عن جنباتها، وأصبح لجيل الأحفاد الأول ذُريةٌ وعُزوةٌ.



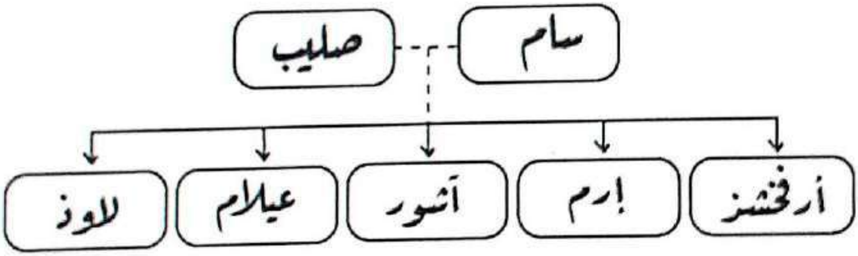
(خريطة من ١٨٥٤ مأخوذة من كتاب التاريخية وأطلس الجغرافيا التوراتية) توضح ما تم ذكره في التوراة وكتب المؤرخين عن تقسيم الأراضي

٤ - ذُريّة جيل الأحفاد

ذكرت -التوراة- أسماء أحفاد نوح، وكذلك ذكرهم غالبية - المؤرخين المسلمين - مع اختلاف بعض الحروف والأسماء، فغالبية الأسماء التي وردت عن ذُرية الأحفاد في كل كتب التأريخ العربي إنما هي لنفس الأشخاص والأعداد مع اختلاف الترجمات، لذا ذكرنا ما تم تعريبه في غالبية المصادر على هذا النحو:

ذُكر عن «سام بن نوح»:

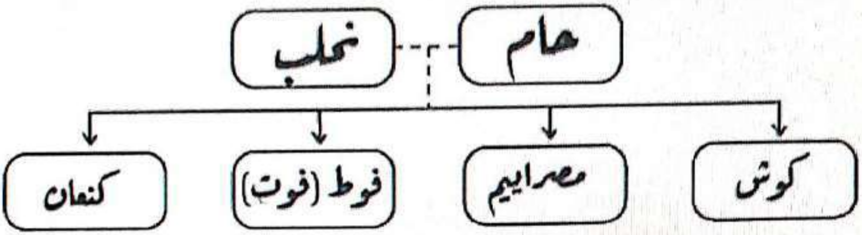
أنه تزوج «صليب بنت بتاويل بن مخويل بن أخنوخ بن قابيل بن آدم»(316)، وأنجب منها «أرفخشذ»، و«إرم»، و«آشور»، و«عيلام»، و«لاوذ»، بمسميات المؤرخين العرب (315)، عما تناقلوه من أهل الكتاب(314) وعربوه للعربية، وقالوا إن أولاد سام ورثوا عنه لون البشرة المتوسط، ما بين البياض والسواد.



أبناء سام في التوراة والإنجيل، وفي كتابات من تناقلوا عنهما من المسلمين.

وما تم ذكره عن «حام بن نوح»:

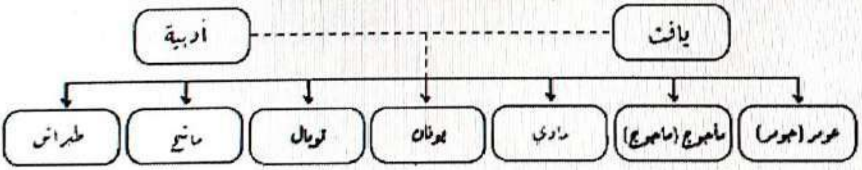
أنه تزوج «نحلب بنت مأرب بن الدرسيل بن مخويل بن أخنوخ بن قابيل ابن آدم»(313)، فولدت له: «كنعان» و«كُوش»، و«مصرايم»، و«قُوط»، على مسميات التوراة(312)، وكذلك المؤرخين المسلمين(311)، وقالوا إن أبناء حام ورثوا عنه سواد البشرة.



أبناء سام في التوراة والإنجيل، وفي كتابات من تناقلوا عنهما من المسلمين.

أما ما تم ذكره عن «يافث بن نوح»:

أنه تزوج «أدبية بنت حزازيل بن الدرمسيل بن مخويل بن أخنوخ بن قابيل بن ادم»(310)، وولدت له سبعة رجال وامرأة، وهم: «كومر» (أو جومر، وعند العرب عومر)، و«مأجوج» (أو ماغوغ)، و«ماذاي» (أو ماداي، أو مادي)، و«ياوان» (أو يافان أو يونان)، و«طوبال» (أو توبال، قطوبال)، و«ماشح» (أو كاشح)، و«طبراش»(309)، وهذا ما تداوله العرب بتحريف الأسماء(308)، وقالوا إن ذُريته ورثت منه الشُقرة والحُمرة.



أبناء سام في التوراة والإنجيل، وفي كتابات من تناقلوا عنهما من المسلمين.

أما الرابع «كنعان بن نوح»:

فلم يكن له نسل قبل أن يُغرقه الله في الطوفان، وكنعان هذا هو يام عند العرب كما سبق وذكرناه بهذا الاسم، ويعتبرونه عمهم، بسبب أنه أخ لجدهم سام، فلذلك يقولون في المثل الشهير «إنما هَام عمُنا يَام».

٥ - وفاة نبي الله نوح

عاش ما عاشه نبي الله، ويزعم - أهل التوراة - أن نوح قد عاش بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وثماني وأربعين سنة فوق الألف سنة إلا خمسين التي عاشها قبله، لكن «ابن إسحق» له رأي آخر يقول إن كلهم ألف إلا خمسين فقط(307)، بينما قال «أبو جعفر» أن نوح عليه السلام عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة (306).

وذكرَ اليعقوبي - لما حضرت وفاة نوح اجتمع إليه بنوه الثلاثة سام وحام ويافث وبنوهم، فأوصاهم وأمرهم بعبادة الله تعالى، وأمر سامًا أن يفتح السفينة إذا مات سرًا ولا يشعر به أحدٌ، ويستخرج جسد آدم.

وقال له ياسام لا تأخذ معك أحدًا إلا «ملكيزدق» (قيل إنه أحد أحفاد سام)، فإن الله اختاره ليكون مع جسد آدم في وسط الأرض في المكان المقدس.

وقال له: يا سام إنك إذا خرجت أنت وملكيزدق، بعث الله معكما ملكًا من الملائكة يدلكما على الطريق ويريكما وسط الأرض، فلا تُعلمن أحدًا ما تصنع فإن هذا الأمر وصية آدم التي أوصى بها بنيه، وأوصى بها بعضهم بعضًا، حتى انتهى ذلك إليك، فإذا بلغتما المكان الذي يريكما هذا الملك فضع فيه جسد آدم، ثم مُر «ملكيزدق» ألا يفارقه ولا يكون له عمل إلا عبادة الله سبحانه وتعالى، وأمره ألا ينكح امرأة ولا يبني بنيانًا ولا يريق دمًا، ولا يلبس ثوبًا إلا من جلود الوحش، ولا يقص شعرًا ولا ظفرًا، وليجلس وحده وليكثر حمد الله - على حد رواية اليعقوبي.(305)

ثم قال لابنه إني قاصٌ عليك الوصية، آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين:

- آمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقةً مُغلقة، كسرتهن وأبانتهن لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء وبها يُرزق الخلق - وأنهاك عن الشرك والكبر.(304)

ويُروى أن نوحًا عليه السلام بعد كل هذا العمر الطويل، سُئل: كيف رأيت الدنيا؟

قال: رأيتها بابان، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.(303)

توفي نبي الله نوح، بعد أن وزَّع ميراث الأرض على بنيه، وبعدما بلَّغهم وصيته بعبادة الله الواحد الأحد وعدم الرجوع لعبادة الأوثان، وعن مكان قبره ذكر «أبو القاسم بن عساكر» في

تاريخه أن قبر نوح وشعيب وصالح عليهما السلام بين زمزم وبين الركن والمقام، وهذا ما يميل له المؤرخون(302)، بينما هناك رواية تقول إن قبره بأرض البقاع غرب دمشق في مدينة تسمى «كركوك نوح»(301)، والرواية الثالثة تقول إن قبره بمسجد الكوفة.

وبحسب رواية اليعقوبي - بعد وفاته عليه السلام انطلق سام وفتح السفينة، وذهب إلى جسد آدم وأخذه منها، ثم أخفاه عن إخوته، ثم دعاهما للحديث فجاءا له، وقال لهما: إن أبي أوصى إليّ وأمرني أن آتي البحر، فأنظر في الأرض ثم أرجع، فلا تتحركوا حتى آتيكم، واستوصوا بامرأتي وبني خيرًا.

فقال له أخواه: اذهب في حفظ الله، فإنك قد علمت أن الأرض خَربة، ونخاف عليك السباع.

قال سام: إن الله تعالى سيبعث معي ملكًا من الملائكة، فلا أخاف إن شاء الله تعالى شيئًا.

ودعا سام أمَّ حفيده «ملكيزدق» وقال لها: يا وزدق! أرسلا معي ابنكما ملكيزدق يؤنسني في الطريق.

فقالت هي وأبوه: خُذه فقد أصبح راشدًا.

فنظر سام لأخويه وأهله وولده وقال لهم جميعًا: قد علمتم أن أبانا نوحًا قد أوصى إليّ، وأمرني أن أختم السفينة، فلا أدخلها أنا ولا أحدٌ من الناس، فلا يقربن السفينة منكم أحدٌ.(300)

وبحسب الرواية - خرج سام ومعه حفيده وتقابلا مع الملك، وصار بهما إلى الموضع الذي أمِروا أن يضعوا جسد آدم فيه، فانفتحت الأرضون، فوضعوا الجسد فيها، ثم انطبقت عليه.

وقال «سام» لحفيده «ملكيزدق»: اجلس ها هنا، وأحسن عبادة الله، فإن الله سيرسل إليك في كل يومٍ ملكًا من الملائكة يؤنسك، ثم سلم عليه وانصرف، وعندما عاد سام لأهله سألوه عن «ملكيزدق».

فقال: إنه قد مات في الطريق، فدفنته، فحزن عليه أبوه وأمه.(299)

مرت السنوات بعد وفاة نبي الله نوح عليه السلام، وزادت الذُّرية وضاقت بهم القرية ذرعًا، ولم يتوقف الشيطان عن ممارسة عمله المعهود في الضلال والفتنة، محاولًا أن يرمي بين الإخوة العداوة والبغضاء، وطفق يقذف في صدري أبناء حام ويافث الحقد تجاه عمهم سام وأبنائه.

وقال لهم: إن جدكم نوح قد ظلمكم وأعطى سامًا وولده خير الأرض وزينتها.

وكثف الشيطان جهوده، حتى نفذت وسوسته وسكنت صدور الأحفاد، وبسببها ظهر القتل من جديد، حيث قتل بعضهم أبناء بعض[298]، وشعروا بالاختناق بسبب زحامهم، ففكروا في الوحدة مجددًا ولكن في مكانٍ أكبر يصلح للرعي والزراعة والخير (وهذا يخالف وصية الجد الذي أمرهم بالانتشار في الأرض) ثم قرروا أن يهاجروا من تلك الأرض الضيقة بعد أن ازدحمت بهم، ليبتغوا موطنًا جديدًا يتسع لكل هذا العدد.

٦- الهجرة إلى بابل

ذكرَ الطبري بأن «ابن عباس» رضي الله عنهما قال إن أولاد نوح هاجروا من سوق ثمانين توسعًا في الأرض، ثم وصلوا إلى أرض بابل وبنوها وجعلوها اثني عشر فرسخًا طولًا، في اثني عشر فرسخًا عرضًا(297)، أي أن مدينتهم الجديدة كانت تساوي حوالي ثمانية وأربعين كيلو طولًا في ثمانية وأربعين كيلو عرضًا ربما أقل أو أكثر قليلًا، وكان بابها فوق جسر الكوفة الحالي.

استقروا هناك وتكاثروا وأنجبوا، وزاد مجتمعهم حتى بلغت عشيرتهم حوالي مائة ألف شخص كلهم على التوحيد(296)، وهذا يوازي ما جاء في سِفر التكوين(295) بأن أبناء ذُرية نوح عليه السلام استقروا شرقًا في أرض تُسمَّى أرض «شنعار» وعاشوا فيها، تلك المنطقة التي ذُكرت أكثر من مرة في التوراة، غير محددة الحدود في بلاد الرافدين، والكلمة مشتقة من اللغة العبرية إما من «شيني ناهاروت» ومعناها «النهران»، أو من «شيني أريم» ومعناها «المدينتان»، وقد أشارت الأبحاث الحديثة أنه على أي حال كان يُقصد بها بلاد «بابل» و«أوروك».(294)

وبحسب - مفسري التوراة والإنجيل - تجمع النسل الجديد في هذا الوادي الجميل، ولعدم توفر الحجر استعملوا الطوب اللبِن، فصبوا الطين في قوالب وأحرقوا القوالب حتى لا تتأثر بالماء، واستعملوا الحمر بدل الطين(293)، والحمر هو المزيج اللزج الذي كان يكثر في بعض هذه البقاع بسبب وجود البترول في تربة الأرض، ثم أدى هذا التيبُس لتثبيت قوالب الحجارة، فتفننوا في بناء المساكن الجديدة، وعاشوا في سرورٍ وسعادةٍ بعد هجرتهم إلى هذا الوادي المتميز بخيراته، وبعد ما بدأت عقولهم في التفكير والاختراع وترويض الطبيعة.

عاش الأحفاد وذُرياتهم في مجتمع أخضر يملأه الخير، ولكنهم كانوا دائمًا ما يخافون من أن يعيد الله لعنة الطوفان على الأرض مجددًا - وعلى حدّ رواية التوراة وكذلك من تناقُل عنهم في كتب المفسرين المسلمين- فكّر بعضهم في وسيلة تجعل أسماءهم مخلّدة على مَر التاريخ، وهي أن يبنوا بُرجًا شاهقًا عظيم الارتفاع حتى يصل إلى السماء، فيصيرون عظماء(292)، بغِية أن يجمعهم مكانٌ واحدٌ من الأرض فلا يتبدّدون أبدًا، وكان مُبتغاهم جَعْل العالم كله مملكة واحدة عظيمة، وعاصمتها شنعار (بابل)، وليقيموا لأنفسهم اسمًا ينتشر في كل أنحاء البسيطة، وقرروا أن لا يتفرقوا أبدًا، وهذا كان منافيًا لما أمرَهم به الله حيث أمرهم بإعمار الأرض كلها، ونتيجةً لعدم تلبيتهم لأمر الله، عاقبهم الله ببلبلة اللسان، فباتوا وأصبحوا لا يفقهون لغات بعضهم البعض.

٧ - بلبلة اللسان

بحسب التوراة - الرب نزل من السماء ورأى قيامهم ببناء المدينة والبرج، وأنهم قرروا أن يتجمعوا ولا يعفروا الأرض، فقال «هلم ننزل ونبلبل لسانهم» أي سأجعلهم يتحدثون بلغاتٍ مختلفة فلا يفهم كل منهم لسان الآخر، فتوقف البناء، ومنذ ذلك الحين نشأت اللغات وتم إجبارهم على التفرقة في الأرض، ومن يومها عُرفت هذه الأرض باسم أرض «بابل» بدلًا من شنعار، وهي تحريف لكلمة «بلبلة»، أي بلبلة اللسان.(291)

تفسير - علماء المسيحية - يقول بأن دينونة الله على أرض شنعار وقعت، بعد ما كان هدفهم من بناء المدينة والبرج هدفًا مزدوجًا غيز نبيلٍ، فهدفُهم الأول كان الاحتفاظ بوحدة الجنس البشري وتكافله الاجتماعي، فلا يتبددون على وجه كل الأرض، ثم الافتخار بما بلغه الإنسان في فن البناء والتشييد، إذ كانوا يودون بناء برج رأسه بالسماء فيكون نقطة تجمُّع والتقاء، ويرى - هؤلاء المفسرون - أن هذه الأهداف تتعارض مع أمرِ الله بأن يملأوا الأرض الجديدة، وتكشف عن تمرُّد الإنسان على الله، ويوضحون بأن هؤلاء البناةَ كانوا أناسًا أشرارًا، أما من جاءوا بعدهم من الآباء فقد هجروا المدن إلى حياة البداوة، للاختلاء بالله والاعتماد عليه، وقالوا إن البشر جميعهم كانوا يتكلمون لغة واحدة، ويعيشون كأسرةٍ واحدةٍ، ولا نعلم أيَّ لغة كانت لغتهم، ولكن ما حدث في أرض شنعار يؤكد أن الله «بدّدهم على وجه كل الأرض»، وقالوا إن هذا يُشبه الإنسان الموجود في كل العصور، فدائمًا ما حاول أن يبني ما يخلّد اسمه، كما نرى في كل حضارات الأرض.(290)

عارض - بعض العلماء والمفكرين المسلمين - فكرة البلبلة المذكورة في التوراة، وتم التشكيك في الرواية وصحتها، وفسر هؤلاء العلماء ما جاء في سورة «الروم»(289)، بأنه دليلٌ على أن اختلاف الألسنة موجودٌ منذ بداية الخليقة، وقال هؤلاء المفسرين من أين عرف مدونو التوراة هذه القصة حيث بدء تدوين أسفار التوراة بعد عهد «نبوخذ نصر»، وأن هناك فاصلًا زمنيًا كبيرًا بين حدوث الواقعة وبين تدوينها، وقد ذهب بعض المحللين إلى أنه ربما تأثر بعض المدونين بالسبي البابلي لهم، والمذابح التي أودت بحياة الآلاف، فبرروا بذلك بأن «بابل» أرض لعنة، وبهذا الشكل يتبين لنا تعارض الفكر الإسلامي مع الفكر اليهودي والمسيحي في هذا الشأن.

بينما هناك طائفة أخرى من علماء المسلمين قد ذكروا الواقعة في آثارهم، ولكن لم يذكروا شيئًا عن البرج، بل ذكروا أن السبب هو أن ذُرِيّة نوح كثروا بالمدينة، فشحنت بهم، فأصبحوا مجموعات مستقلة، وقالوا إن لغتهم الأم كانت السريانية(288)، هذا ولم يتم ذكر واقعة

«برج بابل» لا في تأريخهم، ولا في القرآن الكريم بشكل مباشر.

بلبلة اللسان والأسطورة

هناك أسطورة عربية قديمة جدًا تقول إن العرب في شبه الجزيرة العربية كانوا يعبدون إلهين، الإله الأول كان اسمه «آل لسان» وكان هو إله اللغة، والإله الثاني كان اسمه «آل بلال» وهو الإله الخاص بالبلبلة، وفي الأسطورة كان يتحاكى أن الإله «آل لسان» كان هو السائد والحاكم، إلى أن تدخَّل الإله الثاني «آل بلال» وفرض سيطرته، وفرق ألسنة البشر ومنع وحدتهم، ويقال إن هناك بلدة قديمة جدًا في منطقة الطائف بالحجاز اسمها «آل بلال». (287)

بلبلة اللسان والعلم

هناك معارضون للقصة - علميًا - قالوا بأن الاعتقاد بواقعة بلبلة اللسان خاطئ، لأن اللغات علميًا لم تُصنع في لحظة، وأنها نتيجة لتطوُّر معقد وبطيء جدًا ربما يحتاج لقرونٍ لكي تخلق الاختلافات لغة مستقلة.. كما قال آخرون بأن بابل تاريخيًا لم يأتِ اسمها من كلمة «بلبلة» بل إنها جاءت من كلمة «باب الله».

والأهم من كل هذا أن وحدة الألسنة ليس معناها تاريخيًا أو في النصوص القديمة لغة واحدة دون الحديث بغيرها، بمعنى مثلًا أن الوطن العربي حاليًا يتحدث بعشرات اللهجات بألسنة مختلفة تمامًا، ولكنهم جميعًا لَهم لغة أم أو رئيسية يفهمونها، كذلك في كل دولة منهم نموذج مصغر لتعدُّد الكَلِم، فمصر مثلًا فيها لهجات عديدة ومختلفة تمامًا لكنها في النهاية لها لغة رئيسية يفهمها الجميع، ولعلَّ هذا يجعلنا نفهم الأمور بشكلٍ أوضح، وأن القصة ربما يكون في مفهومها أن العالم كانت لغته واحدة، أي وحدة سياسية واقتصادية خضعت لها الناس، ثم تفرقت هذه الوحدة بعد ذلك، فعاش كل شعب منعزلًا عن الآخر وتطوَّرت لهجته المضلة حتى أصبحت لغة لا يفهمها الآخر، وقالوا إن هذا فقط ما يقبله العلم.

وقال بعض الباحثين إن أولاد نوح حينما بدأوا الحياة الجديدة كان لكل واحدٍ منهم مسمى يحلوا له للأشياء التي ظهرت لأول مرة، وكان لكل واحدٍ منهم لهجة خاصة بينه وبين أبنائه، والأصح هو أن اللغات نتجت عن تفرق البشر وتشتتهم إلى مجموعات.

أي أن العلم يقولها خالصةً (اللغات نتجت عن تفرق البشر، ولم يتفرق البشر بسبب ظهور اللغات).

وعلى مر السنين بحث العديد من الرحالة والباحثين عن برج بابل وقد خلط بعضهم بينه

وبين أنقاض برج الطوابق في «بورسيبا» القديمة، الذي يُعتقد أنه برج «نمروب» ولكن طعن بعضهم في الفكرة، لأن هناك فرقًا كبيرًا في الزمان، وبرج بورسيبا كانت له قصة أخرى حيث كان يقيم فيه الإله «نابو»، ابن الاله «مردوخ»، وقد حصل هذا الاختلاط منذ أيام الملك «هيرودتس اليوناني»، وفي بادئ الأمر كانوا يعتقدون أن هذا البرج دائري أو لولبي، ولكن بمحض الصدفة صوَّرته الأقمار الصناعية الروسية، ومن التصوير اتضح أنه مربع الشكل.



لوحة برج بابل، بريشة بيتر بروخل الاكبر، عام (١٥٦٣)

وموجودة الآن بمتحف تاريخ الفنون في فيينا.

٨ - التفرقة

كان الجيل الأول بعد الطوفان ذا قوةٍ وبأس، وقد عاشوا أعمارًا كبيرة، فقيل إنّ منهم رجالًا عاشوا وعاصروا أحفادهم من الجيل الثالث والرابع.

وبعدما ازدادت ذُرية أحفاد نوح الستة عشر، ظهرت بينهم المشاحنات والخلافات مجددًا، وبدأوا في تنفيذ وصية جدهم في إعمار الأرض، وقرروا جميعًا الهجرة إلى الأرض التي أورثها الله لكل جدٍّ، وإعمار تلك المناطق.

ويقول بعض الرواة إنهم قد نفّذوا هذه الوصية مجبورين، ربما بسبب غضب الرب عليهم كما ذكرت التوراة والله أعلم، أو ربما بسبب المشاحنات والنزاعات وضيق الأرض عليهم، وذكر المؤرخون المسلمون أنه بعدما ضاقت بهم أرض بابل تفرق كل فريق منهم إلى جهة، وقيل أن أول من خرج ولد يافث فاتخذوا ما بين المشرق والشمال(286)، وأن حام هرب منهم ناحية مصر الحالية وتفرق بنوه، ومر من مصر شمالًا حتى وصل إلى أقصى المغرب، إلى مدينة تُعرف اليوم باسم «أصيلة»، ثم اغتم أبناؤه وأحفاده لفقدانه، وندموا على تركه، فخرجوا يتتبعونه في الخلاء فلم يجدوه، وكانت كل مجموعة منهم كلما مشت بمكان تبتغي فيه البحث عنه ولم تجده وضاق بها الحال، عسكرت فيه، وبنت حياتها الأولى، فعاشوا وتناسلوا وعمّروا البقع التي كانت على خط سير البحث، وقِيلَ مات حام في سن أربعمائة سنة وأحد وأربعين سنة.(285)

أما سام فذُكر أن أحفاده من ابنه إرم كانوا هم أصحاب السيادة على بابل وقت الواقعة، وقالوا إن حفيده «النمرود» كان هو الملك آنذاك، وهو الذي بنى الصَرح ببابل، وملك خمسمائة سنة، فأمسوا وكلامهم السُريَانية، ثم أصبحوا قد بدّل الله ألسنتهم، فجعلَ لا يعرف بعضُهم كلامَ بعضٍ، فصار لبني سام تسع عشرة لغة، ولبني حام سبع عشرة لغة، ولبني يافث ست وثلاثون لغة - نقلًا عمّا زعموا(284).

وقالوا إن أول مَن تفرقوا منهم هم الذين ذهبوا ناحية اليمن، فسارت عاد إلى الأحقاف، ونزلت ثمود إلى الحجر، ونزل طسم وجديس إلى اليمامة، ونزل عملاق وبنوه إلى أرض الحرم، وسار عبد ضخم إلى الطائف، وسارت جُرهم الأولى إلى مكة(283)، وهؤلاء جميعهم كانوا من العرب الأولين، العاربة الذين انقرضوا، وسنحكي سيرتهم قصة قصة في الفصل القادم، ثم تبعهم المهاجرون إلى فارس وخرسان وغيرهم.

وبحسب الروايات جميعها - تفرقت أحفاد سام وحام ويافث جميعهم ماعدا بعضًا من أحفاد

سام كانت بلاد الرافدين نصيبهم، وشرعت كل طائفة منهم في اكتشاف الأراضي الجديدة التي ستصلح للمعيشة، وشهدت الأرض الجديدة أكبر توسّع في تاريخها الجديد، وحاول المهاجرون التواجُد بجوار الأراضي الخصبة، وبجانب الأنهار التي ربما تشكل بعضها بعد الطوفان، ومنهم من انقطع نسله ولم يترك أثرًا لحضارة أو تجمُّعا، ومنهم من خرج من ظهره حضارات عملاقة وضخمة لا يزال آثارها وتاريخها يعيش بيننا الآن، ومع مرور الزمان سُميت غالبية هذه المناطق على اسم الأب الذي أسسها، وهذا ما سنعرفه في القسم الثاني.

* * *

القسم الثاني

شجرة الأنساب

مَدخل

يجب قراءته

أصبح واضحًا أن ما ذكره الإخباريون(282) والعديد من علماء الأنساب في هذا الشأن، هي مجموعة أخبار تشبه إلى حدٍ كبيرٍ ما جاءت في جدول الأمم التوراتي، ولكن مع تحريف بعض الحروف والأسماء، وكذلك ضافوا عليها واستأصلوا منها في بعض المواضع القليلة، لذا فستكون قائمة الأنساب الآتية شاملة كل المصادر بالترتيب:

التوراة ومعلقوها

وما تداوله الإخباريون والكتّابون العرب وعلماء الأنساب والمؤرخون في العديد من المراجع الإسلامية كـ:

(تاريخ الطبري، والإكليل للهمداني، والخبر في الأخبار الطوال للدينوري، ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط بن الجوزي، ومروج الذهب للمسعودي، وكذلك التنبية والإشراف للمسعودي، والأنساب للصحاري، والكامل في التاريخ لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاج العروس للزبيدي، والمحبر للبغدادي، وكذلك خزانة الأدب للبغدادي، وتاريخ بن خلدون، وجمهرة أنساب العرب للأندلسي، وسبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، وكذلك نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، والنسب لأبو عبيدة، والإنباه على قبائل الرواه لابن عبد البر، والطبقات الكبير لابن سعد، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني، وكذلك الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني، والأغاني للأصفهاني، ولسان العرب لابن منظور، وبحر العلوم تفسير السمرقندي، ومعالم التنزيل تفسير البغوي، وغيرهم..).

وهذه الكتب العظيمة موجودة في الهوامش عند موضع الاستناد إليهم... ولقد وجدت في كتاب أخبار الزمان للمسعودي، بعضًا من التهويل والتضخيم، ففَضلت ألّا أعود إليه إلا في قلة نادرة من المواضع، وما وجدتُ في تحليل كل هذه الآراء أفضل ولا أدقّ مما ورد في كتاب «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام».

ولم أفترض هنا أي أنساب ولا أسماء من وجهة نظري، ولكن ما أقدمه من جديد في بحثي هذا:

أولًا - ترتيب النسل من كل هذه المصادر في شكل يشبه شجرة الأنساب.

ثانيًا - شرح الأقوام التي قصدوها وأين اتجه نسلها وكيف انتشرت.

ثالثًا - التعليق على ما تم تدوينه ومناقشة كل الآراء.

رابعًا - سيكون الفصل الأخير من الكتاب فصلًا قصيرًا فيه الخُلاصة والمراجعة ونتائج هذا الملف كله، وتقييم جميع المراجع والمصادر التي ذكرت هذا الموضوع كاملًا.

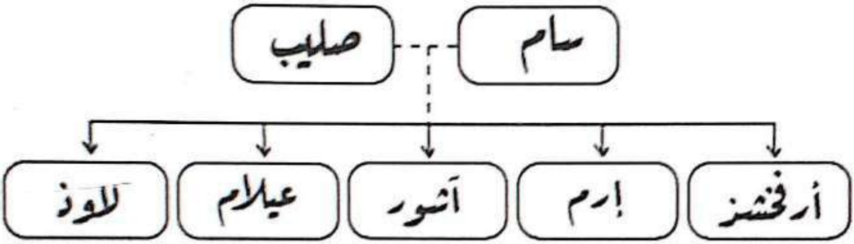
وقبل كل شيء أوَدُّ أن أنوه أن الأسبقية في الترتيب ليس معناها أن من جاء ترتيبه أولًا في السرد قد وقع تاريخه أولًا، لكن هو مجرد لترتيب النسل من حيث أولوية الولادة فقط، ويجب مراعاة أن عمليات الهجرة أو التفرقة إلى ميراث الارض الجديدة كلها قد تمت في وقت شبه متقارب، ومن تأخر منهم لم يتأخر سوى زمنٍ قليلٍ، لذلك يجب ملاحظة أن هجرة أوَّل نسل سنذكره، ربما تكون قد قامت مع آخر نسل سنذكره، وكلامي هذا يخص تحديدًا الجيل الأول من الأحفاد الستة عشر الذي تم ذكزهم، والذين كانوا قد وُلِدوا وتزوجوا وأنجبوا أبناء وأحفادًا قبل هذه الهجرة.

* * *

الفصل الرابع

ذرية سام بن نوح

أقرَّ غالبية المؤرخين المسلمين بما تم تداوله في التوراة، بأن «سام بن نوح»، كان له أبناء خمسة وهم: «أرفخشذ»، «إرم»، «آشور»، «عيلام»، «لاوذ»، وهذه مسمياتهم في التوراة مع تحريف بعض حروف المسميات في السجلات العربية والإسلامية، وقد هاجرَتْ ذُرِّيَّاتُهم في خمسة خطوط، كلها تحركت في وقتٍ شبه متقارب.

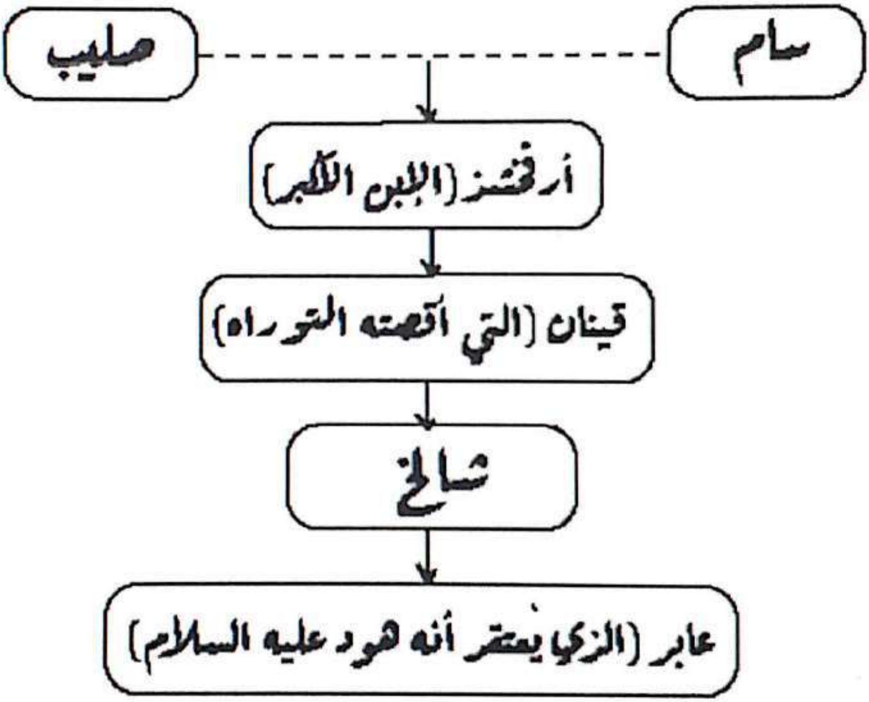


أبناء سام في التوراة والإنجيل، وفي كتابات من تناقلوا عنهما من المسلمين.

الخط الأول

ذرية أرفخشذ بن سام

أرفخشذ»، هو أحد
أبناء «سام بن نوح»
(281)، ويقال إنه الابن الاكبر... عاش أربعمائة وثلاثين عامًا بحسب الروايات
(280)، ويُذكَر أن النسل قد زادَ بين ذُريَّته بشكلٍ ملحوظٍ، وبين أولاد «أرفخشد» لم يذكُر التاريخ إلا «قينان»، فربما لم يكن لباقي إخوته تأثيز ملحوظ أو ربما قُتلوا في الصراعات، أو ربما انقطع نسلهم.



من سام الى هود عليهما السلام

لما حضر «أرفخشد» الوفاة اجتمع حوله ولده وأهله وأوصاهم بعبادة الله تعالى ومجانبة

المعاصي، وقال لـ «شالخ» حفيده: اقبل وصيتي، وقم في أهلك بعدي عاملًا بطاعة الله تعالى(279)، في تعقد واضح من «أرفخشذ» إقصاء ابنه «قينان» عن الوصاية من بعده، حيث اختار الحفيد «شالخ» بدلًا منه، وعن سبب هذا قال الطبري إن «قينان» لم يستحق أن يذكر في الكتب المنزلة، لأنه كان ساحرًا وسمى نفسه إلهًا، فسيقت المواليد في التوراة على «أرفخشذ بن سام» ثم على «شالخ» مباشرةً، وتم تخطي اسم قينان.(278)

أما «شالخ» هذا فهو أحد أبناء «قينان»، وللسبب الذي ذكرناه تجده في كتب الأنساب منتسبًا إلى جده أرفخشذ مباشرةً، ويذكر أنه قام في قومه يأمرهم بطاعة الله تعالى، وينهاهم عن معاصيه، ويحذرهم ما نال أهل المعاصي من الرجز والعذاب، وكان قد وُلد له الابن «عابر» بعد أن أتت عليه مائة وثلاثون سنة(277)، ثم حضرته الوفاة، فأوصى إلى ابنه «عابر»، وأمره أن يتجنب فعل «بني قابيل» اللعين في العهود الأولى، وكانت حياته أربعمائة وثلاثين سنة.(276)

أما الابن «عابر» فيعتقد أنه «هود» النبي عند المسلمين - بحسب اعتقاد غالبية علماء المسلمين(275)

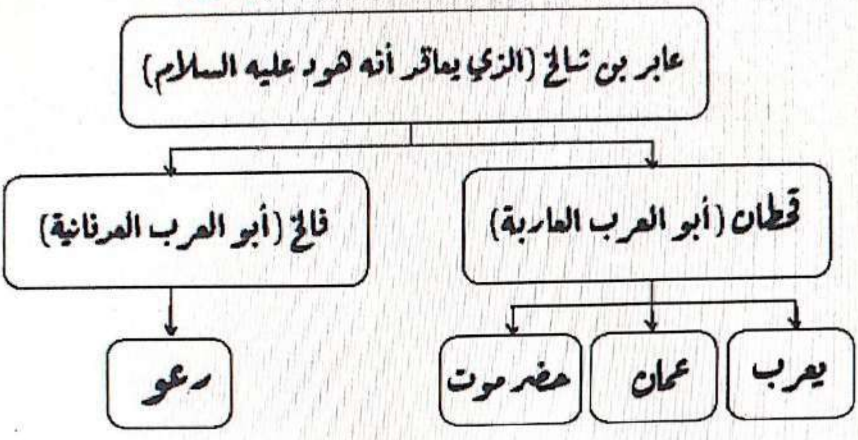
ذرية عابر (هود عليه السلام).

لم يكن عابر هذا أبو العبريين كما يزعم بنو إسرائيل، فالعبريون كانوا قد لقبوا بهذا الاسم بعد مرور آلاف السنين من زمن «عابر»، أما عن سبب تسميتهم بالعبريين أو العبرانيين فلم يأتِ المسمى من اسم عابر أو أي شخصٍ كان، ولكن سببه عبور صحراء سيناء بعد انفلاق البحر وإغراق فرعون - وهذا للتوضيح.

أقر غالبية - المفسرين المسلمين - أن شخصية «عابر بن شالخ» عند اليهود هي نفس شخصية نبي الله «هود» عليه السلام، وأنه قد سُمي «عابر» بعد كارثة «قوم عاد» التي بدّل الله فيها مسكنهم وحضارتهم إلى صحراءٍ قاحلة، حيث عبر هود الصحراء هو ومَن آمنوا معه بحثًا عن المطر متعربًا فيها من كل اتجاه، حتى استقر ابنه «قحطان» في جنان اليمن، فكان هود أوّل عربي يعيش حياة العربة عن طريق تجواله وعبوره للصحراء(274).

كان لـ «عابر بن شالخ» أو «هود» عليه السلام - بحسب رأي بعض المفسرين المسلمين - ولدان، الأول: «قحطان»، والثاني: «فالخ»، أما قحطان فهو الجد الأكبر لنسل «العرب العاربة» وهو أب أجداد العرب الأولين: «يعرب»، و«حضرموت»، و«عمان»... وأما فالخ فهو أبو العرب العدنانية الأكبر، فهو أبو الجد «رعو»، الذي هو من أجداد أبو الأنبياء «إبراهيم» عليه السلام،

أبو إسماعيل وحفيده عدنان أبو العرب العدنانية الموجودون الآن(273)



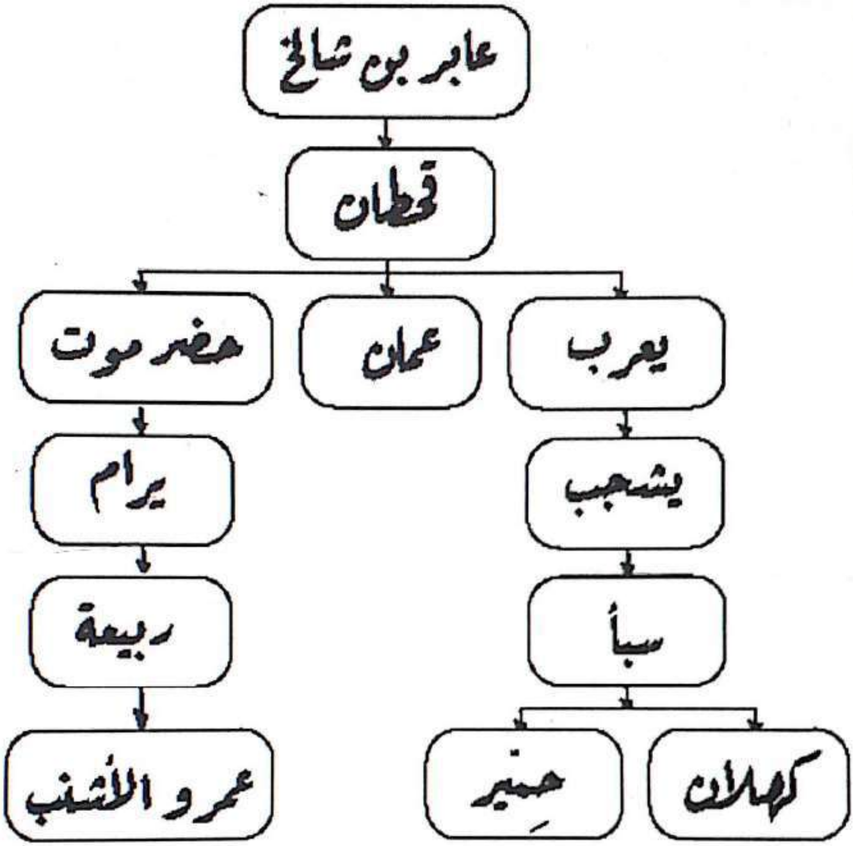
أبناء هود عليه السلام و أصل العرب القحطانية (العاربة) والعرب الإسماعيلية (العدنانية)

استقرت الغالبية العظمى من المؤرخين المسلمين على ما سبقَ في ذِكر «هود» عليه السلام، ولكن هناك آراء قليلة معارضة، فمنهم من نسَبَه إلى «الخلود بن معيد بن عاد»، ومنهم من نسَبَه إلى «عبد الله بن رباح بن جاوب بن عاد بن عوص بن إرم»، ومنهم من نسَبَه إلى «عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم»(272)، لكن ما سبق ذكره هو ما أصبح متعارف ومتداول في غالبية الآثار، وأن نبي الله هود عليه السلام هو جد العرب العاربة.

ذُرية قحطان بن هود (أبو العرب العاربة)(271)

العرب العاربة هم العرب المنحدرون من «قحطان بن هود» والمعروفون باسم «القحطانيون» وقد تم تسميتهم بالعاربة نسبةً لعبور جدهم قحطان مع أبيه هود وهجرتهم لبلاد اليمن قديمًا قبل أن يحل عليها سيل العرم، وقبل انهيار«سد مأرب» بقرون عديدة.

بعد هجرة قحطان مع أبيه أنشأ هو وذُريَّته مجتمعًا شِبه مستقرٍ، وكان قحطان ملكًا على أبنائه، ليصبح بذلك أول ملك في منطقة اليمن وشِبه جزيرة العرب، وكان مقر مُلكه في الجنوب.



ذرية قحطان: من قحطان حتى كهلان وحِمير وعمرو الأشنب

وعندما توفى ورث ابنه «يعرب» الحكم على القبائل الأولى، فولّى «يعرب» أخاه الأوسط «عمان» على منطقة الأحقاف، والتي كانت هي مقر «قوم عاد» وأهلكهم عليها، فنزل إليها الأخ عمان وأعاد تعميرها وتأسيسها من جديد، وكذلك قام «يعرب» بإسناد الولاية لأخيهم الأصغر «حضر موت» على المنطقة القريبة من الأحقاف، فأقام مملكته المسماة بحضر موت، وجعل من «شبوه» عاصمةً له، وخرج من نسله تسع قبائل قحطانية كانت المادة الخام لأهل حضر موت وهم: «الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضر موت بن قحطان»، بنو زنحلان، بنو نوف، بنو حميم، بنو بكال، بنو الإشراف، بنو عنة، يرام: منهم الملك «نمر بن الأزج بن عمرو الأشنب» (الذي غزا الصين وله مآثر عظيمة ذكرَها الإخباريون والمؤرخون مثل ابن خلدون)، لهيعة: منهم عبد الله بن لهيعه بن عقب.(270)

أما يعرب فقد أنجب يشجب، ويشجب أنجب سبأ، وخرج من سبأ قبائل كهلان وحِمير، وأما كهلان فكان لهم اثنتا عشرة بطنًا رئيسًا.(269)

ومن هذا المفهوم يتضح لنا أن العرب العاربة هي قبائل العرب القحطانية التي تعود بالنسب إلى «قحطان بن هود بن أرفخشذ بن سام بن نوح»، ومن تصاهر أو تزواج منهم، ولهذا الرأي ذهب «ابن خلدون»، وعارض كل الآراء التي تستنتج أن قحطان من نسل «إسماعيل» عليه السلام، وقال إن القحطانيون أقدم من «إسماعيل» بكثير، وقد نسبَ بعض المؤرخين ما يقارب من نصف قبائل العرب لقحطان، وهُم من يطلق عليهم اسم العرب العاربة أو القحطانيين، وهذا يؤكد على أن إسماعيل قحطاني، وليس قحطان إسماعيلي.

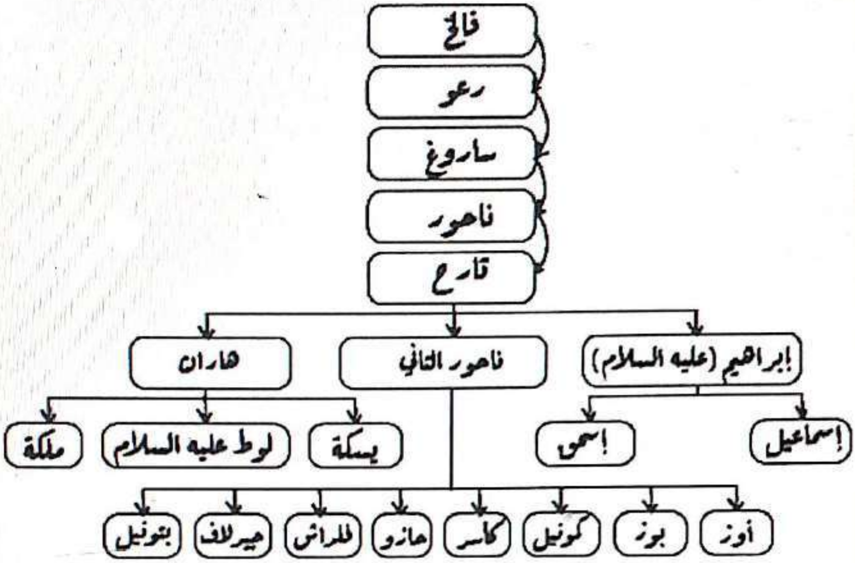
أما قحطان -في التوراة - فيُذكَر أن له ثلاثة عشر ولدًا وهم: «الموداد»، و«شالف»، و«حضرموت»، و«رياح»، و«هدورام»، و«أوزال»، و«دقلة»، و«عوبال»، و«أبيمايل»، و«شبا»، و«أوفير»، و«حويلة»، و«يوباب»، كما ذكرَ سِفر التكوين(268).

وإذا دققنا في هذه الأسماء ستجدُها أسماء لأماكن عربية، ولهذا السبب ظهرت أصواتٌ معارضة - وعلى حد رأيهم - قالوا إن هذه الأسماء قد نُقِلَت من سيرة العرب، وأن مؤسسي جدول الأنساب التوراتي كانوا يعلمون جيدًا أن العرب يسمون الأماكن على اسم جدهم الأكبر، فتخبط عليهم الأمر وعدوا الأماكن والقبائل أبناء لقحطان المذكور «يقطان» في التوراة، واستدل المشككون بأن كتبة النسب في التوراة لم يراعوا في عَدِّهم أسماء أبناء يقطان للترتيب الجغرافي، أو قُرب اليقطانيين وبُعدهم عن العبرانيين، فلذلك ذهبوا لفكرة أن هذه الأسماء تم تجميعها بعد وصولها إلى مسامع العبرانيين من غير فحص أو تدقيق، وشككوا في أنها لم تصل صحيحة سالمة من غير تصحيف أو تحريف - على حد قولهم.

وهذا ما وردَ في ذِكْرِ ذُريَّة «قحطان بن هود»، أما ذُريَّة أخيه «فالخ بن هود» فكانت كما يلي:

ذُرية فالخ بن هود (جد إبراهيم)(267)

هو «فالخ بن هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن النبي نوح»، ومعنى كلمة فالخ «القاسم»، وقِيل في التوراة إنه سمي بذلك لأن الأرض قد تم تقسيمها للمرة الثانية في عهده(266).



ذرية فالخ : من فالخ حتى إسماعيل وإسحق ولوط

وفالخ قد ولدَ «رعو»، وولد لرعو «ساروغ»، وتذكُر بعض الكتب التوراتية، ومَن سار على نهجهم من الإخباريين العرب، أن في زمانه ظهرت الجبابرة والطواغيت، وأن «ساروغ» كان أول من بدأ بالتخلي عن التوحيد، وأنه أول من عاد إلى عبادة الأوثان منذ هلاك قوم نوح، ويَذكُر - المؤرخون العرب - أن في زمانه انتشرت عبادة الأصنام، وكانت بدايتها حينما كان الناس إذا مات لأحدهم الميت الذي يعز عليهم من أب أو أخ أو ولد، صنعوا له صنمًا على صورته وسموه باسمه، فلما أدركتها الأجيال التي جاءت بعدهم، كان الشيطان قد أغواهم، وأقنعهم أن هذه التماثيل إنما صُنعت لتُعبد فعبدوها، ومن بعد الأصنام عبدوا آلهةً شتى، فمنهم من عبد الشمس، ومنهم من عبد القمر، ومنهم مَن عبد الطير، ومنهم من عبد الحجارة، ومنهم من عبد الشجر، ومنهم من عبد الماء، ومنهم من عبد الريح، حتى فتنهم الشيطان وأضلهم وأطغاهم(265)، وقِيلَ عن «ساروغ» في بعض الكتب اليهودية إنه كان ساحرًا قام بتعليم السحر لابنه «ناحور».

ولما جاء زمان «ناحور» كانت عبادة الأصنام قد انتشرت بفظاعةٍ في زمانه، وصنعوا أصنامًا مكانها، وزادوا في طغيانهم من السحر، والكهانة، والطيرة، لدرجة أن ذبح الناس أولادهم للشياطين، ثم توفي ناحور بعد ما ولد ابنه «تارح».

ذُرية تارح بن ناحور (أبو إبراهيم - وجد لوط)

تارح هو أبو «إبراهيم» عليه السلام، وقد اختلف - الفقهاء المسلمون - حول شخصه، والسبب أن هناك اختلافًا واضحًا بين اسم «تارح» الموجود في التوراة، واسم «آزر» الموجود في القرآن، ولهذا الأمر تفسيرات عديدة، فذهبت طائفة تقول أن «آزر» ما هو إلا جد إبراهيم لأمه أو عمه، وطائفة أخرى منها «السمرقندي» تقول: كان اسم أبيه تارح بن ناخور بلغة قومه، وبلغة غيرهم كان آزر(264)، وقال آخرون: إنّ أباه هو تارح، وأن آزر اسم صنم، وغلب عليه اسم آزر لخدمته لهذا الصنم(263).

وكان لتارح ثلاثة أبناء وهُم: «إبراهيم بن تارح»، و«ناحور بن تارح»، و«هاران بن تارح»، وسنبدأ بذِكر الأخوين الأصغر أولًا، لكي نكمل التسلسل مع ذرية إبراهيم الأكبر.

ذُرية ناحور بن تارح (أخو إبراهيم - وعم لوط)

هو «ناحور بن تارح بن ناحور»، وقد لقَّبه التوراتيون بناحور الثاني لتمييزه عن جده «ناحور الأول»، ولم يذكره المؤرخون المسلمون إلا اسمًا فقط، ولكن ذكرته التوراة(262) وقالت إنه أخو النبي إبراهيم، وقالت إنه تزوج «مِلكة» ابنة أخيه «هاران»(261).

وتذكر - التوراة - أن «ناحور» قد هاجر ومعه عائلته إلى «أرض كنعان» (في منطقة الشام وفلسطين)، ثم إستقروا في «حران»، وبعد ذلك هاجر من جديد إلى منطقة أخرى حتى استقر في منطقة «آرام النهرين» نسبةً لما ذكره العهد القديم، حيث أسس مدينة «ناحور».

وكلمة آرام النهرين هذه تجدها مذكورة خمس مرات في العهد القديم، وبحسب - مفسري التوراة والإنجيل - هي من أقدم الدويلات التي أقامها «الآراميون» الذين قالوا إنهم أبناء ناحور، والمقصود بالنهرين هما: «الفرات»، و«الخابور» (الذي ينبع من الأناضول ويصب في دجلة) وهي بلد كانت في أعالي بلاد ما بين النهرين على طول إلتواء نهر الفرات.

اختفت مدينة ناحور من الوجود نحو القرن التاسع ق.م، حينما أخضع الآشوريون جميع الآراميين في هذا الإقليم لسيادتهم - على حد تأريخ التوراة.(260)

وذكروا أن ناحور الثاني هو أبو القبائل الأرامية جميعها، لأنها خرجت من أبنائه الثمانية:

«أوز»، و«بوز»، و«كموئيل»، و«كاسد»، و«حازو»، و«فلداش»، و«جيدلاف»، و«بتوئيل» وهو أبو «رفقة» زوجة «إسحق بن إبراهيم» فيما سيرد ذكره.

ذرية هاران بن تارح (أخو إبراهيم - وأبو لوط)

«هاران بن تارح» هو أخو نبي الله «إبراهيم»، بناءً على ما أرَّخه اليهود والمسيحيون، ومن

تبعهم من علماء المسلمين(259).

كان لهاران ولد وابنتان، الولد هو نبي الله «لوط»(258)، وابنتان هما «يسكة» و«مِلكة»، وقد تزوجت مِلكة من عمها «ناحور» كما ذكرنا، ولما مات «هاران»، هاجرت أسرته مع عمهم «ناحور» وزوجته التي هي أختهم «مِلكة» إلى «كنعان»، ويقال إن مدينة «حران» اسمها في الأصل مدينة هاران نسبةً إليهم، أما «لوط» فلم يسافر مع العائلة، بل رافق عمه إبراهيم، ثم ذهب إلى «عمورة»، و«سدوم»... ويعتبر المسيحيون «يسوع» من نسلهم، من خلال الجدة الكبرى لـ«داود» «راعوث»(257).

ذُرية إبراهيم (أبو الأنبياء)

«إبراهيم بن تارح»، هو أخ لهاران وناحور كما ذكرنا(256)، ويؤكد ذلك بعض النسّابة والمؤرخين العرب(255)،(254)، وهو نبيّ من أنبياء الله، ولُقب بـ «أبو الأنبياء»، وهو أحد آباء اليهودية الثلاثة، وشخصية محورية في الديانتين المسيحية واليهودية، وقد تلقى إبراهيم الرسالة من ربه فتآمر عليه قومه وقذفوه في النار وقد نجاه الله منها.

وبحسب الدين الإسلامي - وُلدَ لإبراهيم ولدان: «إسماعيل» و«إسحق»، إسماعيل من «هاجر» القبطية، وإسحاق من «سارة بنت هاران» عليهم جميعًا السلام، ولا يوجد ذِكر لأبناء آخرين في القرآن.

أما التوراة - فلم تتوقف عند هذا العدد من الأبناء، فقد ذُكرَ أن إبراهيم عليه السلام قد تزوج أيضًا من «قطورة بنت يقطن»، وأنجبت له ستة من الأولاد(253)، وهذا ما ذكرَه الطبري في تاريخه كذلك، حيث قال إن اسمها «قنطورة» وقال إنها ولدت له: «مدن»، و«مدين»، و«يقشان»، و«زمران»، و«يشباق»، و«شوح»(252)، وكذلك أضاف الطبري رواية أخرى قال فيها إن البعض قد ذكرَ أن إبراهيم عليه السلام قد تزوج من أخرى عربية بعد «قنطورة» اسمها «حجور بنت أرهير»، فزاد نسله منها خمسة آخرون وهم: «كيسان»، و«شورخ»، و«أميم»، و«لوطان»، و«نافس»(251).

وإن صحّت هذه الروايات كلها سيتضح أن ذُريّة «إبراهيم» عليه السلام قد عمرت أجزاء شاسعة من بلاد العرب وميراث سام، وأن من هذا النسل خرجت القبائل التي عمرت الأرض وأسست مدن باسمها كمدينة «مَدين» التي ينسبها المؤرخون لولده مَدين، وغيرها من البلاد.

أما الولدان الأوائل فكانوا أنبياء قد اصطفاهم الله، وهم «إسماعيل» و«إسحق» عليهما السلام - بحسب الدين الإسلامي، بينما استثنى - اليهود والمسيحيين - إسماعيل من النبوة،

ويعتقد اليهود والمسيحيون بأن إبراهيم هو أبو بني إسرائيل من ابنه إسحق، وأن إسحق هو من كان قد تقدم كذبيحة، ولكن من ناحية أخرى يؤمن - المسلمون - بأن من تقدّم كذبيحة هو النبي إسماعيل، وأن نبي الإسلام «محمد» -صلّى الله عليه وسلم- من نسل إبراهيم، لابنه إسماعيل وحفيده «عدنان».

مات أبو الأنبياء إبراهيم، واختلفت الروايات في المدة التي عاشها عليه السلام، ولكن أقلها تتحدث عن مائة وخمس وسبعين سنة(250)، وبحسب - التوراة - فإن إسماعيل وإسحق دَفنا أباهم النبي في «مغارة المكفيلة» في الحبرون قُربَ القُدس، وهي المغارة التي اشتراها إبراهيم من «عفرون بن صوحر الحثي» لتكون قبرًا له ولأسرته، وهو ما اجتمع عليه أيضًا المسلمون الذين سموا قبره بالـ «المسجد الإبراهيمي».

ذُرية إسماعيل بن إبراهيم (أبو العرب المستعربة)(249)

«إسماعيل بن إبراهيم بن تارح» تجده مذكورًا في - الإسلام - كنبيٍ منَ أنبياء الله الصالحين(248)، وهو الأب الأكبر للعرب الإسماعيليين أو العرب المستعربة، وهو والذ عرب الحجاز كلهم،(247)وهو أبو الجد عدنان جد رسول الإسلام «محمد» -صلّى الله عليه وسلم-، بينما لا تعترف - اليهودية والمسيحية - بنبوّته كما ذكرنا، فقد تم ذِكره في التوراة كشخصية تاريخية فقط، بارك الله في ذريته دون أن يورثه النبوة - على حدّ قولهم - وقد وردَ ذلك في «سفر التكوين» الإصحاح السادس عشر وما يليه.

وتضيف النصوص التوراتية أن نبي الله إبراهيم قد قام بالتضرع إلى الرب، من أجل أن يبارك ذرية إسماعيل المتزوج من «رعلة» الجرهمية اليمانية العربية بنت قبيلة جُرهُم الثانية، فاستجاب الرب لدعوة إبراهيم بأن يجعل ذرية إسماعيل أمةً عظيمةً، فرُزِقَ إسماعيل باثني عشر ولدًا خرجت منهم أممًا كثيرة(246)، وقد تغيرت بعض حروف أسمائهم في التوراة عن أسمائهم في العربية وهم: «نبيط» (في التوراه اسمه نَبَايُوث)، و«قيدار»، و«عبديل» (في التوراة أَدَبْئِيلُ)، و«مبسام»، و«عيداموس» (في التوراة مِشْمَاعُ)، و«ماسمواس» (في التوراة دُومَةُ)، و«ماسواس» (في التوراة مَسَّا)، و«شوداد» (في التوراة حَدَارُ)، و«تيمان» (في التوراة تَيْمَا)، و«جيتور» (في التوراة يَطُورُ)، و«نفيسوس» (في التوراة نَافِيشُ)، و«قدماس» (في التوراة قِدْمَةُ)(245)، وكذلك ابنة اسمها «بسمة »، تزوجها «عيسو» ابن أخيه إسحق وأخو يعقوب على غير رضا أهله - فيما سيرد ذكره.

وذكرَ - المؤرخون العرب - أن الله بارك في ذُرية إسماعيل، وجعلهم رؤساءَ لاثنتي عشرة قبيلة، وفي أيامهم كانوا يسمون المقاطعات العربية بأسماء القبائل، ويُذكَر أن أبناء إسماعيل

عمروا الأرض العربية ما بين الفرات والبحر الأحمر، وأبناء «نبيط» كانوا هم أول من انتشروا، فهم عرب «الأنباط» أو النبطية، وهم أصل هذه الحضارة قبل أن تصبح بعد ذلك «مملكة الأنباط» الضخمة والتي كان ملوكها من نسل آخر، وهو نسلُ «بني الحارث بن كعب» الذين يعود نسبهم إلى «مذحج» لكهلان بن القحطان بعد ما سيطروا على النبط الأوائل.

وكذلك كشفت المخطوطات الأشورية والبابلية ومخطوطات شمال الجزيرة العربية أن ملك «بنو قيدار» هو نفسه «قيدرون» بن إسماعيل عليه السلام، وأنه هو جد العرب القيدراويون، بالإضافة إلى أن باقي القبائل خرجت من نسل الأبناء: عبديل ودومة وماسا وتيمان، وسُمي نسلُهم بالقبائل الإسماعيلية، وكذلك تم ذِكر الابن جيسور (جيتور) في المخطوطات الإغريقية بأنه جد لقبيلة عربية ضخمة، ولكنَّ بني قيدار كانوا هم أكبر البطون الإسماعيلية، واستمر مُلكهم لفترة طويلة بعد انتهاء حكم الملك البابلي «نبو نيد»، وكانت العلاقات بين عرب النبط وعرب بني قيدار طيبة، نتيجةً لاستمرارية الجغرافية واللغة بين القبيلتين لمدة تُقارب مائة وخمسين عامًا بعدها.

وتاريخيًا قد وردَ في «نقش النمارة» الذي يعود لعام ٣٢٥ ميلادية أو الفترة النبطية، أسماء بعض القبائل العربية التي تعود إلى عصر النبي «محمد» -صلَى الله عليه وسلم-، منها على سبيل المثال «أسد» و«مذحج»، وكذلك بعض القبائل المتأصلة التي انحدر منها نبي الإسلام كـ «معد» و«نزار».(244)

ويعتقد - المقريزي - أن العرب الموجودين من بعد عصر «موسى» عليه السلام كلهم إسماعيليون، وأن باقي العرب السابقين قد قضى عليهم «موسى» عليه السلام، بما فيهم «العماليق» وقوم «مدين»، وأضاف «ابن الكلبي» و«الشرقي» على هذا الرأي وقالوا: إنه بوقت بعثة النبي كان جميع العرب بما فيهم العرب القحطانيون من سلالة إسماعيل، (يقصدوا أنهم اندمجوا ودخلوا في نسل أبناء إسماعيل) هذا باستثناء العرب البائدة وسنذكرهم في خط سير أبناء «إرم» في الشرح التالي.

ولكي تتضح الأمور دعنا نوضح تقسيمة العرب التي حددها النسابون، والمتعارف عليها إلى الآن.

ذِكر طبقات العرب

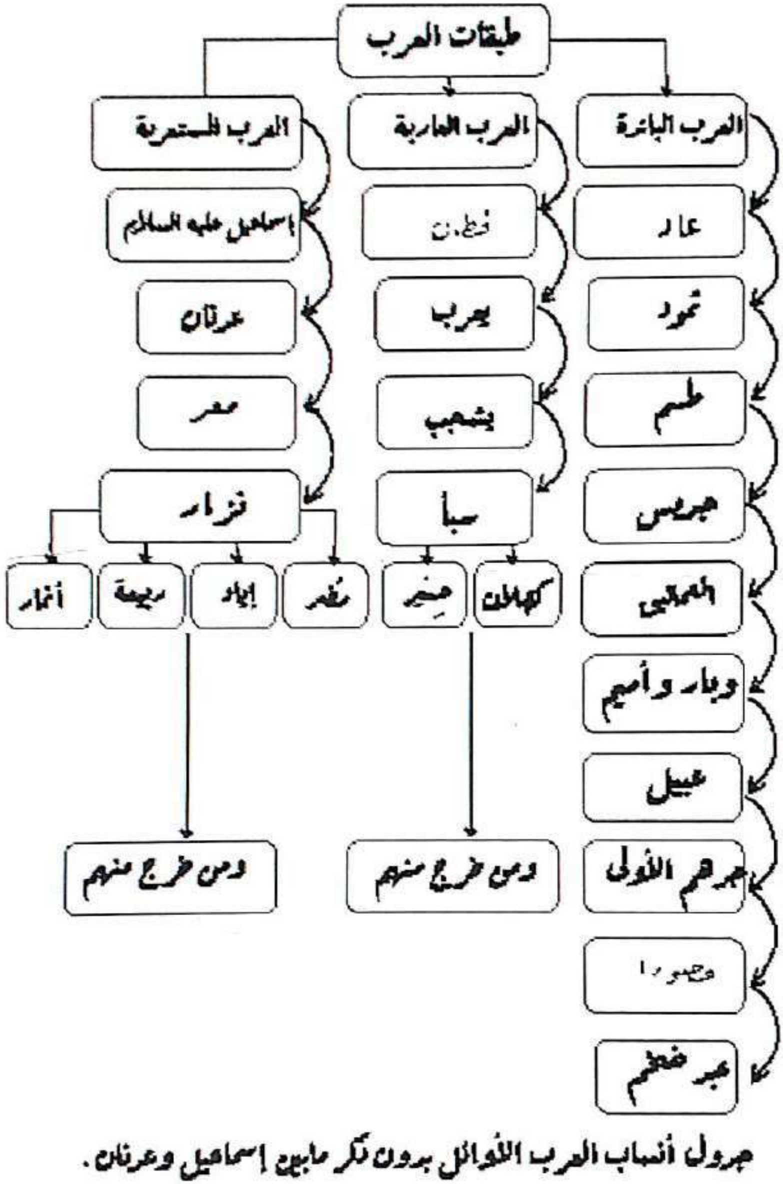
أجمع النسّابون على أن العرب ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

أولًا: العرب البائدة: أو العرب الأولون، وهم العرب القدماء الذين انقرضوا نتيجةً للغضب الإلهي الذي حلَّ عليهم كما تقول الأديان، أو بسبب ظروف بيئية قاسية كما يقول علماء

التاريخ، وغالبيتهم من نسل إرم بن سام، وسيتم ذكرهم فيما يلي.

ثانيا العرب العاربة: وهم العرب القحطانية، المنحدرون من قحطان بن هود عليه السلام، الذين تم ذكرهم، وهم أبناء عمومة أولاد إرم البائدين، وكانت منازلهم الأولى في اليمن. (243)

ثالثا: العرب المستعربة: وهم من نسل النبي إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وأحيانا تجد اسمهم العرب المتعربة أو العرب الإسماعيلية، وهم قبائل وبطون شتى على رأسهم العرب العدنانيون أبناء عدنان حفيد إسماعيل(242)، أي أنهم نشأوا من ظهر إسماعيل عليه السلام، وكانت منازلهم الأولى في الحجاز.(241)



جدول أنساب العرب الأوائل بدون ذكر مابين إسماعيل وعدنان.

ذرية عدنان (أبو العرب العدنانيون)

اختلف النسّابون في عدد الآباء الموجودة بين الجد إسماعيل والحفيد عدنان، منهم من قال بينهم أربعون اسمًا، ومنهم من قال عشرون، ومنهم من قال خمسة عشر، لكنهم كلهم أجمعوا أن المسافة بينهم ليست قريبة(240)، ولذلك تجد اختلافًا واضحًا وكبيرًا بين النسّابين في

نَسَب العرب العدنانيين أو نسب أبناء عدنان، من المؤكد أن عدنان حفيد إسماعيل لا جدال في ذلك، لكنهم اختلفوا في نسبه له، فتجد نسب العرب العدنانيين ينتهي عند «معد بن عدنان»، ثم الإمساك عما وراء ذلك إلى «إسماعيل ابن إبراهيم» مباشرةً(239)، وهذا الإشكال قد دفع ابن خلدون بالتوقع أن سبب هذا الخلاف لغويًا، حيث تُرجمت أسماء الأنساب من العبرانية إلى المدونين، مثا سبق وذكرنا(238).

ويُذكر أن الناس في أيام نبي الإسلام «محمد» -صلّى الله عليه وسلم- كانوا في خلافٍ واضحٍ حول هذا الأمر، فكلهم كانوا يريدون معرفة عدد الآباء ما بين عدنان وإسماعيل، فلما رأى رسول الإسلام خلافهم هذا، نهاهم عن تجاوز نسب «معد بن عدنان»، وأمرهم بالتوقف عنده، وقال: «كذب النسابون، فما بعد عدنان، فهي أسماء سريانية لا يواحها الإشتقاق»(237)، وقد روي عن عائشة رضي الله عنها قولها: «استقام نَسب الناس إلى معد بن عدنان»(236).

ويرى المؤرخون المعاصرون أن جميع العرب الحاليين هم عرب إسماعيليون على رأسهم العدنانية، والسبب أن العرب البائدة قد انقرضوا، أما العرب القحطانيون، فحقًا لم ينقرضوا، لكن يرى العلماء أنهم توارثوا وانصهروا وتداخلوا وتشعبوا مع العرب الإسماعيليين، حتى طغت ذرية إسماعيل وكثُرت.

وتتفق أغلب الروايات بأن نسب الرسول -صلّى الله عليه وسلم- يعود إلى «معد»، وأنه من نسل «عدنان بن إسماعيل»، ولكن يختلف النسّابون في ربط النسب إلى «نبيط» و«قيدار» حيث ربطه البعض إلى نبيط والآخر إلى قيدار أبناء إسماعيل عليه السلام.

ومن خلال البحث والتدقيق ستجد أن تقسيم العرب إلى طبقات من ناحية القِدَم أو نشأة العروبة ليس له أي أثر في التوراة ولا أي كتابات أخرى، فهو تقسيم عربي خالص من نتاج الكاتبين العرب.(235)

وبهذا الشكل الذي تم توضيحه انتشرت ذرية إسماعيل أبو العرب الإسماعيلية، أما خط ذرية أخيه إسحق فكان على ما يلي:

ذرية إسحق بن إبراهيم

إسحاق هو الأخ الثاني لإسماعيل من الأب إبراهيم عليهم جميعًا السلام، كما هو معروف في جميع - الديانات الإبراهيمية - وهو أب نَسب لبني إسرائيل، وفي سفر التكوين في الإصحاح الحادي والعشرين تجد قصته بالتفصيل، فنسبةً - للتوراة - هو الوريث الوحيد لأبيه إبراهيم،

وقد سُمي باسم إسحق الذي هو بمعنى «الضاحك»، لأن أمه سارة ضحكت عندما بُشرت به، وتجد بعض - مفسرين التوراة - يعتقدون أن ذِكر اسم «إسرائيل» الوارد في «كتاب عاموس العهد القديم» المقصود به إسحق، وبرغم ذلك ستجد في - الكتاب المقدس - أن اسم إسرائيل هو خاص بيعقوب ابنه.

وتذكر - التوراة - أن «سارة» كانت لا تبتغي أن يشارك إسماعيل ابن جاريتها «هاجر» في ميراث النبوة، لذلك طلبت من إبراهيم أن يخرج هاجر وابنها إسماعيل من بيته(234)، وبالفعل حدث ذلك كما حكت القصة الشهيرة التي وقعت وانفجر بسببها بئر زمزم.

أما إسحق، فعندما وصل سن الأربعين أرسل أبوه إبراهيم خادِمَهُ الخاص إلى بلاد ما بين النهرين(233)، ليختار لإسحق زوجة من طرف «لابان»، الذي يقرُب لزوجته «سارة»، فتزوج إسحق «رفقة» التي تعتبر أخت لابان(232)، وهي عند اليهود نبية وصالحة، وبعد وقتٍ من الزواج اكتشفت أنها عاقرة، فصلى إسحق للرب من أجل أن يطعمه بالذرية، فحمَلَت رفقة بتوأم، وهما «عيسو»، و«يعقوب»، ولما اشتد عليها الحَبَل، تسارعا الطفلان في بطنها، فتألمت وقالت: «مالي والحبَل؟»، ولما استفهمت من الرب، قال لها إن هذا معناه أن هذين الطفلين سيكونان آباءً لشعبين كبيرين، وسيستقوي أحدهما على الآخر، والكبير سيستعبد الصغير(231).

فَضَّل إسحق «عيسو» وكان مقربًا إلى قلبه، بسبب أن الفتى كبر وأصبح صيادًا يُطعم أباه من يديه أشهى ما يتم صيده، ولكن زوجته رفقة فَضَّلَت «يعقوب» الذي كان هادئًا يحب البقاء في الخيام، وكان مقرَّبًا إلى قلبها(230)، ولما تقدم إسحق بالسن، وبلغ عمره مائة وسبع وثلاثين سنة، ضعف بصره، واستشعر باقتراب الأجل، فقرر توريث النبوة لابنه عيسو - بحسب التوراة.

ذرية عيسو بن إسحق

يُذكر - في التوراة - أن عيسو هو «آدوم»، وأنه هو أبو «الآدوميين».

وكان عيسو يهوى الصيد ويعشقه، ودومًا يعود لأبيه بصيدٍ سمين، وذات يومٍ عادَ دون رزق، فوجد أخاه يعقوب يطبخ عدسًا، فقال له أعطني من هذا الطعام الأحمر، ومن يومها لقبوه بـ«آدوم»، وذكرت - التوراة - أن ثمن هذا الصحن هو التنازل عن بركة بكوريته ليعقوب(229)، وكان لأمر البكورية شأن كبير، حيث كانوا يخصون الابن الأكبر سنًا بالميراث كله سواء كان الميراث ماديًا أو غير ذلك، بما يشمل النبوة والمُلك.

تزوّج عيسو من «بسمة» ابنة عمه «إسماعيل» على غير رضا أهله، وأخذ باقي نسائه من بنات «كنعان»، وتكاثر نسله وانتشروا على «جبل سعير» بفلسطين وفوقه ظهر الآدوميون الأوائل، وذكرت - التوراة - بأن الأدوميين قد تفوق عليهم أبناء يعقوب وانتصروا عليهم واستعبدوهم.

وعيسو ليس له وجود في الإسلام ولا كتب التاريخ، لكنه نبي عند اليهود، ويقولون إنه من وُلد أولًا قبل أخوه بلحظات، وأن يعقوب عندما سرق البكورية منه كانت أمهم هي من ساعدته.

ذرية يعقوب بن إسحق

يعقوب هو نبيٌ من أنبياء الله الصالحين في الإسلام، واستكمالًا للقصة التي أوردتها - التوراة - إسحق والد التوأم عيسو ويعقوب عندما تقدّم في السن أصابه العمى كما ذكرنا، وعندما شعر باقتراب أجله قرر أن يُبارك ابنه الاكبر عيسو بالذات، فطلب منه أن يذهب ناحية البرية ويصطاد له طعامًا شهيًا قبل أن يسلمه بركته، وقتها كانت رفقة زوجة إسحق تتجسس عليهم فسمعت بالخبر، وانتظرت حتى خرج عيسو، فذهبت إلى يعقوب المقرب إلى قلبها، وأرشدته وأبلغته رغبتها في أن البركة يجب أن تنزل عليه هو، واقترحت على يعقوب أن يذهب ويصطاد نعجتين، ومن ثم يقومان بتحضير وجبة شهية لأبيه إسحق، حتى يقتنص البركة من أبيه بدلًا من أخيه البكر عيسو، لكن ارتعب يعقوب وأصابه القلق، فهو يعلم أن أباه سوف يعرفه بمجرد لمسه، فأخوه عيسو كان مُشعرًا، أما هو فكان أملس، وخاف أن يجازف فتتسبب المجازفة في لعنة ربما قد تحلّ عليه من أبيه بدلًا من البركة، لكن تدخلت رفقة واقترحت عليه بأن يضع بعضًا من جلد النعجتين المطبوختين حول رقبته ويديه، وعندما يتحسسه أبوه سيشعر أنه المُشعر عيسو.

بالفعل ذهب يعقوب إلى خيمة أبيه إسحق مُتنكرًا، وقد امتلكه الخوف والارتباك، فشعر والده بوجوده وسأله بشك: «من أنت يا بني»؟

فأجابه يعقوب وهو يكذب بصوتٍ متردّد: «أنا عيسو ابنك البكر».

ولكن شك إسحق في الأمر فطلبَ أن يَجُسّهُ لكي يتأكد أنه عيسو، وبدا أن جلد النعاج بالفعل قد أدى الغرض وخدع نبي الله إسحق - بحسب رواية التوراة - الذي قال له: «إن الصوت صوت يعقوب ولكنّ اليدين يدا عيسو».

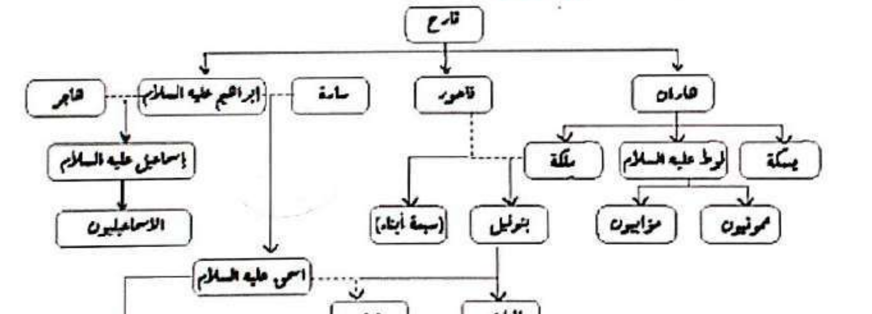
بارك إسحاق يعقوب على أنه عيسو، وقال له: «فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض، لتستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل، كن سيدًا لإخوتك، وليسجد لك بنو أمك، ليكن

لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين».(228)

وصل عيسو واكتشف الخدعة، وعندما تحدث مع أبيه إسحق تفاجأ بالأمر، فأشفق إسحق عليه فأعطاه بركته الثانية، والتي كانت حتمًا هي الأقل، فقرر عيسو قتل أخيه يعقوب.. سمعت رفقة ما قاله عيسو فهرولت لتخبر يعقوب بوجوب الهروب، وأرشدته على الاختباء في بيت أخيها «لابان» في حران.

تسلل يعقوب هاربًا في كنف الليل حتى وصل بالفعل إلى بيت خاله «لابان»، وكان لخاله ابنتان وهم «ليئة» و«راحيل»، أحب يعقوب الابنة الصغرى «راحيل» فطلب زواجها مقابل أن يعمل سبع سنين لدى خاله لابان، وعندما انقضت السبع سنوات وقرَّر أن يكون حزا بزوجته اصطدم بخدعةٌ قد نفذها له خاله، فقد أبدل راحيل الصغرى بليئة الكبرى، وألبسها خمارًا على وجهها، وعندما كشفه يعقوب صُعِقَ من المفاجأة.

تركها يعقوب وركض إلى خاله ليستفهم حقيقة ما حدث، فبرَّر خاله فعلته هذه-بأن في بلادهم يجب أن تُعطَى البنت الكُبرى أولًا، ولأن يعقوب كان يحب الصغيرة «راحيل» حبًا جمًا، وافق أن يعمل سبع سنين آخرين ليأخذها، فتزوج يعقوب براحيل بعد ما أكمل السبع سنين الإضافية، وعاش مع الزوجتين.(227)



ذرية ابراهيم بحسب التوراة وماتناقله عنها المؤرخين العرب، من ابيه تارح وحتى الأسباط

ذرية يوسف والأسباط

بحسب التوراة - وما تناقله المؤرخون المسلمون عنها - عاش يعقوب مع الأختين، لكنه كان يحب الصغيرة راحيل أكثر من أي شيء في العالم، وبسبب ذلك امتلك الحقد والكراهية صدر الأخت الكبيرة ليئة، وكذلك أبنائها.

أنجب يعقوب من ليئة الكبرى خمسة أولاد: «روبين»، و«شمعون»، و«لاوي»، و«يهودا»، و«زبولون»، و«يساكر» وبنت وحيدة كان اسمها «دينا».

أما المحبوبة «راحيل» الصغيرة فكانت عاقرًا لا تنجب، فاقترحت على يعقوب الزواج من جاريتها «بيلها»، فتزوجها وأنجب منها «دان» و«نفتالي».

أما ليئة الكبرى فقد كانت تريد أن تنجب أولادًا آخرين فوق الستة لكن لم تتمكن من ذلك، فاقترحت على يعقوب أن يتزوج جاريتها «زيلفا»، فأنجب منها ولدين «جاد»، وآخر اسمه «آشير».

ولكن بعد كل هذا تفاجأت الصغيرة راحيل بكرم الله، حيث تمكنت من إنجاب ولدين بالنهاية هما نبي الله «يوسف»، وأخوه «بنيامين».

وبهذا الشكل خرجت ذرية الأسباط، ومن الأسباط تشعبت الأمم الكبيرة لنسل إسحق وانتشروا في الأرض.(226)

وعن ذلك أخرج الطبري في تفسيره: «الأسباط» يوسف وإخوته بنو يعقوب، اثنا عشر رجلًا فولد لكل رجل منهم أمّة من الناس، فسموا الأسباط».(225)

* * *

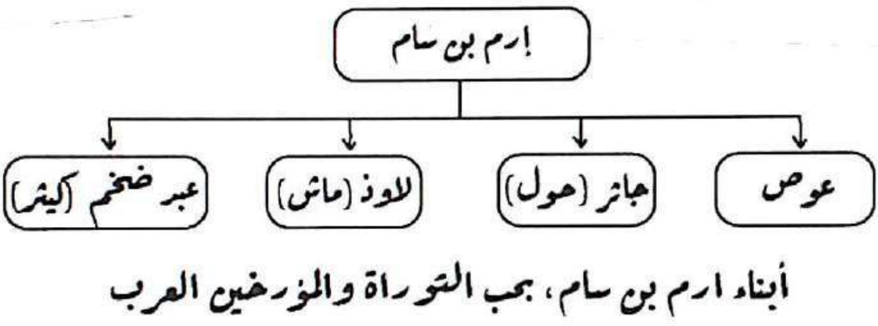
الخط الثاني

ذُرية إرم بن سام

إرم، أو إرام، أو أرام، هو الابن الثاني لـ «سام بن النبي نوح»(224)، وهو في نظر النسّابين العرب أبو العرب البائدة (المنقرضة): عاد وثمود وطسم وجديس وغيرهم، وعند بعض النسّابين تجد أيضًا أخاه «لود» هو أب لبعض القبائل البائدة فيما سيتم ذكره في موضعه.

نسل إرم

اتفق أهل التوراة والنسّابون العرب بأن «إرم» كان له أربعة أبناء (مع تحريف بعض الحروف) وهم: «عوص، و«جاثر»، و«لاوذ»، و«عبد ضخم»، وهم في التوراة، «عوص» و«حول» و«ماش» و«كيثر».(223)



أبناء ارم بن سام، بحسب التوراة والمؤرخين العرب

وتزامنًا مع خط سير نسل أولاد «أرفخشذ» الذين تم ذكرهم في الخط السابق، بقي القليل جدًا من نسل «إرم بن سام» في «شنعار» أو بابل، وروى الإخباريون بأنهم قد هاجر غالبيتهم إلى أراضيهم المقسمة عليهم في نطاق الأراضي العربية الحالية، ولم يتم تحديد أماكن توزيعهم بالضبط، لكن بعض الأبحاث اجتهدت، ومنهم من توقع أن عوص أو «عوض بن إرم» وأولاده اتجهوا ناحية «الأحقاف» إذ افترضوا وجودها بالربع الخالي إلى عدن، ما بين المملكة العربية السعودية حاليًا وسلطنة عمان واليمن(222)، ومنهم من قال إن نفوذهم وصل إلى مصر، وتمركزت مجتمعاتهم بمنطقة تسمى الأحقاف (لم يتم تحديدها بمصر بمنتهى الدقة، ولكن هناك تكهنات بأنها ربما تكون الجيزة)، وسبب تفاوت هذه الآراء أنه يوجد في عالمنا العربي الكثير من الأحقاف، في مصر وجنوب شبه الجزيرة العربية وغيرهم.

وأولاد «جاثر بن إرم» قال الإخباريون إنهم استقروا شمال غرب المملكة العربية السعودية وكان نفوذهم قوي في مدينة الحجر.

أما نسل «لاوذ بن إرم» فتوزعوا في تهامة والمملكة العربية السعودية والبحرين وعمان وحضر موت، وكان لهم نفوذ في يثرب ومكة، وكذلك حاربوا أبناء عمومتهم من العرب القحطانيين من نسل «هود بن أرفخشذ» في اليمامة (نجد)، فهزمهم القحطانيون واقتنصوا منهم اليمن.

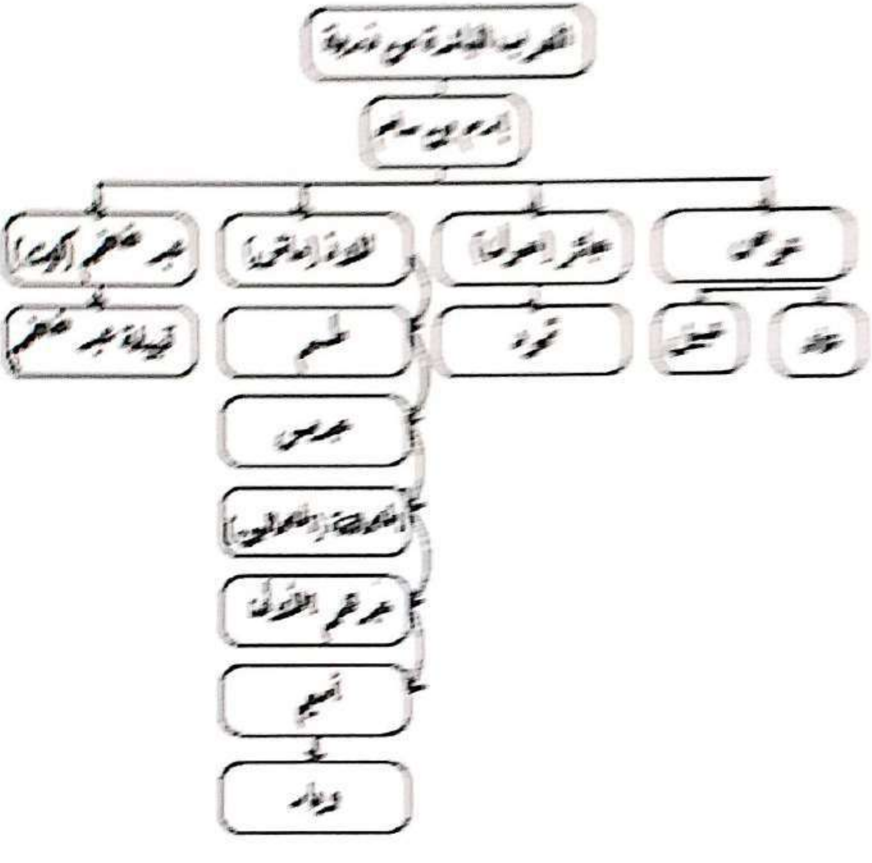
ويعتقد غالبية النشابين أن من نسل الحفيد عوص جاءت عاد ومن نسل جاثر كانت ثمود، وفي نصوص «ابن قتيبة» ورد أن من نسل لاوذ الكبير أخو إرم، جاءت أقوام عمليق وطسم وجديس وغيرهم من القبائل التسعة المنقرضة المسماه بالعرب البائدة(221)، ولكن لا يظهر على ذلك إجماع.

* * *

العرب البائدة

مصطلح العرب البائدة أو العرب القدماء، المقصود به من وجهة نظر النشابين العرب، الأقوام الذين كانوا هم السكان الأصليون للجزيرة العربية في الماضي بعد انتهاء طوفان نوح بوقت ليس ببعيد، وكما ذكرنا في تقسيم طبقات العرب أنه قد اتفق غالبية المؤرخين على أنهم ثلاث طبقات بعدما نفضوا أيديهم عن الأمر وأنهوه، لكن تجد أيضًا بعضًا من المؤرخين لا يستعملون مصطلح العرب البائدة، فيضيفون العرب الأوائل إلى طبقة العرب العاربة، فتقسيم طبقات العرب بالنسبة لهم قسمين فقط، عرب عاربة (القحطانية، وتشمل البائدة معها) وعرب مستعربة (العرب الإسماعيلية أو العدنانية) وتراهم يُدخلون في العرب العاربة قبائل العرب البائدة أو العرب الأولين مثل: ذرية «عاد بن عوص بن إرم» وذرية «عبيل بن عوص بن إرم»، وذرية «ثمود بن جاثر بن إرم»، وذرية «جديس بن جاثر بن إرم»، وكذلك ذرية «عمليق بن لاوذ بن إرم»، وذرية «طسم بن لاوذ بن إرم»، وذرية «أميم بن لاوذ بن إرم»، وكذلك «بنو يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام»، وهم: «قبيلة جرهم»، و«قبيلة حضرموت»، و«السلف»، و«جاسم بن عمان بن سبأ بن يقشان بن إبراهيم»(220)، ولكن من الواضح أن هذا الشمول غير دقيق، فكما ذكرنا أن البائدين من نسل «قحطان بن هود» وما خلفهم لم يكونوا بائدين بمعنى الكلمة، لكنهم انصهروا واندمجوا مع العرب الإسماعيليين.

أما العرب البائدة فهم من انقطع نسلهم تمامًا من على الأرض، وقد عدهم أهل الأخبار تسع قبائل وما تفرع منهم، واتفق معهم أهل الأنساب على ذلك، فالعرب البائدة هم المادة الأولى للنسل العربي، وأقدم بطون العرب، واتفقوا على أنهم من نسل إرم، باستثناء آراء قليلة قالت إن بعضهم من نسل «لاوذ».



قبائل العرب البائدة من نسل إرم

يلاحظ من يحقق في الكتب أن العديد من المستشرقين قد شككوا في حقيقة وجود هذه القبائل، وقالوا إنها مجرد سرد من أساطير العرب، وذلك بسبب عدم وجود دليل عيني واحد عنهم حيث لم تذكرهم أي كتابات أو آثار قديمة، ولكن مع تقدم البحث والعلم ظهر ما قد جعلهم يغيرون فكرتهم بعدما تم العثور على نقوش تحمل أسماء هذه الأقوام، مثل الكتابات المسمارية، فأصبحت محط البحث مرة أخرى حول التعرف على هذه الأقوام وتاريخهم، وبسبب انقراض هذه الأمم للأسف المعلومات عنهم قليلة وغامضة (218)، ولكن هنا نتناول ما قد وصل إلينا عنهم فيا ترى ماذا حدث لهؤلاء البائدين، وما هي قصصهم

المثيرة، ولماذا انقطع دُبرهم من على وجه المعمورة؟

نسل عاد «إرم ذات العماد»

هم ذرية «عاد بن عوص بن إرم»(217)، وقال آخرون إنهم ذرية «عاد بن عاديا بن سام بن نوح» والأول أقرب للصواب، فلم يُسمع عن ابن اسمه «عاديا» غير في هذا الموضع.

بعد هجرة أبناء نوح وذريتهم من بابل، تعاقبت الأجيال وفسدت أحوال العباد، حتى عم الشرك بالله مجددًا، وكانت قبيلة عاد من نسل عوص، تسكن في منطقة مسماة تاريخيًا باسم الأحقاف كما هو واردٌ في القرآن الكريم، والأحقاف هي الرمال المتعرجة أو المعوجة المتميزة بالطول، ولقد حدّد بعض المؤرخين مكانها بين اليمن وعمان(216)، ولكن قال آخرون ربما مسكنهم كان في الجيزة بمصر كما وضحنا من قبل، وقال آخرون في دمشق بسوريا(215)، ورجح آخرون أن موطنهم كان جبل رام بالأردن، والبعض الآخر رجّح بأنها مدينة أوبار في سلطنة عمان(214).

لكن في العصر الحديث ظهرت أبحاثٌ جديدة عام ٢٠٠٢ نفت كل هذه التوقعات(213)، وقالت إن هناك اعتقادًا كبيرًا جدًا قد نجم بعد الاكتشافات الحديثة بأن الرأي الأول هو الأصح، والذي يقول بأن الأحقاف هي المنطقة الواقعة ما بين اليمن وسلطنة عمان والمملكة العربية السعودية في منطقة «الربع الخالي».

وبحسب - القرآن - عاش أبناء عاد جيلًا بعد جيلٍ، وزادهم الله بسطةً ونفوذًا في القوة والجسد والحضارة، ويقال إنهم كانوا أصحاب أكبر قوة على الأرض في زمانهم، وهم بناة ماهرون، تميزت حضارتهم بالأعمدة الشاهقة، وعلى أيديهم تم بناء «إرم ذات العماد»، وكانوا يبنون فوق كل تل مبنى مميزًا، ليس له غرض دون التباهي، وبذلك اكثرت مبانيهم دون الحاجة إليها، كما تميز مجتمعهم بالرخاء، ففيه كثرت الأنعام، وزادت المصانع، وتوسع العمران، بالإضافة إلى تمتعهم بمنتهى الصحة والعافية، فقد كانوا أصحاء، أقوياء، ضخام الأجسام، طوال القامات، وقد شُبّهت أطوالهم بطول النخل، لكنهم رغم كل هذا تكبروا ونسوا فضل الله، وتجاهلوا وعد أجدادهم بعد الطوفان، فبعث الله فيهم «هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام» كنبي، وقال بعض النسّابين أن هودًا ربما يكون واحدًا منهم لأنه نُعت في القرآن بـ«أخوهم هود» ونسبوه إلى «عوص بن إرم بن سام بن نوح»، ولكن يرى - غالبية علماء المسلمين - أن حجتهم في ذلك لم تكن قوية، فالقرآن دائمًا ما يصف أبناء العمومة بالإخوة، علاوة على أنه يصف أبناء آدم كلهم بالإخوة.

دعاهم هود بترك الكبر، وأن يتذكروا أن الله جعلهم خلفاء للأرض من بعد نوح... وهود عليه السلام لم يذكره القرآن الكريم بمعجزة واحدة، ولكن قال - علماء الإسلام - ربما تكون معجزته تكمن في تحديه لهم، فرغم كل القوة والجبروت الذي تم وصفهم في سمات قوم عاد، لم يستطع أحد أن يؤذي هود بأي سوء، بالرغم من أنه كان منفردًا يواجههم في أوج شهرتهم كعتاة جبارين، ولم ينالوا منه رغم أنه اعترض أفعالهم وحقَّر آلهتهم.

لم يستجب قوم عاد لدعوة أخيهم هود، وقال - بعض المفسرين المسلمين - أن قوم عاد هم أول جيل ابتدع الشرك بالله بعد الطوفان، وأنهم سبقوا أولاد أرفخشذ في الشرك، في تشابه واضحٍ بينهم وبين قوم نوح الذين كانوا أول جيل يبتدع الشرك أيضًا، فلذلك حق على قوم عاد الفناء، وكانت عاقبة أمرهم بأن سلَّط الله عليهم ريحًا عاتيةً سبع ليالٍ وثمانية أيام، حتى أصرعتهم واقتلعتهم، واقتلعت معهم حضارتهم كاقتلاع النخل من الجذور، وبهذا الشكل لم ينجُ من نسلهم أحدٌ غير قلة ممن آمنوا مع هود.(212)

وللإخباريين العرب رأيٌ في قوم عاد، حيث اعتقدوا أن لقوم عاد طبقتين(211)، عادٌ الأولى وعادٌ الثانية، أما عادٌ الأولى التي أخذها العذاب - كما نعتها القرآن - فكانت قبيلة ضخمة تحتوي من وجهة نظرهم على أكثر من ألف بطن، وقالوا إن من أشهر بطونهم: «رفد»، و«رمل»، و«صد»، و«عبود»(210)، وفي ذلك اتفق الطبري أيضًا... ويقول أهل الأخبار أن عادًا الأولى لم يبقَ منها إلا نفرٌ قليل ممن آمنوا وعبروا مع هود الصحراء، وآخرون قد نجوا بسبب أنهم ذهبوا ليستسقوا الماء من العماليق بمكة وقت وقوع الحادث(209)، وقالوا إنه كان فيهم «لقمان»، و«لقمان بن عاد» هذا، غير «لقمان النوبي الحكيم» المذكور في القرآن، الذي يُعتقد أنه عاصر «داود» عليه السلام، الذي هو «لقمان بن باعور» ابن أخت نبي الله «أيوب» عليه السلام أو ابن خالته، والذي كان موطنه بلاد النوبة بأفريقيا.(208)

بعدما وصل العابرون قُربَ اليمن، خافوا من انحباس المطر والجفاف، فدخلوا أرض سبأ، وبنى لقمان بن عاد سدَّ «العرم» قُرب مأرب، ومن هؤلاء الناجين قامت وترعرت عادٌ الثانية، حتى حاصرهم عرب قحطان وتغلبوا عليهم فانقرضوا كأسلافهم.(207)

نسل ثمود «الذين جابوا الصخر بالواد»

هم ذرية «ثمود بن جاثر بن إرم»(206)، وذهب البعض إلى انتسابهم لـ «عاد بن عوص بن إرم» بعدما اعتبروهم خلفاء لقوم عاد(205)، وينسبهم آخرون إلى «عابر بن إرم بن سام بن نوح»، زاعمين أن ثمودًا هو أخو جديس(204)، والرأي الأول هو الأكثر شهرة.

كانوا مجموعة قبائل متفرعة من قبيلة كبرى من «جاثر»، وكانوا يملكون السيطرة على أرض الحجاز غرب المملكة العربية السعودية، فيما يُسمى بـ«مدائن صالح» حاليًا، كان لهم قوة ونفوذ، وحاربوا الآشوريين في أكثر من موقعة، وقد تم ذكر أبناء ثمود في نقش لـ «سرجون الآشوري» يعود لعام ٨٠٠ ق.م، والذي يؤكد انتصار آشور(203)، وكذلك تم ذِكر ثمود في بعض من النقوش الآثرية في مدينة «تيماء»، وكذلك ذكرهم الإغريق الذين أوردوا كلمة «ثمود» في المعبد الإغريقي الموجود شمال غرب الحجاز المبني في عام ١٦٩م، وكذلك ذكرهم البيزنطيون في كتبهم.(202)

كانوا سكان قرية «الحِجر»(201)، وبحسب - القرآن - كانوا شعبًا قويًا، بارعًا في نحت الجبال، فجابوا الصخور والوديان، وتمكنوا من نحت بيوتٍ وقصورٍ لهم فيها، فكانت بيوتهم ومساكنهم ليس لها مثيل في العظمة والفن، وكانوا يتفاخرون بقوتهم، وبرغم كل هذه النعم لم يشكروا الله، وعادوا لعبادة الأوثان ولم يعتبروا من قصة أولاد عمهم عاد، فأرسل الله فيهم نبيه «صالح بن جابر بن ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح»، كمبشرٍ ومنذرٍ، ولكنهم كذبوه وعصوه.(200)

ويقول - القرآن الكريم - بأنهم طلبوا منه أن يأتيهم بآية حتى يصدقوا أنه نبي، فأتاهم بالناقة كمعجزة من السماء، وتمثلت المعجزة في أن الناقة خرجت من بين الصخر الذي تفننوا في نحته، أي أنها لم تُولَد من أم، وكذلك من معجزاتها أنها إذا شربت من بئرٍ لا تقترب منه باقي الحيوانات طوال اليوم، وقِيلَ إن من معجزاتها أنها كانت تدرُّ لبنًا يكفي لشُرب جميع السكان في هذا اليوم.

قال لهم «صالح» عليه السلام أن الله يأمرهم بعدم مساس الناقة أو إيذائها، وأن يتركوها تأكل في أرض الله، وحذَّرهم من قتلها أو التطاول عليها، فتكون عاقبتهم عذابًا قريبًا.

آمن منهم من آمن وبقي أغلبهم على العناد والكفر، ومنهم من آمن فقط بعد رؤية معجزة الناقة ولكنه ارتدَّ بعد ذلك.(199)

وفي إحدى الليالي انعقد مجلس رؤساء القوم يتشاورون فيما يجب القيام به لإنهاء دعوة صالح، فأشار عليهم واحدٌ منهم بقتل الناقة، ولا سيما قتل صالح نفسه.

فردَّ عليه شخصٌ آخر قائلًا: «يجب ألا نفعل ذلك خوفًا من تهديد صالح».

فقاطعه آخر قائلًا: «أعرف من يجرؤ على قتل الناقة».

فدلهم على شخص يُدعى «قدار بن سالف بن جندع بن ثمود بن جاثر بن إرم بن

سام»(198) فوافق قدار وتبعه شخص اسمه «مصرع بن مهرج بن المحيا بن ثمود»، ومعهم سبعة فأصبحوا تسعة سينفذون الجريمة، وتقول الرواية الموجودة في كتب المفسرين(197): أن امرأتين من ثمود، اسم الأولى: «صدوف ابنة المحيا بن زهير بن المختار بن ثمود»، كانت ذات حسب ومال، وكانت تحت رجل قد أسلم، ففارقته، فدعت ابن عم لها يقال له: «مصرع بن مهرج بن المحيا»، وعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة.

أما المرأة الأخرى فكانت: «عنيزة بنت غنيم بن مجلز»، وتكنى بـ«أم عثمان»، وكانت عجوزًا كافرة، لها بنات من زوجها «ذؤاب بن عمرو» أحد الرؤساء، فعرضت بناتها الأربع على «قدار بن سالف» إن هو عقر الناقة، فله أي بناتها شاء.

بالفعل تم انتداب هذين الشابين لقتل الناقة، وسعوا في قومهم بذلك، وبعدما استجاب لهم السبعة، أصبحت الطائفة الباغية عددها تسعة، وسعوا في بقية القبيلة وحببوا لهم فعل قتل الناقة، فأجابوهم وطاوعوهم في ذلك، فانطلقوا يرصدون الناقة، فلما صدرت من وردها نصب لها «مصرع» كمينًا، فرماها بسهم، فشك قدمها وانتظم عظم ساقها، وجريت النساء نحو الرجال لترغيبهم في نحرها، فتقدم «قدار بن سالف»، فشد عليها بالسيف، فكشف عن عرقوبها، فخرت ساقطة إلى الأرض، ورغت رغاة واحدة عظيمة تحذر ولدها، ثم طعنها «قدار» في لبتها فنحرها.

هرب وليد الناقة وصعد جبلًا منيفًا - وروى المؤرخون - أنه دعا ثلاثًا، وقال: يا رب، أين أمي؟ ثم دخل في صخرة، فغاب فيها، ويقال: بل اتبعوه، فعقروه أيضًا(196)،(195).

علم صالح بذلك وهددهم أن عذابهم سيأتي بعد ثلاثة أيام، وبعدما مر الثلاثة أيام كانوا خلالها يستهزئون وينتظرون، في فجر اليوم الرابع انشقت السماء وخرجت منها صيحة واحدة جبارة، فصعقوا كلهم صعقة واحدة، وهلكوا جميعًا، ولم ينج منهم غير القليل مع صالح(194).

بهذا الشكل اندثرت ذريتهم، ولم تتكاثر ذرية القلائل الباقين، ومنهم من تداخل نسلهم في أنساب غيرهم، حتى انقرض نسل ثمود للأبد.

نسل طسم وجديس (وقصة زرقاء اليمامة)

يقول الإخباريون أن قبيلة طسم العربية من نسل «طسم بن لاوذ بن إرم»(193)، وآخرون قالوا «طسم بن بن كاثر بن جاثر»(192)، لم يذكرهم القرآن ولا السنة النبوية أبدًا، فلا وجود لهم إلا في كتب المؤرخين القدماء، وقد اعتبرهم أهل الأخبار من الأقوام الأولى التي

تساوي قوم عاد في القدم، وأنهم من أوائل العرب البائدة(191)

أما قبيلة «جديس» العربية، فهي من نسل «جديس بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح»(190)، وقال آخرون أبناء «جديس» شقيق «ثمود بن غاثر بن إرم بن سام بن نوح»، وأنهم إخوة عاد. (189)

وقد تعلقت سيرتهم في التاريخ بسيرة إخوانهم أبناء «طسم»، فقد تبيّن أن القبائل البائدة «طسم» و«جديس» و«العماليق» إخوة، ومن بطن واحدة... وكان مركز انتشار قبيلة جديس وقبيلة طسم في اليمامة وما حولها، وكانت بلادهم من أخصب البلدان وأكثرها خيرًا، وكانت نهايتهم في أيام ملوك الطوائف.

وملخصًا لقصتهم التي أوردها المؤرخون العرب(188): أن قبيلة جديس كانت مذلولةً على يد قبيلة طسم التي استعبدتها وحكمتها، وكان ملكهم يومئذ اسمه «عميلق» وهو ليس من العمالقة إطلاقًا لكنه من نسل طسم، وكان ظالمًا لا يقيم العدل بينهم، لدرجة أن ذات مرة جاءته امرأة تُدعى «هزيلة» من أولاد جديس، وقالت له: إن زوجي طلّقني وأراد أَخْذَ هذا الولد منّي.

فقاطع زوجُها كلامَها وقال: أيها الملك، إني أعطيتها مهرًا كاملًا، ولم أصب منها طائلًا، إلا وليدًا خاملًا، فافعل ما كنت فاعلًا.

فخرج الملك «عميلق» بحكمٍ غريبٍ لا يدل على شيء إلا على ظلمه وجبروته، حيث أمر أن يأخذ الولد بين غلمانه، وأن تُباع المرأة وزوجها فيعطى الزوج خُمس ثمنها، ويعطى المرأة عشر ثمن زوجها، ويصبحان الاثنان من العبيد.

فقالت هزيلة فيه شعرًا يهجوه:

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا

فأنفذ حكمًا في هزيلة ظالمًا

لعمري لقد حكمت لا متورعًا ولا كنت فيمن يبرم الحكم عالمًا ندمت ولم أندم وأنى بعترتي وأصبح بعلي في الحكومة نادمًا

فلما سمع «عمليق» هذا الكلام أصدر أمرًا أغرب، وهو ألا تتزوج أي أنثى بكر من جديس قبل أن يدخل عليها قبل زوجها.

ومن ضمن هؤلاء العروسات المسكينات جاء دور «عفيرة بنت عباد» التي كان لها أخٌ اسمه

«الأسود بن عباد»، وكان فارسا مُطاعًا بين قومه، لكنه كان مغلوبًا على أمره، فحملوها إلى «عميلق» مجبورين حتى يدخل عليها هذا الظالم أولًا لتتزوج، فدخل عليها وخلى سبيلها، فشقت ملابسها من قُبل وذبر حتى يظهر الدم للناس، وخرجت لهم في أقبح صورة، وقالت لهم: «يالعاركم، أهكذا تفعلون بعروسكم، أين رجولتكم، فموتوا كرامًا أو أميتوا عدوكم، ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل، أو موتوا من الذل والهزل».

وخرج أخوها الأسود قائلًا لقومه: «يا معشر جديس، إن هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم في داركم إلا بملك صاحبهم علينا وعليهم، ولولا عجزنا لما كان له فضل علينا، ولو امتنعنا لانتصفنا منه، فأطيعوني فيما آمركم فإنه عز الدهر».

فقالوا: «نطيعك ولكن القوم أكثر منّا».

فقال: «فإني سأصنع للملك طعامًا وأدعوه وأهله إليه، وعندما يرفلون في الحلل، أخذنا سيوفنا وقتلناهم»

فقالوا: «افعل».

بالفعل صنع «الأسود بن عباد» طعامًا كثيرًا ووضعه في مدخل البلد، ومن خلف المائدة دفن هو وقومه سيوفهم في الرمال، وعندما جاء الملك وقومه، وأخذوا مجالسهم وبدأوا يكشفون الطعام ويأكلون، انقضّ عليهم شباب جديس بالسيوف، وقتلوا الملك وأهله وبعد ذلك قتلوا أعوانه.

بعدها حكم «الأسود بن عباد» قبيلتي جديس وطسم، لكنه لم يستمتع بالحكم إلا قليلًا، وذلك بسبب أن هناك رجلًا من طسم اسمه «رياح بن مُرة»، هرب وذهب ليستنجد بـ«حسان بن تُبع الحميري» ملك اليمن، وطلب منه التدخل، فزحف «حسان» بجيشه ناحية اليمامة، وقبل دخولها بثلاثة أيام، قال واحد من أبناء طسم كان دليلًا لسير الجيش، أن هناك امرأة اسمها «زرقاء اليمامة» تعيش في جديس، تُبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام، وإني أخاف أن تُنذِر القوم بكم، واقترح على حسان أن يقطع الأشجار فتحملها مقدمة الجنود ويجعلونها أمامهم ويمشون، فأمرهم حسان بذلك.

نظرت اليمامة، فرأتهم قبل مسيرة ثلاثة أيام، فقالت لقوم جديس: «لقد سارت إليكم جمير».

قالوا: «وما ترين؟»

قالت: «أرى رجلًا في شجرة معه كتف يتعرقها أو نعل يخصفها».

فاستهزأوا بها وكذبوها وانصرفوا عنها، فوصل إليهم حسان بجيشه، فوقعت حرب أهلكت جديس ومعها طسم، وفقأ حسان عيني زرقاء اليمامة، ومن هنا ظهر المثل العربي الشهير «بوار طسم بيدي جديس».

ولما هلكت جديس هرب «الأسود بن عباد» قاتل «عمليق» إلى جبلي «طيء» وهما جبلي «أجا» و«سلمى» بجزيرة العرب حاليًا، فأقام بهما، ذلك قبل أن تنزلهما قبيلة «طيء» الشهيرة، وكانت طيء تنزل الجرف من اليمن، فرأوا الأسود بن عفار فقتلوه، وأقامت طيء بالجبلين بعده، فهم هناك إلى الآن، وهذا أول مخرجهم إليهما(187)، وكذلك بقيت اليمامة خالية، فحلّ بها «بنو حنيفة» الذين كانوا بها عند ظهور الإسلام.

وبرغم ثبوت القصة في عدة مصادر هناك علماء عرب كثيرون قد استنكروها، وقالوا منذ متى وهذه صفات العرب، في كل مواضع الرواية!

نسل العماليق (العمالقة)

كان «عمليق» أو عمليق، الذي هو جد العمالقة، أخا لجديس وطسم، وهو «عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح» ولا يوجد لهذا النسب ذكر إلا في كتب الإخباريين.

خرج من ظهر عمليق أمم كثيرة جدًا، تفرقت وانتشرت في أماكن عديدة من الأرض، فكان منهم قبائل بالشام ومصر، وقيل إن منهم ملك مصر في عهد «يوسف» عليه السلام، ويُعتقد أن فرعون موسى من نسلهم حينما كانوا يحكمون مصر، فالهكسوس أيضًا منهم، وكذلك من نسلهم أهل الحجاز وقتها، وكذلك ينتسب أهل عمان والبحرين لـ«جاسم»، وجاسم هم من نسل عمليق، وكذلك كان من أهل المدينة عمالقة، منهم قبيلة بنو مطر»، و«بنو الأزرق»، و«بنو هف» و«سعد بن هزان»، وكذلك سكان نجد، ومنهم «بديل»، و«راحل»، و«غفار»، وكان لهم نسل في أهل «تيماء»(186).(185)، وكذلك ذكر الطبري أن من ظهره خرج «الكنعانيون» الذين طردهم اليهود من نسل سام، فيما سيأتي ذكره في موضعه.

وكان العمالقة عربًا متأصلين ومن أقدم العرب زمانًا، وكانت لغتهم هي العربية، وكانوا عمالقة البنيان وجبارين في الأرض، أقوياء أشداء ذوي بأس، وللأسف ليس في آثارهم شيء غير في - التوراة - ومن تتبع نشرهم من الإخباريين(184)، فالتوراة لم تذكر نسبهم لكنها ذكرتهم ووصفتهم بالجبارين أعداء «يهوه»، حيث يقال إن نهاية زمانهم كان في عهد نبي الله «موسى» عليه السلام، حيث كان يحكمهم ملكهم الأخير الذي كان يُدعى «الأرقم»، وقد أرسل «موسى» عليه جندًا لمقاتلته فقضى على قومه من أهل تيماء.(183)

انتشر العماليق في أماكن متعددة أكثر من السابق ذكره، فمثلًا هم أول من سكنوا «صنعاء»، قبل أن تُسمى صنعاء، وكذلك خرج منهم طائفة توغلت في «يثرب»، فأخرجوا منها قبيلة «عبيل» وسكنوا في ديارهم، وأجبروا «عبيل» على النزوح موضع «الجُحفة»، فأقبل السيل فاجتحفهم فذهب بهم، فلذلك سميت «الجحفة»(182)وذكر الإخباريون أن «موسى» أرسل جيشًا لحرب عماليق يثرب(181)، ولكن ربما يكون هذا غير صحيح لعدم ذكر هذه الحرب في التوراة.(180)

كان نفوذ العمالقة يصل دون استقطاع بين فلسطين وطور سيناء ومصر، وجاء ذِكرهم بأنهم أول شعب قاتل العبرانيين وأرعبهم حينما خرجوا من مصر متجهين إلى فلسطين، ودائمًا ما كانوا يتمكنون منهم ويردعوهم، حتى تولّد الحقد بين العبرانيين والعمالقة، وظهر هذا في حديث النبي «صموئيل» الذي يعتقد به اليهود(179) عندما أمر «شاءول» أول ملك عبراني قائلًا: ««إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لِمَسْحِكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ. هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا». فَاسْتَحْضَرَ شَاوُلُ الشَّعْبَ وَعَدَّهُ فِي طَلاَيِمَ، مِئَتَيْ أَلْفِ رَاجِل، وَعَشَرَةَ آلاَفِ رَجُل مِنْ يَهُوذَا.»، وبعد ذلك تمكن منهم العبرانيون.(178)

يُذكّر أن العماليق قد انقطع نسلهم ولم يتبقَّ لهم نسل، ولا حتى من القبائل المشهورة التي خرجت من بطونهم وأرهبت الناس، كقبائل «السميدع» و«جاسم».

نسل وبار وأميم (أسطورة النسانيس)

وأما «أميم»، فإنهم من نسل «أميم بن لاوذ بن سام» على حد قول الإخباريين، ولكن آخرون قالوا «أميم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح»(177)، ومنهم من قال إنهم أبناء «لاوذ بن عميلق»(176).

وقبيلة «أميم» اعتبرها الإخباريون في نفس طبقة طسم وجديس، وربما هم إخوتهم أو خرجوا من نسلهم قبل فنائهم - على حد إجماع الإخباريين - وهم من الأقوام التي انقطعت أخبارهم، وقال عنهم المسعودي بأنهم من أوائل من تكلموا العربية حيث قال: «وكان من تكلم بالعربية: يعرب وجرهم، وعاد، وثمود، وعملاق، وطسم، وجديس، ووبار، وعبيل، وعبد ضخم».

ومن قبائل أميم وُلدت قبيلة «وبار» فاندمج النسل كله وأصبح اسمهم أهل وبار، وذُكرَ أن أهل وبار كانوا يعتادون المعصية ويستبيحونها، فعاقبهم الله بأن أمرَ الرمال أن تهدمهم(175)، وورد لموطنهم أقوال عدة، لكن ربما الأرجح أن وطنهم كان في «الربع الخالي» كسابقيهم، ويزعم بعض النسّابة الفُرس أن الفُرس أصلهم سامٍ وليس يافثي، وأنهم من ذُريّة أميم، وقالوا إن «كيومرث» الذي هو أبو الفُرس كما يزعمون هو بن أميم نفسه وأخو وبار(174)، والمسعودي قال قولهم.

ومن الإخباريين من زعم أن موطن وبار كان بأرض فارس، وقيل: عرفت أرض أميم بوبار، أي أرض «وبار»، ولكن هذا لم يتم تأكيده، لكن نحو هذا الرأي ذهبَ المسعودي وقال: «إن جميع من ذكرْنا من هذه القبائل كانوا أهل خيم وبدوا مجتمعين في مساكنهم من الأرض وأن أميمًا وأولاده (يقصد الفرس) هم أول من ابتنى البنيان ورفع الحيطان وقطع الأشجار وسقف السقوف واتخذ السطوح»، ولكن لم يُخبرنا أحدهم لماذا اعتبرت أميم بائدة إن كان من نسلهم حقًّا خرج الفرس، وكيف اتصل نسلهم بهم وما هي شجرة النسب!

تمّ ذِكر وبار أميم في العديد من الأساطير، ولعلّ أشهرهم «أسطورة النسناس»، حيث قالت الأسطورة إنهم تحولوا لنسانيس، بعدما كانوا في الأصل بشرًا، وكان هذا سخطًا من الله على معصية ما قد اقترفوها، فأصبح للرجل منهم نصف رأس، ونصف وجه، وعين واحدة، ويد واحدة، ورجل واحدة، وقيل إنهم انطلقوا في الأرض يرعون رعي البهائم، ويقفزون قفزًا شديدًا(173)، وذُكر عن أرضهم أنها أرض الرمال العالج، ملكها الجن بعدما طردوا البشر منها، وبعدما عينوا جنيون منهم حراسًا عليها، لكي يمنعوا غيرهم من دخولها، بحيث إذا اقترب أي إنسيٍ من هذه الأرض غالطًا أو متعمدًا، حثث الجن في وجه التراب، وسفت الرمل، وأثارت الزوابع.

وقصة سخطهم إلى الآن لم يتم تأكيدها، فتعتبر حتى يومنا هذا مجرد أسطورة، وقد استنكرها العديد من المفكرين، كما لم يتم تأكيد أخبار أميم ووبار من الأساس.

وذكر الإخباريون نهايتهم بأن الرمال قد زحفت عليهم فأهلكتهم، لكن هناك رأيًا آخر اقترحه بعض الباحثين الذي غاصوا في الربع الخالي، قالوا من خلاله إنه ربما تكون نهايتهم بسبب ثوران بركاني، حيث وُجد أن هذا الموضع عبارة عن فوهة بركان تتناثر حوله الحمم.(172)

نسل ذرية عبيل (إخوان قوم عاد)

أما قبيلة «عبيل» فهم ذرية «عبيل بن عوص بن إرم بن سام بن نوح»، وهم إخوان عاد.

(171)

خرج فرع «عبيل» بعدما كبر وتكاثر في بابل، وامتلك هذا الفرع قوته مع الأب الثالث بعد الجد عبيل، وذكر الإخباريون أن «يثرب بن قاينة بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوص بن إرم بن سام» هو الذي قاد القبيلة، وقد نزل يثرب (أرض المدينة المنورة حاليًا) من بابل بعد سفر عشرين يومًا، فعمرها هو ونسله، فسكنت قبيلة عبيل في يثرب(170)، وكانوا أول من وطأت أقدامهم فيها، فحملوا ثقافتهم الزراعية معهم والتي تعلموها في بابل، فزرعوا في يثرب الخير كله عمرًا طويلًا، وكانت مدينة كبيرة، اشتهر اسمها في أماكن كثيرة، فوُجدت في جغرافيا «بطليموس اليوناني»، وكان اسمها «يثريا»، وكذلك أوردها «لسطفان البيزنطي» باسم يثرب، وأيضًا ذُكرت باسم «اتربو» في مدينة «حران» في نقش على عمود حجري.

حاربهم بعد ذلك العماليق وقضوا عليهم كما ذكرنا في ذكر العماليق، وسكنوا مسكنهم بعد ما خرجوا من بابل واستوطنوا ما بين تهامة ومكة، ولم يتعاقب نسل العُبيليون.(169)

نسل جُرهم الأولى (السكان الأصليين لمكة)

وأما «جُرهم الأولى»، فهي غير جُرهم الثانية، الذين هم من القحطانيين، فجُرهم الأولى كانت من العرب البائدة، وكانت على عهد عاد وثمود والعمالقة وعبيل وغيرهم(168)، وكانوا من السكان الأصليين لشِبه الجزيرة العربية، وتحديدًا مكة المكرمة بمسمياتنا حاليًا، وهم من نسل «إرم»، لكن حاربَهم العرب القحطانيون وقضوا عليهم.»(167)

أما جرهم الثانية فينسبهم بعض أهل الأخبار إلى «جُرهُم بن قحطان بن هود» وهم أصهار إسماعيل عليه السلام، فقد تزوج من بناتهم كما ذكرنا.(166)

ذكر نسل حضورا (أصحاب الرس)

أما «حضورا»، ذكرهم أهل الأخبار على أنهم هم «أصحاب الرس» المذكورين في - القرآن الكريم - وأنهم كانوا يعبدون الأوثان، ومنهم من قال إن الله قد أرسل إليهم نبيّه «شعيب بن ذي مهرع»، فكذَّبوه وهلكوا(165)،(164)، ولكن ما نعرفه أن شعيب أرسله الله إلى «مدين»، وآثارهم باقية حتى الآن في غرب الحجاز في منطقة «البدع»، وردًا على ذلك يقول البعض إن شعيب عليه السلام قد أرسله الله إلى أصحاب الرس أيضًا، ومنهم قول عكرمة: ما بعث الله نبيًا مرتين إلا شعيبًا، مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة، ومرة أخرى إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة(163)، بينما قال - مفسرون آخرون - إنهم قوم «حنظلة بن صفوان» النبي الذي كان في اليمن، وقد أرسله الله إلى «سبأ»، وذكروا أنهم

وجدوا عند قبره كلمات تقول: «أنا حنظلة بن صفوان، أنا رسول الله، بعثني الله إلى حمير وهمدان والعربي من أهل اليمن، فكذبوني وقتلوني»، وقالوا إن عاقبة الله لهم بسبب قتله أن أرسل عليهم سيل العرم(162).

وذكر «الهمداني» رأيًا آخر نقلًا عن «ابن هشام» أن «حنظلة بن صفوان بن الأقيون»، هو نبي الرس، والرس بناحية «صيهد»، وهي بلدة منحرفة ما بين «بيحان» و«مأرب» و«الجوف»، فـ «نجران» فـ «العقيق» فـ «الدهناء»، فراجعًا إلى حضرموت(161).

وكذلك ذكر بعض أهل الأخبار أن نبي «أصحاب الرس» هو «خالد بن سنان»، وقد ذكروا أن الرسول ذكره، فقال فيه: «ذاك نبي ضيعه قومه»(160)، وهنالك عدة مواضع يقال لها «الرس» منها موضع باليمامة، وموضع كان فيه ديار نفر من ثمود، ولكن الغالبية تميل إلى أن موطنهم كان اليمن، والله أعلم بموقعهم.

نسل عبد ضخم (أصحاب الخط العربي)

وهم شعب من نسل «عبد ضخم بن إرم بن سام بن نوح»(159)، وهم من العرب القدامى البائدين، ويزعم الإخباريون بأنهم كانوا يعيشون في «الطائف»، وهلكوا كما هلكت الشعوب البائدة، لكن لم يحدد بالضبط شكل الهلاك أو سببه، وقيل إنهم أول من ابتدعوا الخط العربي(158)، وقد ذكرهم الشاعر الجاهلي «أمية بن أبي الصلت» وقال فيهم:

كما أفنى بني عبد بن ضخم

فما يذكو لصاليها شهاب

بني بيض ورهط بني معاذ

وفيهم عزة وهم غلاب

كيف انقرضت قبائل العرب البائدة

بعيدًا عن - الاعتبارات الدينية - تعرّضت شبه الجزيرة العربية لكوارث وتغيرات مناخية عديدة، ومن أشهر هذه الكوارث انحباس المطر لسنوات، مما تسبب ذلك في مجاعات وإهلاك للحرث والنسل، وكوارث أخرى كعواصف رملية عاتية تستمر لأيام، يصاحبها اهتزازات أرضية في الأراضي غير المستقرة، وما غير ذلك من الكوارث، ولهذه الأسباب شهدت قبائل العرب هجرات عديدة وعرفت الارتحال، وولّدت هذه الهجرات العديد من الحروب والصراعات، فمنهم من كان يحلّ على المناطق الجديدة غزوًا، ومنهم من كان يحل عليها

ضلحا، وبهذا الشكل عرفت الأنساب العربية القديمة الاختلاط والتشعب، حتى تم نسيان أصل القبيلة المهاجرة القديمة، وعليه، يتولّد نسب مختلط جديد، فيطمس تاريخها القديم، ولم يتبقَّ منه إلا ذكريات وحكايات، وربما مع الوقت تُحرف حكاياتهم بعد فنائهم، ويدخل عليها المزيد من التهويل والأساطير.

* * *

الخط الثالث

ذرية آشور بن سام

هو ثالث أبناء سام بن نوح، وليس في كتب المؤرخين العرب عنه خبر مفصل وكامل، غير ما تناقله بعض الإخباريين عن التوراة(157)، وقد نقلوا أن اسمه «آشور»، وبعضهم حرّفه إلى «آشوذ»، وبعضهم قال «أنشوذ»، ولا يوجد لآشور أبناء في التوراة، بينما تجد لدى الإخباريين العرب ذِكرًا لبعض الأسماء التي تنسب إلى ظهره.

ويتضح من الآيتين الموجودتين عنه في الإصحاح العاشر، أنه ربما لم يهاجر ولم يذهب لبعيد، كذلك من الواضح أن ذُريّته لم تتشتت وقد توحدت، فاقتصرت تجمعاتهم على منطقة الشرق الأوسط.

نسل آشور

تجد - في التوراة - ذِكرًا مباشرًا يوضح بأنه هو باني مدينة «نينوي» ومدينة «ربهوبوث» ومدينة «كالح»، ومدينة «ريسين»(156)، وكلُّهم مدن آشورية قديمة كانت في شمال بلاد مابين النهرين.

ويقول - معلقو التوراة - بأن ذريّته هي التي أسست مدينة «آشور» التي تقع حاليًا شمال العراق وجنوب شرق تركيا، تلك المدينة التي سميت باسم قبيلتهم، ووضح - المعلقون - أنه لما مات آشور ابتعد أبناؤه عن عبادة الواحد الأحد، وسموا إلههم «آشور» على اسمه، وكذلك تكاثر أبناء آشور وتمكنوا من السيطرة على مساحاتٍ ممتدّة من جنوب العراق إلى ساحل البحر المتوسط، وكانوا تحت رحمة أبناء عمومهم من «السومريين»، حتى تمكنوا من إحداث استقلالهم، وبنوا مملكتهم الآشورية الشهيرة، وكانت عاصمتهم أولًا «آشور»، التي تُسمّى اليوم «قلعة شرقات» على الشاطئ الغربي من نهر دجلة، ثم بعد ذلك جعلوا من «نينوى» عاصمةً لهم، والملخص لما ذَكَروه أن آشور هو الأب الأكبر للآشوريين المعروفين تاريخيًا.

أما في - التاريخ - سنجد الآشورين من الأكديين الذين قطنوا المنطقة الشمالية من حوض نهر دجلة، بعد الهجرة خلال العهد الأكدي، وكذلك تجد للآشوريين اختلاطًا مع الشعوب الجبلية، كـ «الحيثيين» و«الحوريين»، وتمكنوا أيضًا من هزيمة الآراميين (قبيلة الأخلامو والنّبط) وقبائل العريبي أو الأعربي (قبائل قيدار وقيدم وجندبو وسبأ وثمودي) والكلدان، وكذلك وصل نفوذهم حتى حدود مصر القديمة وتمكنوا من احتلالها، وعلى كل حال هذه هي الرواية الواردة في التوراة والتي يرددها المعلقون، ولم يوجد لها تكذيب في سجلات

المؤرخين العرب.

وفي - التوراة - لا يوجد لآشور أبناء مذكورون، بينما نسب «السائب بن الكلبي» الفرس لجد اسمه «فارس بن طبراش بن آشور بن سام»، ولكن عارضه في ذلك «ابن إسحق» وقال الفرس من «فارس بن لاود بن سام»، وقال غيرهم من ولد «طبراش بن همدان بن يافث»، وقيل من «بني أميم بن لاود بن سام»، وذكر الطبري أن هناك رواية تقول إنهم ولد «رعوئيل بن عيسو بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام» وقال في العبر: ولا التفات إلى هذا القول لأن ملك الفرس أقدم من ذلك.

وكذلك نسب - المؤرخين العرب - النبط بفتح الباء (وهم غير الانباط)، الذين هم من أهل بابل في الزمن القديم، لجد اسمه «باسل بن آشور بن سام»، بينما قال «ابن الكلبي» الجد هو «نبيط بن آشور بن سام»، ونسبوا طائفة من أهل الموصل القديم وهم «الجرامقة» إلى جد اسمه «جرموق بن آشور بن سام»، بينما نفى ذلك «ابن سعيد» وقال الجرامقة من ولد «كاثر بن ارم بن سام»، كذلك قال ابن سعيد أن «الجيل» وهم طائفة من أهل كيلان من بلاد الشرق، من بني «باسل بن آشور بن سام»، وقالوا الكرد من بني «إيران بن آشور بن سام»، وإلى إيران هذا تُنسب مملكة إيران التي كان فيها ملوك الفرس على حد قولهم، وكذلك قال «المقر الشهابي بن فضل الله» في كتابه «التعريف»: يقال في المسلمين الكرد والكفار الكرج، وحينئذ يكون الكرد والكرج نسبًا واحدًا.

ولا يوجد تصديق أو تكذيب لكل هذا، فربما كل ما ورد صحيحًا وأن هذه المجموعات هي من أحفاد الأحفاد التي خرجت وتصاهرت، فولدت من أنساب مختلطة.

* * *

الخط الرابع

ذرية عيلام بن سام

هو «عيلام بن سام بن نوح» - على حسب التوراة(155) - وهو «عويلم» عند النسابين العرب والإخباريين، وهناك افتقار شديد في ذكره وذكر ذريته، حيث لم تذكره التوراة بأي تفاصيل.

نسل عيلام

ولكن يعتقد - معلقو التوراة - أنه ربما يكون جد «العيلاميون»، أي أنه مؤسس مملكة «عيلام القديمة»، وهي حضارة ما قبل إيرانية، كانت موجودة بجنوب إيران الحالي، والذين زاد نفوذهم حتى وصلوا إلى أقصى الغرب والجنوب الغربي من إيران، وامتدت مملكتهم من الأراضي المنخفضة التي تُسمّى الآن محافظة خوزستان ومحافظة عيلام، إلى جزء صغير من جنوب العراق، وكانت هذه المملكة بالحدود القديمة تمتد وراء دجلة، شرق مملكة «بابل» وجنوب آشور وميديا، وشمال الخليج الفارسي، وجنوب غربي مملكة فارس، وكلمة «عيلام» باللغة الأكادية معناها «مرتفعات».

كانت عاصمتهم القديمة هي «شوشان» أو شوشن، لذلك تجد العيلاميين من ألقابهم «الشوشانيين»، وتجد عيلام - في التوراة - قد ساهمت في إسقاط مملكة «بابل»(154)، لكن الميديين ضموها إلى إمبراطوريتهم «فارس ومادي»، وجعلوا منها مجرد ولاية خاضعة لهم، كما جعلوا شوشان عاصمة لهم.(153)

ويتفق العديد من الإخباريين مع هذا التقسيم حيث اعتقد بعضُهم أن الفُرس ينحدر نصفهم من نسل «عيلام بن سام»، والنصف الآخر من نسل «يافث»، ولا يوجد عندهم أكثر من ذلك.

* * *

الخط الخامس

ذرية لود بن سام

لود أو «لوذ بن سام بن نوح»، هو خامس أبناء سام(152)، ولن تجد له أي أبناء في التوراة، ولكن تداول أهل الأخبار والنسابون العرب أن له أولادًا، ولود هذا الذي هو «لاوذ» عند العرب.

ذكر ذرية لود

قد فسر بعض التوراتين أنه جد «اللوديين»، وهذا ما ذكره المؤرخ اليهودي «فلافيوس»(151)، والذي اعتقد أن من ظهر لاوذ خرج سكان الأناضول الأوائل (وهم سكان آسيا الصغرى بالقرب من شرق أوروبا)، وكذلك أهل ليديا، وذكرهم كتاب «اليوبيلات» في وصفه لتقسيم العالم، وقال أن أبناء لود سكنوا جبال آشور حتى البحر الكبير، حتى وصل عمارهم إلى شرق بلاد أخيه آشور، وانتشرت ذرية لود وتوسعت إلى مناطق في أقصى الشرق وراء مملكة عيلام.

وتاريخيًا - كانت حضارة ليديا فريدة من نوعها، استمرت رغم جميع الاحتمالات وتحملت الصعاب، وكانوا قد أنشأوا عاصمتهم في «سارد»، وعقدوا تحالفًا مع الآشوريين ضد أولاد «الكيمريون أبناء يافث» فهزموهم، رغم أن الكيمريين كانوا غتاة جبارين، وكانوا قبائل بدو رُحّل يعيشون في منطقة تقع الآن في الجزء الجنوبي من أوكرانيا، وكانوا يسكنون منطقة شمال جبال القوقاز من البحر الأسود، وقد عُرفوا بالشدة في الحرب، وفي هذه الأثناء كانوا هم أوائل قبائل البدو، التي غزت آسيا الصغرى من الجهة الشمالية، وبرغم كل هذا هزمهم الليديون بمساعدة أبناء عمومتهم الآشوريون.

نقض الليديون تحالفهم مع الآشوريون بعد ذلك، ليبرموا تحالفًا سياسيًا جديدًا مع المصريين بقيادة ملك مصر «بسماتيك الأول» لمساعدته علي تحرير مصر من النفوذ الآشوري، وفي هذا الوقت قام الكميريون بعمل مباغتة لليديون وقاموا بتنفيذ هجوم مفاجئ، فاحتل الكيمريون أرض ليديا، ولكن مع الكثير من الجلد والمقاومة تمكّن الليديون من طرد الكيمريين نهائيًا، وبعد وقت حاول الليديون توسيع حدود مملكتهم ليديا، فتطاولوا على حدود فارس، التي بدأت قوتها في الظهور، فجاءت نهاية نفوذهم بشكل مفاجئ على يد الفُرس، مع سقوط عاصمتهم في الأحداث التي تلت معركة «هاليس» في عام ٥٨٥ ق.م، وهزيمتهم على يد «كورش الأكبر» في عام ٥٤٦ ق.م، والذي قضى على مملكة الليدين وضمها لبلاد فارس كمجرد مقاطعة.

وقد تم ذكر سكان ليديا في سجلات التاريخ بأنهم أذكياء ووجهاء، كان لباسهم يشبه لباس اليونانيين، وكانوا يحبون التجارة ومتقدمين اقتصاديًا، وكانت لهم عملات خاصة بمملكتهم.

وفي - سجلاتنا العربية - قد ذكر «المسعودي» في كتاب «مروج الذهب» أن «كيومرث» جد الفرس فيما يزعم الفرس بذلك هو ابنٌ للاوذ (لود)، وكذلك قال الطبري: «إن لاوذ تزوج من «شبكة بنت يافث»، فأنجبت له «فارس، جرجان، وأجناس فارس...»(150)

وهذا الكلام متداول في أخبار أخرى لدى مؤرخين آخرين غير الطبري، وما يتضح من كلام الطبري أنه ربما يكون لاوذ أو لود هو أب لبعض قبائل العرب البائدة، ولكن ما هو واضح أن المؤرخين وأهل الأخبار جعلوا التوراة مصدرهم الأول، وفي التوراة لا يوجد للاوذ أي أبناء، لكن في تأريخ بعضهم ستجد للاوذ أبناء.

* * *

ما هو وطن الساميين الأوائل من وجهة نظر العلم(149)

هذا السؤال يشغل العالم حتى هذه اللحظة، وهو أمرٌ يعتبره الكثيرون سيحدث فارقًا كبيرًا في نظرتهم لأصولهم، ولا أدرى ما سبب هذا الشغف!

لقد ذكرنا أن العرب القدامى قد عرفوا الارتحال كثيرًا، وبعيدًا عن النظرية الدينية دعنا نتحدث بشكل علمي عن أصل الإنسان العربي أو السامي عمومًا، وما هو موطنه الأصلي من وجهة نظر العلم؟

للأسف ستجد العلماء أجوبتهم مختلفة وغير متفقة، بسبب عدم وضوح الأدلة العينية الملموسة، وللأسف الشديد تجد غالبية العلماء والمستشرقين يفترضون نظريات غير مثبتة، غالبيتها تعتمد على أصل اللغة على حساب أصل العنصر، وغالبيتهم يستمدون معطياتهم من الروايات الواردة في التوراة حول واقع الطوفان، ثم عن أبناء نوح وخط سيرهم بهذا الشكل الذي ذكرناه والذي لا نملك تاريخًا غيره، ولا يوجد للعلم قرار واضح في شأنه حتى الآن.

اعتمد بعضهم أن أرض بابل هي المنشأ الأول للسامين، بينما آخرون قالوا جزيرة العرب، وتخبط آخرون وقالوا إن أفريقيا هي مهد الساميين، نظرًا للعوامل المشتركة في اللغة، وقال هؤلاء إن اللغات السامية والحامية هم في الأصل كيان واحد، وذهب آخرون إلى أن قدماء المصريين هم فرع من فروع الشجرة التي أثمرت الثمرة السامية، وهم الذين نقلوا - بحسب رأيهم -الحضارة إلى مصر من البابليين، بينما قال آخرون إن الوطن الأول للساميين هي أرض «الأموريين» التي كان مقرها البادية السورية إلى أواسط بلاد الرافدين وغرب سوريا،

بينما قال آخرون إنها أرض «أرمينية»، وقال آخرون إن «العروض» التي تقع شرق شبه الجزيرة العربية ولا سيما البحرين والسواحل المقابلة لها هي الوطن السامي القديم، واستشهدوا ببعض الروايات والدراسات التي قام بها العلماء، والتي كشفت عن هجرة بعض الأقوام كـ«الفينيقيين» وغيرهم من هذه الأماكن، وأنها كانت شبه منطقة انطلاق، وكذلك ذهبت جماعة أخرى من المستشرقين إلى أن اليمن هي «مهد العرب» وهي أرض الساميين الأوائل، ومنها انطلقت الموجات البشرية إلى سائر الأنحاء، وأطلقوا عليها «مصنع العرب»، بسبب أنها أمدت الجزيرة بعدد كبير من القبائل منذ قديم الأزل وحتى دخول الإسلام واستمرت لبعده.

ستجد لكل طائفة من هؤلاء العلماء حججها وبرهانها، التي ليس من الضروري أن تكون حججًا واقعية، وإذا تتبعتهم وسلمت رأسك لطائفة منهم تجدها مخبطة وغير مستقرة ومتغيرة أولٍ بأول، ويدل هذا على عدم الاستناد على أسس قوية.

أما النظرية التي طفت على السطح ونالت الكثير من المؤيدين في المجتمع العلمي، تفترض أن جزيرة العرب ربما تكون هي الأصلح في أن تكون هي موطن الساميين الأوائل، لأنه ليس من المعقول أن يكون موطن الساميين الأوائل واحد من هذه المواطن التي ذُكرت والتي كانت تتسم بالزراعة والاستقرار، إذًا لماذا تركوها وارتحلوا إلى الصحراء والبداوة، فمن المعروف ولا شك فيه أن الساميين الأوائل قضوا أطوارهم الأولى في حياة البادية، فمن البديهي أن نستنتج أن موطنهم الأول كان صحراويًا، وهذه المواصفات لن تجدها إلا في جزيرة العرب، وهناك أدلة دينية ولغوية، وتاريخية وجغرافية، أشارت بشكل مباشر إلى أن جزيرة العرب هي مهد الساميين، وأن هجرتهم قديمًا توسعت ووصلت إلى بلاد العراق والهلال الخصيب - على حد رأي أتباع هذه النظرية.

عارض هذه النظرية مجموعة من علماء الساميات، وقالوا أن هذه المقومات التي سبق ذكرها، لا تدل حتميًا على أن جزيرة العرب كانت هي مهد الساميين، وقالوا إن هذه النظرية تنطبق كليًا على أفريقيا، وأن أفريقيا ربما تكون هي وطن الساميين الأوائل، وكان سبب إثبات هذه النظرية: التشابه بين الساميين والأفارقة في الملامح، والخصائص الجنسية، والارتباط اللغوي القوي بين العرب والبربر والأحباش، بل وزعموا أن شمال أفريقيا تحديدًا هو مهد الإنسان السامي الأول، وأن الساميين والحاميين من سلالة واحدة ودوحة تفرعت منها جملة فروع، منها هذا الفرع السامي الذي اختار الشرق الأدنى موطنًا له.

لقيت هذه النظرية استحسان آخرين، لكنهم أضافوا عليها تغيرًا خاص بتحديد البقعة بالضبط في أفريقيا، فمنهم من قال إن مهد الإنسان السامي كان شمال غربي أفريقيا، ولا

سيما منطقة جبال «الأطلس»، وقال آخرون إن أفريقيا الشرقية هي الموطن الأول، واستشهدوا بالعلاقات الأنثولوجية بين سكان هذه المنطقة وبين الساميين.

ويرى بعض الباحثين العرب مثل د «جواد علي» أن هذه النظريات رغم الإخلاص فيها، وبحث كبار علماء اللغات والأجناس عنها، لا تخلو من الضعف والعلة، وذلك لأنهم ربطوا المواطنين من أماكن مختلفة بمنشأ واحدٍ بدون أخذ الاعتبارات التاريخية في الحسبان، فلو دققوا جيدًا في الهجرات السامية وبحثوا فيها، سيجدون مبررات وأسباب لهذه التشابهات بين هذه الأوطان، على سبيل المثال: الهكسوس هم من الساميين، لو درسوا هجرتهم التي مرت عبر سيناء ومنها إلى مصر الشرقية، سيجدون أن التشابه والاختلاط نتجا عن مثل هذه الهجرات، لذلك نجد أن معظم الأقسام الشرقية لمصر وقتها كانت مسماة بالأسماء السامية لا المصرية القديمة، لذلك ظهر لهم أن هناك قرابةً بين اللغات السامية والمصرية دون الأخذ في الاعتبار دراسة هذه الهجرات.

وكذلك ينطبق نفس الأمر على تقارب الحبشية من اللهجات العربية الجنوبية، والاستدلال بأن كتابة الأحباش حتى اليوم بقلم شبيه بـ «المسند» معناه أن الساميين موطنهم أرض الحبشة (أثيوبيا حاليًا)، وأنهم هاجروا من الحبشة إلى جزيرة العرب، لكن العكس هو الأصح، وفي ذِكر ذُريذة حام في الفصل التالي سنوضح هذا تمامًا، فالساميون هاجروا قديمًا إلى الحبشة بغزارة على عكس هجرة الأحباش إلى بلاد سام التي تبدو محدودة، والساميون هم مؤسسو إمبراطورية «أكسوم» الشهيرة ببلاد أفريقيا، ولغة هذه الإمبراطورية كانت اللغة «الجعزية»، وهي لغة سامية خالصة، وإذا دققنا سنجد تشابهًا واضحًا في أسماء بعض الأماكن القديمة الموجودة في الحبشة مع نظيرتها في اليمن، كما أنه يوجد في الحبشة معبد للإله «المقة» وهو إله سبأ العظيم، وستجد الأناس الباقين الآن من نسل الأحباش في أثيوبيا يعترفون بأنهم من نسلُ ملكة سبأ «بلقيس»، ويجب الأخذ في الاعتبار أن «الأجاعز» أصحاب اللغة الجعزية هم أقدم مَن هاجر من اليمن إلى الحبشة، وكذلك يجب الأخذ في الإعتبار وجود صلات قديمة بين الساحلين الافريقي والعربي، فكل هذا يدل على أن نظرية (أفريقيا هي أصل الساميين) غير صالحة، وما يؤكد هذا تقارير علماء الأنثروبولوجيا التي وضحت أن أفريقيا تأثرت بالدم الآسيوي، على عكس تأثيرها في آسيا الذي يظهر بشكل محدود، وهذا التأثير واضح حتى اليوم.

إضافةً إلى أن هناك محاولة فاشلة لإثبات أن موطن الإنسان السامي الأول هو «أرمينية» مثله مثل الجنس الآري، واستند أتباع هذه النظرية على التشابه في الأنف الحثي الموجود في الآريين والعبرانيين، لكن فشلت تلك المحاولة لأن العرب أيضًا ساميون ولم يُرزقوا بنفس

هذا الأنف.

أما باقي هذه النظريات فقد اعتمدت على اعتبارات لغوية، ونظريات أخرى أضعف من ذلك.

وبناءً على ذلك يتضح أن نظرية موطن العرب الأوائل في جزيرة العرب هي الاقرب للاتباع رغم عدم التأكيد.

وإذا افترضنا أن أصل الساميين منطقة الهلال الخصيب وجزيرة العرب وشبه جزيرة سيناء كما هو متبع بشكل علمي مؤقت لحين ثبوت العكس، أو حتى بابل أو قرية الثمانين كما هو متبع بشكل ديني، كيف وإلى أين اتجهت الهجرات السامية، وما أسباب هذه الهجرات؟ وما هو تأثيرها على الأجناس الأخرى؟

الهجرات السامية - وأسباب انتشار الجنس السامي(148)

اشتهر الساميون بهجراتهم وتركهم لمواطنهم، وإنشائهم لأوطان أخرى، وكذلك اشتهروا بتأثيرهم الواضح على الأوطان التي نزلوا بها، ومن أسباب هذه الهجرات: التغيرات المناخية، والجفاف وانحباس المطر، والتزاحم وزيادة عدد السكان، والتباغض والاقتتال، وغيره وغيره.

واستكمالًا لرأي الباحثين العرب الذين افترضوا أن جزيرة العرب والهلال الخصيب هما موطن الإنسان السامي، وصف القائلون بلاد العرب بالخزان الهائل الذي يفيض في حِقَب متعاقبة، تبلغ الحقبة منها زهاء ألف عام، بما يزيد على طاقته من البشر إلى الخارج، يقذف بهم موجات أطلقوا عليها «الموجات السامية»، وكانت عوامل الطبيعة هي السبب الرئيسي في هجرة السكان الساميين، حيث طرأ على جزيرة العرب تغيرات مناخية عنيفة استمرت آلافًا من السنين، تسببت في جعل بلاد العرب قد غلبت عليها الطبيعة الصحراوية، وقلّت فيها الرطوبة، وغلب على أكثر بقاعها الجفاف.

وفي هذا الشأن ستجد أبحاثًا قد تغلغت في أعماق السنون، لتعود بتقارير وضعها العلماء عن هذه الأزمنة الغابرة، وسنذكر منها نظريتين هما الأهم:

النظرية الأولى «نظرية كيتاني»

مفادها بأن جزيرة العرب كانت في عصر «البلايستوسين» بلادًا خصبة جدًا وكثيرة المياه، مليئة بالخيرات، تتساقط عليها الأمطار بغزارة في جميع فصول السنة، وذات غابات كبيرة وأشجار ضخمة، وأن مناخها كان رائعًا، أروع من جو أوروبا في العصور الجليدية التي كانت تغطي الثلوج معظمها، وقد تصوّر علماء الجيولوجيا بلاد العرب في الدورة الجليدية على أنها

جنة على الأرض، وكانت سببًا في رسم تلك الصورة البديعة في مُخيلة كتبة التوراة عن «جنة عدن»، وجنة عدن المذكورة في العهد القديم هي هذه الجنة التي كانت في نظر بعض العلماء في جزيرة العرب.

ثم جاء عصر الـ«نيولتيك»، فتغير فيه جو العالم، وذابت الثلوج بالتدريج، وكانت بلاد العرب هي أكثر بقاع الأرض تضررًا من هذا التغير، حيث قلت الرطوبة وزاد الجفاف، فمات الخضار بالتدريج، وهاج سطح القشرة الأرضية فتحوّلت أرضها إلى رمالٍ وترابٍ، حتى أصبحت صحاري لا تصلح للزراعة، فاضطر بعض السكان إلى الهجرة، بينما عاش الباقون على تربية الحيوانات التي تمكنت من البقاء في هذا الجو كالبقر والأغنام والدواجن وغيره، ثم عرفت حياتهم التنقل والارتحال بحثًا عن الماء والكلأ، وكانت أراضي العراق وبلاد الشام ومصر والمواطن السامية الأخرى ملجأهم للنجاة من هذه الحياة القاحلة، وقال العلماء إن هذه الهجرات بلغت أشدها ما بين سنة ٢٥٠٠ وسنة ١٥٠٠ ق.م، فدخل الهكسوس أرض مصر، وهاجر العبرانيون إلى فلسطين، ثم توالت الهجرات.

وتصور أنصار هذه النظرية أن أودية جزيرة العرب، مثل وادي «الحمض» ووادي «السرحان» ووادي «الرمة»، ووادي «الدواسر»، كانوا أنهارًا في سالف العصر، وكانت تنصب عليهم المياه من المرتفعات، حتى جفّت هذه المرتفعات فقلت مياه هذه الأنهار، فأصبحت وديان لا تزورها المياه إلا عن طريق الأمطار، وذكر آخرون أن ربما يكون نهرا «جيحون» و«فيشون» من أنهر «جنة عدن» الأربعة كما تقول - رواية التوراة.

وقد قسموا جزيرة العرب إلى قسمين؛ قسم غربي وقسم شرقي، ووصفوا القسم الغربي الموجود على ساحل البحر الأحمر الشرقي بالتوازي مع سواحل أفريقيا المتميز بالسلاسل الجبلية والمرتفعات، على أنه أكثر تقدمًا - من وجهة نظر هذه النظرية - عن القسم الشرقي الممتد نحو الخليج، حيث وصفوا سكان القسم الغربي لا سيما اليمن بالرقي والتحضر، وأنهم كانوا ذوي سلطانٍ كبيرٍ على القسم الشرقي لا سيما الخليج، الذي كان يتميز بالفقر والجفاف، لذلك بدأت الهجرات في بادئ الأمر من الأماكن الشرقية أولًا نظرًا لضيق الحال، والجفاف الذي أصابهم بشكلٍ أقوى وأسرع، حيث ظهرت في الأرض الشرقية سمات البداوة قبل الأرض الغربية بكثير، واستدل «كيتاني» وأنصاره بأن الفتح الإسلامي الذي خرج من بلاد العرب هو آخر هجرة سامية قذفت بها بلاد العرب إلى الخارج.

شاعت هذه النظرية ولقيت قبولًا واضحًا في المجتمع العلمي، ولكن كسابقيها ظهر لها أصواتٌ معارضة قالت إنها لا تستند إلى أسس تاريخية، ولا إلى أدلة علمية، واتهموها بالكثير من المبالغة، وأنها مجرد فرضيات حيث لم يقم متبعوها بفحص غالبية مناطق جزيرة العرب

فحصًا علميًا وفنيًا دقيقًا.

النظرية الثانية «نظرية موسل»

وهي نظرية خُلقت لتعارض نظرية كيتاني كُليًا، فلم تتفق معها في عنصر واحد، حيث رأت أن للهجرة عوامل أخرى غير التغيُّرات المناخية، منها مثلًا ضعف الحكومات الحاكمة، والذي كان سببًا في استقلال القبائل عن الإدارة المركزية وظهور السادة المحليين، مما تسبب ذلك في ظهور الفتن والصراعات والحروب، التي بالتالي تعود على المنطقة بالخراب الاقتصادي وإهمال الزرع والحرث، وبالتالي تظهر المحن والمجاعات والنزوح والهجرات، وكذلك من الأسباب المهمة التي ذكرتها تلك النظرية تغيير طرق التجارة التي كانت تمر من هذه المناطق وتنعشها، واستدلت هذه النظرية بأن انهيار سد مأرب في العصور المتأخرة كان مثالًا على ضعف الحكومة باليمن، حيث أنه لم يتلف بسبب الجفاف، واستدلوا بتزعم «الاقيال» و«الأنواء» فيها وتدخل الحكومات الأجنبية والوافدة في شئون المنطقة العربية الجنوبية كالحبشة والفُرس، وما يبرز عوامل الفساد في هذا الوقت - على حد قول موسل - أن الحكومات انشغلت بالصراع ولم تفكر في إصلاح السد وإنقاذه في وقتٍ كان متاحًا فيه ذلك، فتصدعت جوانبه، فحدث الانفجار، وقال العلماء إن تصدُّع جوانب السد بالماء هو أهم نظرية تدل على أن الخراب لم يحل عليهم بسبب الجفاف.

أدى انهيار السد إلى خسارة منطقة واسعة من أرض اليمن مورد عيشها الأول، وهو الماء، وأصبحت المزارع يابسةً وقاحلةً، مما كان سببًا ربما يكون هو أهم أسباب الهجرة والنزوح، واستدل - أنصار هذه النظرية - بأن التقدم الذي طرأ في العصر الجديد بعد القرن التاسع عشر على بلاد العرب هو دليل على تكذيب نظرية أن بلاد العرب لا تصلح للعيش بسبب الجفاف، حيث تمكن سكان غالبية بلاد العرب من التطور وإنشاء العمران الحديث، وشق الترع، وحفر الآبار، وغيرها من مظاهر التحضر والتقدم، فالجفاف موجود كما هو، لكن الاستقرار والحكومات المركزية وضبط الأمن وتطور الإنسان، هم أهم الأسباب في إعادة الإعمار، أما الحيوانات التي اختفت أو قلت لا سيما الأسد الذي ندر وجوده في بلاد العرب رغم أن الكلاسيكيات وضحت بأنه كان موجودًا بكثرة، فقالوا إنها ربما قد قلت بسبب اعتداء الإنسان عليها وصيدها، وكذلك نفس الأمر مع الأشجار.

وملخصًا: استنتجوا أن الهجرات لم تكن بسبب الجفاف كما قالت النظرية السابقة، ولكن ربما سببها الفساد كما ذكرنا، كما قالوا إن العرب الجنوبيين كانوا هم المهيمنون قديمًا على الطرق التجارية التي تصل الشام باليمن وعلى الطرق التجارية الأخرى، وكانت لهم حاميات فيها لحماية القوافل من غارات الأعراب والعشوائيين، فلما ضعف أمر حكومات اليمن، استقلت

هذه الحاميات بنفسها في أماكنها التي كانت تعمل بها، وتزوجوا واندمجوا مع القبائل الموجودة في مكان عملهم، وقالوا إن هذه القبائل كانت لا تمانع أبدًا في الانتساب لقبائل أهل اليمن حيث كان هذا شرفًا عظيمًا، وبعدما اندمج هؤلاء بين القبائل صاروا ملقّبين بالمهاجرين، وتوارث أبناؤهم هذا اللقب حتى مَن اختلط دمه بالمواطنين أصحاب الأرض، لكي يتباهوا بأن نسبَهم يعود لليمن حتى ينالهم الفخر، وقالوا إن من هنا نشأ مصطلح الأنساب عند العرب، ومن ثمّ ظهر علم الأنساب في «المدينة» و«الكوفة»، وسجل هذه الروايات السكان المختلطون وأقروها على أنها حقيقة واقعة، ومنهم انتقلت إلى كتب التأريخ، ومن ثمّ توسعت الفكرة وتضخمت، على حد قول - هذه النظرية.

وكذلك اعترض «موسل» أيضًا على دعوى «كيتاني» وغيره من آراء المستشرقين، ممن زعموا أن الفتح الإسلامي الذي خرج من بلاد العرب هو آخر هجرة سامية قذفت بها بلاد العرب إلى الخارج، وقال إن تعدداهم للحجازيين الذين شاركوا في الفتوحات أرقام مبالغ فيها، وأكد موسل أن الجيوش التي شاركت في فتح العراق والشام وفلسطين ومصر لم تكن كلها من بلاد الحجاز ونجد من الأساس، بل كان فيها قبائل عراقية وشامية، وكان منهم أقوام نصرانية ساعدت أبناء جنسها من العرب مع اختلافهم معهم في الدين، وحاربوا معهم الروم والفرس، وقال إنه من السطحية اعتبار أن الفتوحات الإسلامية خرجت بسبب الفقر والجوع والجفاف.

وهناك نظريات عديدة، لكن هاتان النظريتان هم الأهم.

وبهذا الشكل الذي اتضح أمامنا نتأكد أن هذه الفرضيات مجرد تكهنات تفتقد الأبحاث الفنية، وعلتها تكمن في كثرة التخمينات، ومعارضتها لبعضها وكأن في الأمر نوعًا من الترصد، وهذا سببه أن معظم النظريات التي درست علم الأنساب في غالبيتها تعتمد على الحدس والتخمين، وأكثر ما برز في إجتهادهم هو الإعتماد على بعض الحوادث وبعض البحوث اللغوية وبعض المطابقات في الأمور الدينية والثقافية، وحتمًا هذه أمور لا تكفي، فيجب الإنصات للأبحاث العلمية الخاصة بالجينات، وكذلك حث علماء دراسة طبقات الأرض وتشجيعهم، فهذه النظريات منها من إستند على رواية التوراة، ومنها من استشهد بعوامل اللغة والألفاظ، فهل امتلك هؤلاء سجلًا تاريخيًا لمسميات النبات والحيوان لظهور الألفاظ الأولى، حتى يجعلوه قاموسًا أساسيًا يطابقون عليه!

الغريب في الأمر أن الكل اعتمد في دراسته على الهجرات الوافدة من بلاد العرب أو الأراضي السامية عمومًا، ولم يُركز أحدهم على دراسة الهجرات الوافدة إلى بلاد العرب، فالهجرات لم تكن كلها في اتجاه واحد على الإطلاق، برغم أن الهجرات من بلاد العرب لخارجها كانت أكثر

هذا أمر لا غبار عليه، ولكن هذا ليس مبرزًا.

وبرغم أن فرضية موسل غير مثبتة علميًا ولا يمكن الأخذ بها، لكنها نوعًا ما يقبلها العقل بشكل مؤقت، وأهم ما ورد في نظريته أن الهجرات كانت سياسية واقتصادية وحربية في المقام الأول، ولم تكن أبدًا بسبب الفقر والجوع فقط، فهناك هجرات أخرى طويلة الأمد ولم تكن في حدود الألف عام الخاصين بالجفاف، بل كانت هجرات دائمة ومتصلة، وكأنها مناطق تتوافق سياسيًا وثقافيًا مع بعضها، أو بينهم نسب أو تجارة أو ما شابه، ومثالًا على ذلك تلك الهجرات التي بدأت من شمال الشام إلى سواحل البحر العربي في الجنوب، ومن سواحل البحر الأحمر إلى سواحل الخليج العربي، وغيرها من الهجرات العديدة، وهذا يوحي للعاقلين من الوهلة الأولى أن الهجرات في هذه المنطقة الواسعة كان أمرًا شائعًا، فسكانها ربما كانوا من محبي الترحال، أو ربما السبب الأهم هي حياة العرب الأولين التجارية، وما يؤكد ذلك أن بلاد العرب كانت هي طريق العبور بين الشرق والغرب.

كذلك بلاد الساميين قد دخلها أقوام آخرون غير الساميين، كالفرس واليونان والرومان والصليبين وغيرهم، ولم يغيروا هوية الجنس السامي، بل اندمجوا وتداخلوا فيه وتزاوجوا وأنجبوا، وهذا دليلٌ قاطعٌ وواضحٌ على امتزاج دماء الساميين بدماء غريبة، فإذا قابلك أحدهم مفتخرًا بأن دمه سامٍ نقيٌ صافٍ لا تصدقه، فنظرية نقاء الجنس السامي أو حتى جميع الأجناس عمومًا أو حتى موطنهم الأول، هي نظريات معقدة لن نستطيع الإجابة عنها سوى من خلال العلم المختبري، الذي ندعو الله أن يأتي بنتائج مبشرة في المستقبل القريب بعيدًا عن كل هذه الفرضيات والتخمينات.

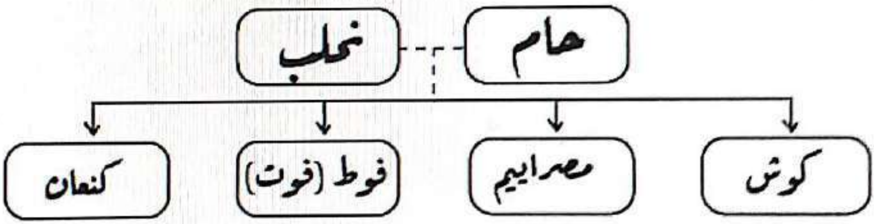
* * *

الفصل الخامس

ذرية حام بن نوح

أقرَّ غالبية المؤرخين المسلمين بما تمَّ تداوُله في التوراة، بأن «حام بن نوح»، كان له أبناء أربعة وهم: «كوش» و«مصراييم» و«فوط» و«كنعان»(147)،(146)، وتجد القليل من سجلاتنا العربية لم تذكر «فوط» في صف أبناء حام الأوائل وقالوا إنه من ظهر كوش، ومنهم من كتبه قوط، ومنهم من لم يذكره من الأساس، لكنَّ الغالبية أقرت ما سبق ذِكزه، وفي - المزامير اليهودية - أطلق على بلاد أفريقيا وغرب آسيا بلاد حام.(145)

ونسبةً لما أجمعت عليه التوراة، وكذلك الإخباريون، أن في بداية التفرقة استوطنت سلالة حام في أفريقيا والجنوب الغربي من قارة آسيا، واتجه أولاده الأربعة في أربع خطوط في وقت شبه متقارب.



أبناء حام في التوراة والإنجيل وماتناقله غالبية المؤرخين المسلمين

الخط الأول

ذرية كُوش بن حام

«كوش بن حام» هو الابن الأكبر لحام بن نوح، نسبةً لما وردَ في قائمة الأمم التوراتية(144)وما تداوله الإخباريون، ويُذكَر أن ذريّته كانت كبيرة، أقاموا أمجادًا وعروشًا في أماكن شتى.

اتجهت ذريّته من ضفاف نهر «جيحون» الواقع بآسيا الوسطى، والذي يُعتبَر الحد الفاصل بين أفغانستان وطاجكستان وأوزبكستان في حدودنا الحالية، ووصلت إلى أفريقيا، فعمرت ذريته الأرض التي تبدأ من أقصى جنوب مصر، تحديدًا من الشلال الأول جنوب أسوان شمالًا، إلى ناحية الجنوب حيث يلتقي النيلان الأزرق والأبيض في السودان الحالي، ثم تعمّقوا ووصلوا إلى منطقة القرن الأفريقي وعمّروا أرض أثيوبيا وما حولها، ومن ظهر كوش خرج شعب «النوبة»، وكانت هذه الأرض من الأراضي التي نهضت وأصبحت مقرًا لواحدة من أهم الحضارات في أفريقيا القديمة وهي حضارة «كَرمة»، وفيها قامت مملكتهم «الكوشية الكبرى»، التي شميت على اسم جدهم الأكبر «كوش بن حام»، والتي ستغزو مصر بعد ذلك وستؤسس الأسرة الخامسة والعشرين بعد انهيار العصر البرونزي وتفكك المملكة المصرية الحديثة.

نسل النوبيين

للكوشيين تاريخ قديم ومتداخِل مع شعوب شمال شبه الجزيرة العربية واليمن وأثيوبيا وجنوب الصحراء ومنابع النيل، وبرغم ذلك لم أجد صحةً لبعض الحكايات الموضوعة التي أدخِلَت في الكتب العربية، التي تقول إن النوبيين أذلهم أبناء قحطان أبد الزمان، أو أن أجداد النوبة الأوائل كانوا عربًا يمنيين حميريين، وأنه لا وجود للسلالة النوبية من قَبلهم!، فقد نقل ابن سليم(143): «إنّ «سلها» جد النوبة، ومقري جد المقرة من اليمن، وقيل: النوبة ومقري من حِمير»، وهذا القول لم يثبت صحته، وكذلك نقل «ياقوت الحموي»(142)، أن «ملوكهم يزعمون أنهم من حِمير»، ولا يوجد في كتب التاريخ لهذه الأقوال من تأكيد، فمِن المتعارف عليه أن العرب وخصوصًا اليمنين نزلوا أرض كوش، بعد أن بنى أولادُ كوش أمجادَهم في هذه المناطق وأسسوا حضاراتٍ قديمة وعتيقة، وبالفعل سيطر الحبشيون والسبئيون على أثيوبيا وعلى غالبية أراضي كوش وحكموها، ولكن ليس معنى ذلك أنها أرضهم وأنهم أجداد النوبيين والإثيوبيين أو الكوشيين عمومًا الذين هم من أقدَم شعوب الأرض، والذين أسّسوا حضارة

وعِلم قبل إغارة الحبش والسبئيون عليهم.

هل أذل أبناء قحطان شعب النوبة؟

أورد «**النويري**» في نهاية الأرب خبرًا غريبًا قال فيه(141): «إن «**الريان بن الوليد**» هو ملك ملوك اليمن، وقال أنه هو فرعون «يوسف» عليه السلام، وأن المصريين الأقباط كانوا يسمونه «نهراوش»، قد استعد لغزو ملوك الغرب فخرج في تسعمائة ألف رجل، واتصل بالملوك ليخبرهم خط سيره، فمنهم من تنحى عن طريقه، ومنهم من دخل تحت طاعته، وعندما مر بأرض البربر أجلَى كثيرًا منهم، فلم يمر بأمة إلا أبادها وأثَّر فيها، حتى بلغ بلد النوبة فصالح أهلها بشرط أن يعطوه الكثير من الأموال، ثم أتى «دنقلة» فأقام بها علمًا وزبَرَا عليه اسمه وميسره»(140)، أي أنهم افتدوا حياتهم بالمال، وغيروا دينهم غنوًا.

شكك الكثير في هذه الرواية، واستشهدوا بجلَد النوبيين في موقف مشابه لذلك، حدث أثناء قتالهم مع جيش المسلمين، عندما أمر «عمرو بن العاص» القائد «عبد الله بن أبي السرح» بفتح النوبة، فاتجه ابن أبي السرح بجيشه جنوبًا ضد الممالك المسيحية، وبعد معركة «دنقلا»، تفاجأ المسلمون بأن النوبيين يجيدون رمي السهام، وأصيب عدد كبير منهم في حدق عينهم من جراء النبل فسموا «رماة الحدق»، وقتها أدرك ابن أبي السرح صعوبة الاستيلاء على هذه المنطقة، بسبب قوة جيش النوبة وتميزهم في الرماية، فأبرم معهم «معاهدة البقط»، التي تعتبر من أطول معاهدات التاريخ (139)، فكيف تصفهم هذه الرواية بهذا الضعف في نفس الوقت الذي كانوا فيه أشداء في الحروب، ويتميزون برمي السهم والرمح دونًا عن غيرهم في هذا الزمان والزمان الذي كان قبله.

وهناك أسباب عديدة لظهور العديد من الروايات العربية عن ملوك التابعة، التي وصفت أراضي كوش بالفريسة السهلة لدى العرب القحطانيين، وهذه الادعاءات سببها باختصار، المنافسة الشديدة بين عرب الجنوب (القحطانيون) وعرب الشمال (العدنانيون)، فمن المعروف أن عرب الجنوب كانوا يملكون حضارةً أكبر كما ذكرنا، لكن لم تأتِ من بينهم النبوة، فلما جاءت في «قريش» التي تتبع عزب الشمال، أصبحت هي المفخرة الكبرى للعدنانيين، فسعى القحطانيون إلى تسليط الأضواء على تراثهم الحضاري القديم قبل الإسلام، وأضفوا عليه الكثير من صفات البطولات التى إختلقها رواة الأخبار اليمنيون لترفع من مكانتهم أمام العدنانيون، وبالتالي تناقلت هذه الروايات ودخلت في كتب المؤرخين، لذلك للأسف لم نجد غزارة في كتبنا العربية عن منطقة أفريقيا أو أرض كوش إلا وصف أعمال «إفرقيش» وكل ملوك «تُبع»، وسادات اليمن، وما ورَد غير ذلك لا يسمن ولا يُغني من جوعٍ، لكن بالتتبع

والبحث ستجد أن هذه الروايات حملت الكثير من التهويل.

من هو جد النوبة؟

هناك اختلاف واضح حول أصول النوبيين، فمنهم قال «ابن سعيد»: أجناس السودان كلهم من ولد حام، وقال الحبشة إلى «حبش بن كوش»، والنوبة إلى نوابة أو «نوى بن كوش»، والزنوج إلى «زنج بن كوش» ولم يسم أحدًا من آباء الأجناس الباقية، وفي ذلك عارضه «ابن خلدون» وقال هؤلاء الثلاثة الذين ذكروا لم يعرفوا من ولد حام(138).

والواضح من كل هذه الآراء التخبط الواضح، والسبب في ذلك الاتصال العميق بين الشرق الأفريقي والغرب العربي منذ قديم الأزل، وهذا قد صنع اختلاطًا واضحًا حول أصول الفريقين، ومن خرج من ظهر من، أو من أخضع من، والحقيقة تقول إنه لا فرق، فالاتصال التاريخي قد طغى عليهم في الدم والثقافة والدين وكافة شيء، حتى اعتبرهم العلماء المعاصرون في تركيبة شبه موحدة.

وتذكر التوراة أن «صفورة» زوجة النبي موسى كانت كوشية من النوبيين، كما جاء في سفر العدد التوراتي(137)، وقد وصفت صفورة لموسى واقع النوبيين وسمات حياتهم بالتفصيل.

الأثيوبيين

أما منطقة «أثيوبيا» التي هي أساس الجدال التاريخي، والتي سُميت بعد ذلك بأرض «الحبشة»، كانت في بادئ الأمر أرضًا لذرية كوش، وكانوا كذلك يتميزون في رمي السهام والرماح، وقامت على أرضهم «مملكة داموت»، ثم بعد ذلك تدفقت إليها الهجرات السامية وتحديدًا من الجنوب العربي وبلاد اليمن، والسبب في ذلك قرب الشطوط، وقامت على أرضهم مملكة أخرى عظيمة سميت «مملكة أكسوم» بقيادة السلالة السليمانية، بعد انهيار مملكة داموت، وبعدما تتابعت بعدها على حكم الهضبة الأثيوبية بضعة ممالك صغيرة(136)، وهناك رأي آخر ضعيف نسبيًا يقول: أن مع القرن الأول الميلادي قامت مملكة أكسوم في شمال أثيوبيا وإريتريا الحاليتين، وأن أول عاصمة لمملكة أكسوم كانت «مزابر» والتي بناها «إتيوبيس بن كوش»، ويقول - هذا الرأي - أنها توسعت لاحقًا حتى أخضعت اليمن(135)، ولكن هذا الرأي مستند لما جاء في كتاب (Liber Axumae)، وهذا الكتاب قد تمت كتابته في القرن الخامس عشر الميلادي، أي أن الرأي افترضه صاحبه بعد ١٥٠٠ عام من الحدث الذي يذكره دون تقديم دليل، ولا يوجد ذكر في السجلات لهذا، وكذلك أصبح من الثوابت التي لا جدال فيها أن مملكة أكسوم أقامتها السلالة السليمانية

العربية بعكس ما قال هذا الرأي تمامًا.

نسل الأحباش

جغرافيًا - أثيوبيا كانت الحبشة لكن الحبشة لم تكن أثيوبيا، وذلك لأن الحبشة قديمًا كانت أكبر وأوسع، وغالبية الأثيوبيين الحاليين على ما لاحظت يُفضِّلون أن يُسمُّوا بالأثيوبيين لا الحبشيين، حيث أنهم يتباهون أن أثيوبيا من كوش، وأنهم القبائل الرعوية الحامية المنتشرة في شمالها، وتنقسم هذه القبائل إلى عدة فروع منها: «الأجاو» و«البجة» و«الساهو» و«السيداما» و«الجالا»، وأبرز هذه العناصر عنصر الجالا(134).

أما الأحباش فيرجع أصلهم إلى العرب، وتحديدًا قبيلة عربية سامية اسمها «حبشت»، والتي عبرت البحر الأحمر خلال هجرتها من جنوب بلاد العرب، واستقرت في أثيوبيا في القرن الخامس قبل الميلادي، بعد فترة من إعمار العرب المهاجرين لها(133)، وكانت هجرة الأحباش لأثيوبيا ما هي إلا هجرة واحدة من هجرات كثيرة، فالسبئيون في القرن السادس قبل الميلادي كانوا قد استوطنوا بالفعل في «تعزية» الواقعة في إريتريا حاليًا، ثم انتشروا في الحبشة كلها، وتمكنوا من تكوين حكومات خاصة بهم ومستقلة ومنعزلة، ونشروا ثقافتهم العربية في الأراضي التي استولوا عليها، ولم يكونوا معزولين عن وطنهم العربي الأصلي، بل ظل التواصل الثقافي والعسكري موجودًا، وكانوا يشنون حملاتٍ عسكرية منها إلى اليمن. (132)

أما قبيلة حبشت التي صبغت أثيوبيا كلها بثقافتها، فكانت قبيلة متحضرة وعلى قدرٍ واسعٍ من التمدين أكثر من القبائل التي كانت تقطن أثيوبيا حينذاك، حيث كان اليمن وقت هجرتهم تحت حكم ملوك سبأ المتقدمة، ولم تلبث قبيلة حبشت حتى سادت في موطنها الجديد، وأثرت هجرتهم على حضارة الأثيوبيين جميعًا، وصبغت البلاد بالصبغة الحضارية التي تميزت بها، ولكن لم يرضَ الكثير من الأثيوبيين عن هذه الحضارة منذ قديم الأزل وحتى الآن، نظرًا لاعتراضهم على سيادة هؤلاء الأجانب فوق أرضهم وعلى حضارتهم، ولكن مع الوقت غلب اسم هذه الحضارة السامية على بلادهم كلها بسبب الاندماج والتمازج، حتى تم نعتها ببلاد الحبشة، ولكن إذا تحدثت مع أيِّ شخصٍ الآن من سكان أثيوبيا الأصليين فسيقول لك: لا تلقبنا بالأحباش فنحن أثيوبيون كوشييوون، فهم يرون أنهم أبناء كوش الذين قد أضحوا سادة على غالبية شمال شرقي أفريقيا، باستثناء مصر، وذلك بعد إخضاعهم للقبائل الزنجية، وأن هذا مجدهم القديم، وكذلك هم سعداء بسبب أن أثيوبيا وردت في التوراة، فضلًا عن أن الأحباش عنصر أجنبي عنهم كما ذكرت.

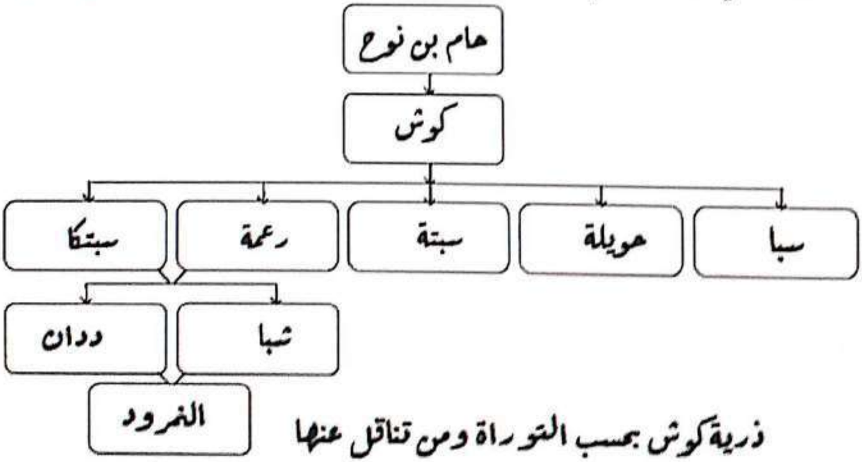
ولم تكن هجرة قبيلة حبشت هي أول الهجرات أو حتى آخرها، فقد كان للساميين هجرات عديدة من قبل ومن بعد، لم تتوقف أبدًا إلا فترة دخول عهد البطالمة وسيطرتهم على جانبي البحر الأحمر، ثم استمرت الهجرات تباعًا ما بين عامي ٢٣٢ و٢٥٠ بعد الميلاد، حيث ركبوا البحر ونزلوا هناك.(131)

ورجوعًا لذرية كوش، ستجدهم قد تقدموا وأقاموا حضارات عظيمة في العمق الأفريقي، كـ «حضارة نوك»، التي نبتت في الأجواء النيجيرية، وكذلك «حضارة بلاد بونت» العظيمة والتي نبتت في الأجواء الصومالية على الأرجح، والتي كانت تعتبر همزة وصل مهمة بين الحضارة المصرية القديمة وبلاد العرب الغربيين وبلاد القرن الأفريقي، ومع تقدُّم الزمن ظهرت حضارات كثيرة وممتدة في القلب الأفريقي مغمورة ومجهولة للأسف، كحضارة «سونغاي» في الغرب الأفريقي، وحضارات «مالي» و«غانا».

ذكر أبناء كوش بن حام

أبناء «كوش» على زعم التوراة والإخباريون هم على النحو التالي:

«سبا، وحويلة، وسبتة، ورعمة، وسبتكا» وكذلك خرج من نسل رعمة «شبا»، الذي هو أبو السند(130)، و«ددان» الذي أبو الهند - كما قال القلقشندي(129)، وخرج من نسله «النمرود» الذي كان جبارًا في الأرض، على حد وصف - التوراة والإخباريون العرب.(128)



ذرية كوش بحسب التوراة ومن تناقل عنها

وإذا تمعنت في هذه الأسماء فستجدها لقبائل وأراضٍ عربية معروفة ليست أفريقية، كما حدث مع أبناء «قحطان بن هود»، مما يثير ذلك دهشتك، وهذا الأمر قد حيَّر علماء تفسير التوراة أنفسهم، فما علاقة أبناء كوش بالقبائل والأراضي العربية!

قالت بعض التفسيرات بأنها أسماء عربية فعلًا، وليست أسماءً لأبناء كوش، وأنها قبائل قديمة هاجرت من جزيرة العرب إلى أفريقيا في الهجرات السامية التي ذكرناها، واستقرت منذ زمنٍ بعيدٍ، ثم كونت هذه القبائل لنفسها مستوطنات وممالك أحيانًا، واختلط نسبهم مع أنساب الأفريقيين حيث تعايشوا واندمجوا سويًا، فمع الزمن تم احتسابهم قبائل أفريقية، ثم عندما جاء دور كَتَبة التوراة وكذلك أهل الأنساب العبرانيين لكي يدوّنوا أنساب البشر عدوها من شعوب أفريقيا، وكتبوا أنهم مِنْ ظَهر كوش نظرًا لوجودهم في مناطقه التاريخية(127)، لتظهر الأصوات التي انتقدت كتبة التوراة مرة أخرى في هذا الموضع، ليأكدوا أنهم قد تأثروا بالماضي السابق لهم، فكتبوا كتاباتهم بناءً على الروايات التي قيلت لهم، والتي لا يوجد دليلٌ قاطعٌ على صِدقِها كلها - على حد قولهم.

وهناك تفسيراتٌ أخرى لهذا التخبط قالت إنهم بالفعل عربًا، وأن كوش أبوهم عربي، وأن جزيرة العرب قديمًا كان فيها كوش آخر عربي، غير «كوش بن حام»(126)،واستدلوا بما ورد في «أخبار الأيام الثاني»: «وَأَهَاجَ الرَّبُّ عَلَى يَهُورَامَ رُوحَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَالْعَرَبَ الَّذِينَ بِجَانِبِ الْكُوشِيِّينَ»، وفسروا هذه الآية بأن مجموعة العرب التي عادت وحاربت «يهورام»، كانت مجاورة للكوشيين(125)، فكيف سيكون ذلك إذا كان الكوشيون في أفريقيا، إذًا هناك كوشيُون في بلاد العرب - بحسب هذا الرأي - فالتوراة نفسها أوضحت من وجهة نظرهم أن مملكة سبأ كانت بين الكوشيين، وكذلك أكّد آخرون أن حام لم يكن له ابن اسمه كوش من الأساس، وأنَّ هذا من نسيج كتبة التوراة، وأن كوش ما هو إلا شخص عربي وهذه مجموعة من ذريته التي هاجرت من بلاد العرب إلى أفريقيا، وقد تغيَّرت بشرتهم نظرًا لقسوة الشمس وارتفاع درجات الحرارة، وآراء أخرى مختلفة.

وإذا دققت في الأسماء الواردة عن أبناء كوش، ستجدها كلها على مسميات قبائل وبلاد عربية(124)، وقد تواجدت في سجلات أقدم من تاريخ كتابة التوراة، فعلى سبيل المثال:

«سبتة» كانت قبيلة عريقة بالفعل، اختلفت الأقاويل حول ذِكر موطنها، لكنها اجتمعت على أنها لم تكن بأفريقيا، قالوا إن موطنها كان جزيرة العرب، وكانت تعيش بين «سبأ» و«رعمة»، بينما قال آخرون إن موطنها «اليمامة»، وقال غيرهم إنهم سكنوا «شبوة» عاصمة «حضرموت»، بينما قال آخرون إنهم كانوا سكان ساحل الخليج العربي، وبرغم اختلاف الآراء إلا أنها مجتمعة على أنهم كانوا في بلاد العرب.

وكذلك بالتحري عن موطن «رعمة»، وهي القبيلة التي قالوا إنها سميت على اسم «رعمة بن كوش» والد «شبا» و«ددان» لم يجد العلماء أصلًا لها في أفريقيا كلها، وذهب جميع الباحثين

إلى الرأي الذي يقول بأن رعمة هم كذلك كان موطنهم في جزيرة العرب، وتحديدًا في غرب الخليج، وأنهم هم أنفسهم سكان منطقة «رجمة » مثلما ذكرهم «بطليموس» و«سترابو»، وكذلك كتابات المسند، وهذه الكتابات أظهرتهم وكأنهم ضمن حلف ثلاثي يضم أبناء رعمة مع السبئيين الشمالين والديدانيين.

وكذلك بالتحري عن «سبتكا»، لن تجد لها ذكرًا، ولكن خمن العديد من العلماء أنها ربما تكون «سبتة»، وقد كانت في شرق جزيرة العرب هي الأخرى.

وكذلك إذا دققت في اسم «حويله» ستجده هو نفس الاسم لتلك القبائل العربية التي سكنت في جزء من الجزيرة العربية ناحية البحر الأحمر(123).

وكذلك «وددان بن رماح» فقد سكن نسله منطقه تبوك.

وكذلك «سبتيكة» هي تلك القبائل التي سكنت جزءًا من حضارة سبأ وعاشوا حول ميناء إريتريا.

وبهذه الأمثلة نستنتج أن كل من قال عنهم جدول الأمم إنهم من ظهر كوش عربًا!(122)

كان أبرز شخص من نسل ذرية كوش، قد ملأت سيرته كتب التاريخ، هو الملك «النمرود»، ومن وجهة نظر - العبرانيين - هو مؤسس بابل، بعدما انتهت مملكة شنعار، لكن يا ترى مَن هذا الشخص؟ وما هو الجدل التاريخي حول أصله؟

ذكر النمرود بن كنعان

وفقًا لـ- سفر التكوين وسفر أخبار الأيام الأول - النمرود من سلالة كوش، وهو آخر ملوك شنعار قبل تأسيس بابل وإنشاء برج بابل، أي أن النمرود ربما كان من الجيل الذي سبق الهجرة، أو ربما هاجر آباؤه وعندما وُلد عاد واحتلّ شنعار التي هي بابل، ويرتبط اسم نمرود بالعديد من آثار بلاد الرافدين، ولكن لم تأتِ التوراة بأي تفاصيل أخرى متعلقة بهذا الشخص، وأول مرة ذُكرَ فيها النمرود في التوراة كان في جدول الأمم، إذ تمّ ذكره أنه من ذرية كوش ومن أحفاد حام وبأنه «ابْتَدَأَ يَكُونُ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ، الَّذِي كَانَ جَبَّارَ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ»، وتتكررت هذه المعلومات في سفر أخبار الأيام الأول.

وذكر - مفسرو التوراة - بأنه مؤسس مملكة بابل، وهو منشأ «أكد»، و«أوروك»، ولكن ستجد في «التلمود» و«المدارش» وتاريخ «فلافيوس» معلومات أكبر، حيث ربطت هذه الكتابات بين شخصية نمرود وشخصية الملك» امرافيل» الذي قالوا إنه حكم في عصر «إبراهيم» عليه السلام، وكذلك تم وصفه بباني برج بابل ومتحدي عبادة الله.

وحول تحديد شخصية النمرود تاريخيًا هناك فرضيات كثيرة، منها - على سبيل المثال - ما اقترحته بعض الآراء التي قالت بأن النمرود هو نفسه «سرجون الأكادي»، أو ربما «أيخيوس»، ولكن ليس هناك دليل قاطع على تحديده.

نسب النمرود عند علماء المسلمين

اختلف النسّابون العرب حول نسبه، فمنهم من ذكرَ أنه من ولد حام أي أنه «نمرود بن كنعان بن كوش بن حام بن نوح»، ومنهم من قال من ولد سام وأنه هو «نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح»(121)، بينما زعم المسعودي أنه من ظهر سام لكن من ذرية أخرى حيث قال إنه «نمرود بن ماش بن ارام بن سام بن نوح».

ستجد النمرود موجود في كل كتب - المفسرين المسلمين - في كل زمان، نظرًا لربطه بالملك الذي تحداه إبراهيم في النص القرآني، وبرغم إجماعهم على أن هذا الملك الظالم هو نفسه النمرود، لم تأتِ آية أو حديث نبوي صريح ينص على هذا، لكن غالبيتهم اتفقوا بأنه هو. (120)

ويتضح من كتب - المؤرخين العرب - أن كنعان الذي أجمعوا على أنه أب النمرود، هو من سلالة كوش أو ربما أحفاده، وأنه كنعان آخر غير الجد كنعان بن حام، أي أن هناك اختلافًا واضحًا عمّا ذكرته - التوراة - التي أقرت بأن كنعان هو الأخ الأصغر لكوش، وأنه والد النمرود!

تاريخيًا - هل هناك ملك أفريقي احتل بابل؟

ربما نستنتج مما ورد في ترتيب «جدول الأمم» أن النمرود حاميَ الأصل - بحسب رواية التوراة - الذي هو بالتأكيد أفريقي، استطاع أن يُخضع بلاد بابل لقبضته في زمن لا يتعدى الألفية الثانية قبل الميلاد، ولكن تاريخيًا لا وجود لهذا الملك.

وهناك آراء تقول إن قصة نسب النمرود إلى حام، مقتبسة من أسطورة أفريقية شهيرة، ليظهر على الساحة تلك الأصوات التي عارضت كتبة التوراة في هذا الشأن مرةً أخرى، والذين قالوا إن قصة النمرود في التوراة تشبه كليًا الأسطورة التي رواها «هيرودوت» عن الملك المصري «سيسوستريس» الذي كان حاكمًا في الألفية الثانية قبل الميلاد، وقالوا إن السرد التاريخي للأسطورة فيه تطابق تامٌ لقصة النمرود وسيسوستريس، والفترة التي ظهر فيها النمرود وجبروته على حد - رواية التوراة - هي نفس فترة حُكم الأسرة الثانية عشر المصرية، وقالوا إنها مجرد أسطورة ولا يوجد دليل تاريخي على ذلك(119)، وأنه ليس هناك دليل واضح وملموس أن في هذا الزمان مصري أو حتى أفريقي قد أخضع بابل

لقبضته، وسيسوستريس اسم محرّف باليونانية للملك سونسرت، فهل نفهم من هذا أن سونسرت هو النمرود بن كنعان!

قال هيرودوت بأنه علم بشأن سيسوستريس من خلال مناقشته مع العلماء المصريين، وكما يبدو ربما تكون هذه القصة دارجة في الأساطير الشعبية لدى المصريين، حيث تقول القصة إنه كان لمصر ملكًا أخضع أثيوبيا وأسقطها، وعبر البلاد ليقهر بلاد الرافدين ويخضعها، ثم عبر ببابل واتجه نحو آشور، ليتوقف في النهاية داخل أوروبا، ولا يوجد ذِكرٌ لسبب التوقف.

قيل أن ربما كَتبة قصة النمرود في التوراه قد تأثروا تأثيرًا كبيرًا بالأسطورة المصرية وخصوصًا أن التوراة كُتبت بعدها(118)، وشخصية النمرود لها وجود لا جدال في ذلك، لكن لا يوجد دليل جازم حول شخصه أو زمانه أو مكانه، أو حتى عِرقه أو نسبه.

ورجوعًا لموضوعنا حول العلاقة بين أبناء كوش وبين الساميين، لا سيما العرب الجنوبيون، سنجد أن هناك تداخلًا واضحًا بينهما لفترات زمنية كبيرة، حيث ذاب الجنسيان واندمجا، ولكن يا ترى، من فيهم صاحب التأثير الأكبر؟

هل تأثر الدم الحبشي بالدم العربي أم العكس؟

كما ذكرنا ووضحنا أن الهجرات السامية دائمًا ما كانت مؤثرة وبارزة في الدماء الأخرى التي عاشرتها أو استقبلتها، كالهجرات المتنوعة التي ذكرناها، كذلك الأمر في مصر وشمال أفريقيا والحبشة، وقد اتضح أن العلاقات بين سكان جنوبي غربي الجزيرة العربية وسكان الحبشة هي الأقوى في كل الهجرات التي اتجهت إلى بلاد أفريقيا، وربما كان العامل الأهم الذي سهَّل هذه الهجرات وجعل المنطقتين مفتوحتين على بعضهما البعض هو مضيق باب المندب، فالمسافة بين ضفتي المضيق هي ٣٠ كم، أي أنه إن بُنِيَ هناك جسرٌ، سيمكنك عبوره في دقائق بأي وسيلة حديثة، أو عبوره في ساعاتٍ قليلة بأي وسيلة نقل قديمة.

ويعتقد البعض أن جيوش اليمن هي التي احتلَّت الحبشة فقط، لكن - تاريخيًا - الأحباش أيضًا عبروا واحتلوا اليمن مراتٍ عديدة، وفي غالبية الأحيان كان يندمج الأحباش داخل المجتمع اليمني، لدرجة أنه اتضح أن في أوقات الاحتلال كان يقطن في اليمن مواطنون أحباش، وهناك فرضيات قالت بأن الأحباش كانوا يملكون باليمن مقاطعات ذاتية لا تخضع للحكم المركزي، وقد اتضح لنا من - سجلات التاريخ - أن الأحباش قد تفوقوا عسكريًا على بلاد العرب مرارًا، وهذه المعلومة قد جعلت بعض العلماء يذهبون لفكرة أن الحبشة هي التي أثرت في بلاد العرب بشكل أكبر وليس العكس، بحكم أنهم هم الغازيون لفترات أطول، ولكن عارض آخرون هذه النظرية بسبب أن هذه الفرضية لم تكن دائمًا قاعدة يتم دراستها بعين

الاعتبار، والدليل أن الرومان مثلًا قد غزوا أرض اليونانيين، ومع ذلك اليونانيون يعتبرون هم من غزا الرومان فكريًا وأدبيًا وفنيًا وعلميًا، وبالتالي اعتبر العلماء أن الدماء السامية لها التأثير الاكبر في الدماء الأفريقية، لا سيما كل المناطق التي وصلت إليها الوفود المهاجرة، ولذلك تشابهت اللغات البابلية والكنعانية والعبرانية، والفينيقية، والآرمية، والعربية، واللهجات العربية الجنوبية، والحبشية، والنبطية، وأمثالهم، وكأنهم من أصلٍ واحد، فكل هذه اللغات تقاربت في جوهر اللغة من جذور الأفعال وأصول التصريف، وتصريف الأفعال، وكذلك في زمني الفعل التام والناقص، أو الماضي والمستقبل، وأصول المفردات والضمائر والأسماء، والتعابير التي تدل على منظمات الدولة، وكذلك المجتمع والدين، وبعض أسماء أعضاء الجسم الرئيسية، وغيره وغيره، ودخول اللغة الحبشية والكنعانية في هذا التعداد حيّر العديد من العلماء، فلقد نسبت التوراة سلالاتهم إلى أولاد حام، ولذلك ذهب الكثير من العلماء إلى فرضية أن الأصل الحامي والسامي هم في الأصل جنس واحد، وربما يكون هذا غير صحيح، لكن ما هو صحيح وبشكل مؤكد أن العلم يُكذب ما يتم ترويجه لآلاف السنين أن الجنس الحامي الأسمر هو الأقل والأدنى، بينما السامي هو جنس الملوك(117).

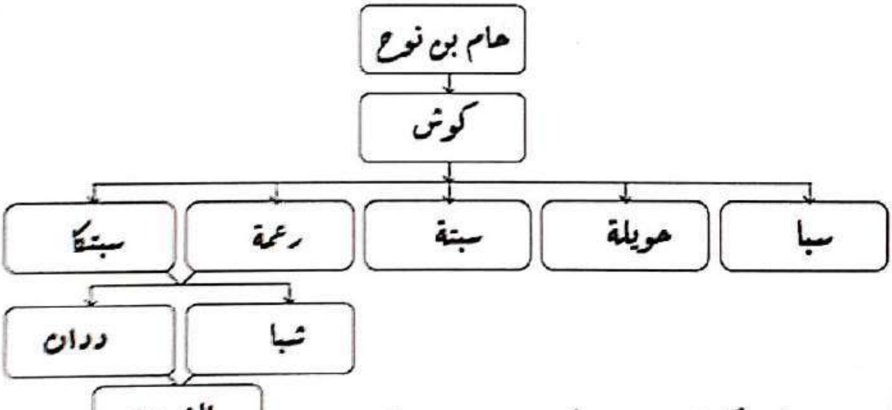
* * *

الخط الثاني

ذرية مصراييم بن حام

هو الابن الثالث لحام بحسب - التوراة(116)- وما تداوله غالبية الإخباريين والنسابين العرب، وتجد كلمة «مصراييم» في - الهيلوغريفية - بمعنى الأرضين، وإذا قسمت الاسم لجزئين، ستجد الجزء الأول «مصر»، أما الجزء الثاني وهو «إييم» بمعنى المكررة أو الثنائية إشارةً لوجود تثنية، وكأن معنى الاسم المصريتان، وفسّرها علماء المصريات بأنها ترمز لمصر العليا ومصر السفلى.

وتقول التوراة - إن مصرايم ولَدَ له: «لوديم»، و«عناميم»، و«لهابيم»، و«نفتوحيم»، و«فتروسيم»، و«كسلوحيم» الذين خرج منهم «فلشتيم» و«كفتوريم» أجداد شعب فلسطين - على حد وصف التوراة(115)، ولم تذكرهم بعض الكتب العربية، لكنها ذكرت أسماءً أخرى سنذكرها في موضعها، بينما ذكر «ابن خلدون» نفس هذه الأسماء ولكن بتحريف الحروف، ولم يذكر تفاصيلهم(114).



ذرية كوش بحسب التوراة ومن تناقل عنها

ذكر لوديم بن مصراييم

«لوديم» هو اسمُ شخص أو شعب من ظهر مصراييم، كما هو مذكور في سفر التكوين(113)، وكذلك تجده مشارًا إليه في «سفر إرميا» و«سفر حزقيال»، ومن الأمور التي تجعل عقلك في تخبط، ما يعتقده بعض الباحثين كباحث اللاهوت «فيكتور ب.هاملتون»(112)،(111) أن الأدلة المتاحة تشير إلى أن لوديم هو أبو «الليديون»،

فالليبيون كما ذكرناهم في الفصل السابق، قيل عنهم إنهم من نسل سام وهم أولاد لوداء ثم إن هؤلاء لا ينتسبون إلى ذرية حام لا ثقافيًا ولا جسديًا ولا حتى لغويًا، مما يعارض ذلك هذا الرأي تمامًا.

ولكن وفقًا لـ«فلافيوس» المؤرخ اليهودي، فإن أبناء لوديم هذا ربما كانت أرضهم على حدود ليبيا غرب مصر بالقرب من قبائل أبناء عمه «فوط»، الذي هو على حد زعمه جد جدود سكان الشمال الأفريقي والمغرب العربي الحالي والمحيط الأطلسي.

وفي الحقيقة - تاريخيًا - ليس هناك وجود لشعب بهذا الاسم في هذه المنطقة، إلا ما تداوله معلقو التوراة ومن نقل عنهم فقط.

ذكر عناميم بن مصرايم

ربما يكون اسم شخص، وربما يكون اسم قبيلة أو شعب من نسل مصرايم، وأتى اسمه كذلك في جدول الأمم(110)، وقال عنه الباحث الإنجيلي «دونالد إي جوان»: هويته غير معروفة تمامًا، ويزعم الباحث اليهودي «سعيد فيومي»(109)، أن هناك نصًا قديمًا من آشور، يعود إلى زمن سرجون الثاني، يطلق على المصريين اسم «أنامي»، مما جعله يتوهم أنهم السكان الأصليون للإسكندرية(108)، وهناك من قال هم أهل واحة الخارجة بالوادي الجديد بالصحراء الغربية على حدود ليبيا، ومنهم من قال هم شعب دلتا النيل، ومنهم من قال هم أهل القيروان الأصليون، وأقوال تفسيرية متداولة.

لكن - تاريخيًا - ليس هناك وجود لشعب بهذا الاسم في هذه المنطقة، إلا ما تداوله معلقو التوراة ومن نقل عنهم فقط.

ذكر لهابيم بن مصرايم

هنا نجد الأمر ما زال غامضًا، فلا يعرف أحد أهذا اسم شخص أم اسم شعب، وقال - معلقو التوراة - أنه ربما تكون كلمة «لهابيم» هي نفسها «لوبيم» أي «اللوبيون» (قبيلة أفريقية) الذين ذكروا كثيرًا في العهد القديم كحلفاء مصر، والمذكورون في سفر دانيال(107)،وكذلك تكرر اسمهم في «سفر أخبار الأيام الثاني»(106)على أنهم كانوا أقوامًا في جيش «شيشنق» حاكم مصر (مؤسس الأسرة ٢٢ الليبية) عند زحفه على مملكة إسرائيل في عهد «رحبعام بن سليمان بن داوود»، وفي جيش «زارح الكوشي» في عهد «آسا» ملك يهوذا(105).

لم يتم التأكيد عن أن المقصود بهم أنهم القبائل الشرقية التي سكنت ليبيا، لكن من الواضح

أن المعلقين أجمعوا على ذلك.

و- تاريخيًا - ليس هناك وجود لشعب بهذا الاسم، إلا ما تداوله معلقون التوراة ومن تناقل عنهم فقط.

ذكر نفتوحيم بن مصرايم

وهنا يتكرر نفس الغموض، لم يُعرف أهذا اسم شخص أم اسم شعب، ولقد ورد اسم «نفتوحيم» هذا بين «لهابيم» و«فتروسيم»(104)، ويعتقد أصحاب نظرية - أن «لهابيم» كانوا شعبًا يسكنون ليبيا وتحديدًا منطقة الشرق الليبي - كما ذكرت فيما سبق، أن «فتروسيم» هم سكان صعيد مصر فيما سيأتي ذكره، وبهذا الاعتقاد توقعوا أن «نفتوحيم» هذا قد ورد اسمه بينهم ربما لأنه المقصود به أصل سكان الدلتا.

و - تاريخيًا - لا يوجد ذكر لشعب بهذا الاسم، لكن ربط المعلقون بين كلمة نفتوحيم، واسم ممفيس أو منف.

ذكر فتروسيم وكسلوحيم الأحفاد

فتروسيم وكسلوحيم كانا حفيدي مصرايم وفقًا للأنساب في جدول الأمم(103)، وقال - المعلقون - إنهم أصل سكان صعيد مصر، ولكن ترتيب كسلوحيم وفتروسيم يختلفان في بعض الأحيان في الترجمات والتفسيرات والفهم السائد، وتجدهم يفسرون أن فتروسيم هم شعب الصعيد وكسلوحيم هم شعب شرق ليبيا، واستدل أصحاب هذا الرأي بالربط بين اسم فتروسيم بكلمة «با- تو - ريس»، التي تعني أرض الجنوب.

واستكمالًا لما ورد في - التوراة(102)- سيتضح أن فتروسيم وكسلوحيم هذين خرج منهما فلشتيم وكفتوريم اللذان هما أصل الفلسطينيين - كما يزعمون - ولهذا الاعتقاد ذهب «ابن خلدون» وقال بنو فلشتين كان منهم جالوت، ولكنه قال إن سنده التوراة(101)، وقال «فلافيوس» عن أبناء كسلوحيم إنهم اختفوا من الوجود بسبب أنهم قد تم تدميرهم في إحدى الحروب الأثيوبية، أما كفتوريم الذين هم أهل الصعيد المصري - على حد قولهم، قال إنهم هم مؤسسو «الحضارة القفطية» العريقة، والتي كانت من أولى الحضارات على أرض مصر، وتحديدًا في مدينة «قفط» الواقعة حاليًا في محافظة قنا الجنوبية.

ذكر تأسيس مصر

الواضح في سجلات أهل الكتاب، وفي كتابات المؤرخين والإخباريين العرب ما لا يدع مجالًا للشك بأن «مصرايم بن حام» هو أب المصريين جميعهم باختلاف أماكنهم وألوانهم، وقد

عمَّرت ذريته بعد الطوفان أرض الدلتا وما يليها إلى الغرب، وكذلك مصر الوسطى ومصر العليا.

وملخصًا لكل ما ورد:

بحسب - التوراة - وما اتفق عليه بعض المؤرخين أمثال «بن خلدون»:

ذرية مصرايم انتشرت، فاستقر الأبناء لوديم وعناميم (بحسب مسميات التوراة) في الدلتا، وامتدوا إلى الغرب على ساحل البحر الأبيض المتوسط، أما في أقصى الغرب على الحدود والمداخل الليبية الحالية والشرق الليبي فقد سكن بنو لهابيم... أما نفتوحيم وفتروسيم وكسلوحيم، فقالوا أن ذريتهم قد عمرت مصر الوسطي (الجيزة والفيوم وبني سويف الحاليين)، وامتد نسلهم جنوبًا إلي أطراف بلاد النوبة والواحات الداخلة.. أما الجيلان التاليان - فبحسب التوراة أيضًا - يقال إن فلشتيم جاء من ظهره الفلسطينيين الذين عمروا ساحل البحر المتوسط فيما بين يافا وغزة جنوبًا، وما والاهما شرقًا إلى جبل الخليل، وقالوا إن كفتوريم هو أبو الجيل التالي من المصريين الذين امتدوا في وادي النيل صعودًا حتى نهاية صعيد مصر، وهم أصحاب الحضارة القفطية التي بنت «قفط» التابعة حاليًا لمحافظة قنا جنوب مصر، ولكن لابن خلدون رأي آخر قال فيه إن كفتورع (كفتوريم) هم أهل دمياط، وكذلك استنتج بأنه ربما يكون هو نفسه «قبطقاي» أصل القبط(100)، وفي أصل القبط هناك آراء أخرى، منها ما ورد: أنَّ القبط تُنسب إلى «قبطيم بن مصرايم»، وأن قبطيم أول من عمل العجائب بمصر وآثار بها المعادن، وشق الأنهار لما وُلي أرض مصر بعد أبيه مصرايم، وأنه لحق بلبلة الألسن، وخرجَ منها وهو يعرف اللغة القبطية، وأنه ملك مدة ثمانين سنة ومات، فاغتمّ لموته بنوه وأهله ودفنوه في الجانب الشرقي من النيل بسرب تحت الجبل الكبير، فقام من بعده في مُلك مصر ابنه «قفطيم بن قبطيم»(99)، كذلك تجد فئة ينسبون مصرييم ل»هرمس بن هردوس» حيث اعتقدوا أنه جد الإسكندر، وقيل إن «قفط بن حام بن نوح» نكح «بخت» بنت «يتاويل بن ترسل بن يافث بن نوح» فولدت له «بوقير» و«قبط» أبا قبط مصر.(98)

وهناك أقوال أخرى كذلك لم يُثبَت صحتها أو حتى نفيها، ولكنها متداوَلة عبر العصور ولم يُثبت سندها أو موضعها، ولكنها تُخالف الاعتقاد الذي يقول بأن مصراييم الابن المباشر لحام، وتؤكد أنه حفيده من ابن آخر اسمه «بيصر» أو «بنصر بن حام»، وحقيقةً لم أجد لبنصر أو بيصر وجودًا في جدول الأمم ولا علماء الأنساب سواء التوراتين أو العرب، باستثناء هذه الروايات والخط الذي مشى فيه متبعوهم، وبما أنها متداوَلة في كتب بعض المؤرخين العرب

وجب علينا ذكرها، فسنأخذ ما قاله «تقي الدين المقريزي» في خططه، وتحديدًا ذكر اشتقاق مصر ومعناها(97)، والذي يتلخص في:

إن وقت طوفان نوح كان هناك كاهن من مصر اسمه «قليمون» خرج لكي يلحق بالنبي نوح وأهله ومن آمنوا معه، وركب معهم السفينة، وبعد نهاية الطوفان حضر تقسيم الأرض، وكان هذا الكاهن قد زوج ابنته لـ«بنصر بن حام» (أي أن من المفترض أن بنصر هو أخ كوش وفوت وكنعان وليس مصرايم).

وتقول القصة إن ابنة الكاهن قليمون أنجبت من «بنصر بن حام» الطفل مصرايم، وبعد الاستقرار الأول قال الكاهن قليمون للنبي نوح:" ابعث معي يا نبي الله حفيدي حتى أمضي به بلدي وأظهره على كنوزي وأوقفه على علومه ورموزه".

فاستجاب نوح وأرسله معه وهو غلام صغير، فلما قرب من أرض مصر بنى له جده الكاهن قليمون عريشًا من أغصان الشجر وستره بحشيش الأرض، ثم بنى له بعد ذلك في هذا الموضع مدينة وسماها: «درسان» أي باب الجنة، فزرعوا وغرسوا الأشجار والأجنة من درسان إلى البحر، فصارت هناك زروع وأجنة وعمارة.

ثم توصف هذه القصة أهل مصر وتقول بأنهم كانوا جبابرة، قطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا في أرغد عيش، ونصب أهل مصر «مصرايم بن بنصر» ملكًا عليهم فملك مصر، وكان هذا في عهد «تالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ»(96)، وهي مدينة مبنية على النيل وسماها باسمه، وغرس الأشجار بيده، وكانت ثمارها عظيمة بحيث يشق الأترجة نصفين فيحمل على البعير نصفها، وكان القثاء(95) في طول أربعة عشر شبرًا، وهو أول من صنع السفن بالنيل، وأول سفينة كانت ثلاثمئة ذراع طولًا، في عرض مائة ذراع.

وتستكمل القصة أن مصرايم تزوج امرأة من بني الكهنة، فولدت له «قفطايم» و«أشمون» و«أتريب» و«صا»، فتكاثروا وعمَروا أرض مصر، وبورك لهم فيها، فبنوا مدينة سموها «نافة»، ومعنى نافة «مدينة الثلاثين» بلغتهم، وهي «منف» أو«ممفيس»، وكشفوا عن كنوز مصر وعلومها، وأثاروا المعادن وعلموا علم الطلسمات ووضعوا علم الصنعة، وبنوا على البحر مدنًا منها «رقودة»(94)، ولما حضر «مصرايم بن بنصر بن حام بن نوح» الوفاة عهد إلى ابنه «قفطايم»، وكان مصرايم قد قسم أرض مصر بين بنيه فجعل لـ«قفطيم» من قفط إلى أسوان (من مركز قفط بقنا إلى أسوان بمصر الحالية)، ولـ «أشمون» من أشمون إلى منف (من المنوفية الحالية إلى جنوب القاهرة)، ولـ «أتريب» الجرف كله وجزءًا من ناحية «صا» البحرية إلى قرب برقة (من منطقة صا الحجر بمحافظة الغربية حتى حدود برقة في الداخل

الليبي)، وقال لأخيه الذي كان اسمه «فارق» لك من برقة إلى الغرب، (يقصد باقي الشمال الأفريقي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الحالي)، والابن «فارق» - على حد قول الرواية - هو صاحب أفريقيا ووالد الأفارقة، ثم أمر مصراييم كل واحد من بنيه قفطايم وأشمون وأتريب وصا أن يبني لنفسه مدينة في موضعه، وكذلك أوصاهم أن يفرشوا قبره بالمرمر الأبيض، وأن يدفنوا معه كل ممتلكاته من الذهب والجوهر، وأن يحفروا اسم الله عليهم حتى يحميهم، وكذلك فعلوا.

وتذكر القصة أنه قد مات «مصرايم بن بنصر بن حام بن نوح» بعد سبعمائة عام مضت من أيام الطوفان ولم يعبد صَنمًا قَطّ، وحَصَّن نفسه بأسماء الله وآمَن بدين جد أبيه (النبي نوح) دين الملك الديان، وآمن بالمبعوث بالفرقان.(93)

وسنعلق في النهاية على كل ما ورد، ولكنا دعنا نقرأ قصة أخرى ذكرها أيضًا المقريزي في خططه، لكنه نقلها عن «أبو القاسم بن عبد الحكم» صاحب كتاب فتوح مصر وأخبارها، ولذلك قررت تتبع المصدر والأخذ منه مباشرةً(92)، فوجدت أبو القاسم يقول:

«عن عبد الله بن عباس قال: فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحر، فنادى سامًا فأجابه يسعى، وصاح سام في ولده فلم يجبه أحدٌ منهم إلا ابنه أرفخشد، فانطلق به معه حتى أتياه، فوضع نوح يمينه على سام وشماله على أرفخشد بن سام، وسأل الله عز وجل أن يبارك في سام أفضل البركة وأن يجعل الملك والنبوة في ولد أرفخشد، ثم نادى حامًا وتلفت يمينًا وشمالًا فلم يجبه، ولم يقم إليه هو ولا أحد من ولده، فدعا الله عزَّ وجلَّ نوحًا أن يجعل ولده أذلاء وأن يجعلهم عبيدًا لولد سام (يبدو من هذه الكتابات المتداولة أن نبي الله نوح كان يلعن ولده حام وذريته كل عشية وضحاها)، واستكمالًا لهذه الرواية - التي شكك البعض في صحتها - أن مصر (مصراييم) بن بنصر بن حام كان نائمًا إلى جنب جده، فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعى إلى نوح وقال: يا جدي، قد أجبتك إذ لم يجبك جدي ولا أحد من ولده فاجعل لي دعوةً من دعائك، ففرح نوح ووضع يده على رأسه وقال: اللهمَّ إنه قد أجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته وأسكنه الأرض المباركة التي هي أم البلاد، وغوث العباد، التي نهرها أفضل أنهار الدنيا، واجعل فيها أفضل البركات، وسخر له ولولده الأرض وذللها لهم وقوّهم عليها.

ثم دعا ابنه يافث فلم يجبه ولا أحد من ولده، فدعا الله عليهم أن يجعلهم شرار الخلق... وعاش سام مباركًا إلى أن مات، وعاش ابنه أرفخشد بن سام مباركًا حتى مات، وكان الملك الذي يحبه الله والنبوّة والبركة في ولد أرفخشد بن سام... وكان أكبر ولد حام: كنعان بن

حام، وهو الذي حمل به في الرجز في الفلك(91) فدعا عليه نوح فخرج أسود، (رواية أخرى لواقعة اللعنة)، وكان في ولده الملك والجبروت والجفاء وهو: أبو السودان والحبش كلهم وابنه الثاني: كوش بن حام، وهو أبو السند والهند، وابنه الثالث: قوط بن حام وهو: أبو البربر، وابنه الأصغر الرابع: بنصر بن حام، وهو أبو القبط كلهم، فولد بنصر بن حام أربعة: مصر بن بنصر وهو أكبرهم والذي دعا له نوح بما دعا له، وفارق بن بنصر، وماح بن بنصر، وقيل: ولد مصر أربعة: قفط بن مصر، وأشمن بن مصر، وأتريب بن مصر، وصا بن مصر.

واستكمالًا لما أرّخ أبو القاسم في رواية أخرى: عن ابن لهيعة وعبد الله بن خالد قالوا: إن أول من سكن مصر بنصر بن حام بن نوح عليه السلام بعد أن أغرق الله تعالى قومه، وأول مدينة عمرت بمصر منف فسكنها بنصر بولده وهم ثلاثون نفسًا، منهم أربعة أولاد له قد بلغوا وتزوجوا وهم: مصر، وفارق، وياح، وماح، وكان مصر أكبرهم فبنوا مصر، وكانت إقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم، ونقروا هناك منازل كثيرة، وكان نوح عليه السلام قد دعا لمصر أن يسكنه الله الأرض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد، وغوث العباد، ونهرها أفضل الأنهار، ويجعل له فيها أفضل البركات ويسخّر له الأرض، ولولده ويذلّلها لهم ويقويهم عليها، فسأله عنها فوصفها له وأخبره بها، وقالوا: وكان مصر بن بنصر مع نوح في السفينة لما دعا له، وكان بنصر بن حام قد كبر وضعف، فساق ولده مصر وجميع إخوته إلى مصر، فنزلوها، وبذلك سميت مصر، فلما قرّ قرار بنصر وبنيه بمصر، قال الإخوة فارق وماح وياح وبنو بنصر، يا مصر: «قد علمنا أنك أكبرنا وأفضلنا وأن هذه الأرض التي أسكنك إياها جدك نوح، ونحن نُضيّق عليك أرضك، (وذلك حين كثر ولده وأولادهم)، ونحن نطلب إليك البركة التي جعلها فيك جدنا نوح، أن تبارك لنا في أرض نلحق بها ونسكنها وتكون لنا ولأولادنا، فقال: نعم عليكم بأقرب البلاد إليّ ولا تباعدوا مني فإن لي في بلادي مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسي فتكون لي ولولدي ولأولادهم».

فحاز مصر بن بنصر لنفسه ما بين الشجرتين التي بالعريش إلى أسوان طولًا، ومن برقة إلى أيلة عرضًا.

وحاز فارق لنفسه ما بين برقة إلى أفريقيا، وكان ولده الأفارقة ولذلك سميت أفريقية، وذلك مسيرة شهر.

وحاز ماح ما بين الشجرتين من منتهى حدّ مصر إلى الجزيرة مسيرة شهر، وهو أبو قبط الشام.

وحاز باح ما وراء الجزيرة كلّها ما بين البحر إلى الشرق مسيرة شهر، وهو أبو قبط العراق.

ثم توفي بنصر بن حام، ودفن في موضع دير «أبو هرميس» غربي الأهرام، فهي أول مقبرة قُبِرَ فيها بأرض مصر، وكثر أولاد مصر وكان الأكابر منهم قفط، وأتريب، وأشمن، وصا، والقبط من ولد مصر هذا ويقال: إنَّ قبط أخو قفط، وهو بلسانهم». انتهى(90)

وهذه الروايات التي تم ذكرها جميعها تستند على أحاديث دينية منسوبة لصحابة نبي الإسلام محمد -صلّى الله عليه وسلم-، فاستند مؤرخو الروايتين السابقيتين بخصوص مباركة «بيصر»، أو «مصر»، على أقوال لـ«عبد الله بن عباس» رضي الله عنهما.

وهناك حديث آخر منسوب إلى «عبد الله بن عمرو بن العاص» رضي الله عنهما أنه قال: «لما قسم نوح عليه السلام الأرض بين ولده جعل لحام مصر وسواحلها، والغرب وشاطئ النيل، فلما قدم بيصر بن حام وبلغ العريش قال: «اللهم إن كانت هذه الأرض التي وعدتنا على لسان نبيك نوح وجعلتها لنا منزلًا، فاصرف عنا وباها وطيّب لنا ثراها، واجمع ماها وأنبت كلاها، وبارك لنا فيها وتمم لنا وعدك، إنك على كل شيءٍ قدير، وإنك لا تخلف الميعاد»، وجعلها بيصر لابنه مصر وسماها به»... وكذلك تكررت هذه الرواية في - خطط المقريزي.

كذلك في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري(89) حديث آخر لـ«عبد الله بن عمرو بن العاص» رضي الله عنهما يقول: «لما خلق الله آدم مثَّل له الدنيا، شرقها وغربها وسهلها وجبلها، وأنهارها وبحارها وعامرها وخرابها، ومن يسكنها من الأمم ومن يملكها من الملوك، فلما رأى مصر رآها أرضًا سهلة ذات نهر جارٍ مادته من الجنة تنحدر فيه البركة، ورأى جبلًا من جبالها مكسوًا نورًا لا يخلو من نظر الرب عز وجل إليه بالرحمة، في سفحه أشجارًا مثمرة، فروعها في الجنة تسقى بماء الرحمة، فدعا آدم في النيل بالبركة، ودعا في أرض مصر بالرحمة والبر والتقوى، وبارك على نيلها وجبلها سبع مرات وقال: يا أيها الجبل المرحوم سفحك جنة، وتربتك مسكة تدفن فيها عرائس الجنة، أرض حافظة مطبقة رحيمة، لا خلتك يا مصر بركة ولا زال بك حفظة، ولا زال منك ملك وعز، يا أرض مصر فيك الخبايا والكنوز، ولك البر والثروة، سال نهرك عسلًا، كثر الله رزقك ودر ضرعك، وزكا نباتك وعظمت بركتك وخصبت، ولا زال فيك يا مصر خير ما لم تتجبّري وتتكبّري أو تخوني، فإذا فعلت ذلك عراك شر ثم يغور خيرك.

تعليق:

للأسف لم يقف الباحثون على آثار لكل هذه الروايات المذكورة من دواوين السنة ولا مخطوطات المؤرخين، والواضح في كل هذه الروايات العِلّة البينة، والروي بدون سند ملموس(88)، فهي أحاديث منسوبة لهؤلاء الصحابة الأجلاء دون أي سند، وقد تمَّ تداوُل

معظم هذه الاقاويل في مؤلفات علماء أجلاء أمثال المقريزي كما ذكرت، وكذلك في كتاب «النجوم الزاهرة في من ملك مصر والقاهرة» للمؤرخ الجليل «ابن تغري بردي» كما ذكرت، وكذلك في كتاب «فضائل مصر المحروسة» لـ«بن الكندي»، وهذه الأحاديث المنسوبة لا يوجد لها بين أيدينا من المصادر أي واقع، وهذا يُميل الكفة لبطلانها، وأنهم لم يقولوها وأن سند هؤلاء المؤرخين العظام ليس بقويٍّ، وكذلك علامات الوضع واضحة وبارزة، ولم يحكِ لنا أحد المؤرخين العظام كيف علم ابن مسعود أو ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهم جميعًا بما دار بين نوح وأبنائه، أو بما دار بين آدم وربه، من أين استمدوا هذه الروايات في حين أنها لم تُذكر في القرآن ولا أي حديث نبوي ولا حديث قدسي ولو حتى من ناحية التشابه، فلو كانت هذه الأحاديث التي تخص مصر صحيحة ولها أصل وسند ومعمولٌ بها، لاصبحت عنوانًا لمصر قبل اسمها، ولحفظها أبناءها جيلًا من بعد جيل، خاصةً أن مصر هي أم العلوم والفنون، بل وستجد علماءها العظام في كل زمان يحفرون هذه الرويات على صدورهم، متضمنة من قالها وتداولها حتى وصلت إليهم، وحتى لو كان عدد المتداولين مائتي راوي سيذكرون اسمهم، ولأصبحت في افتتاحيات الكتب الدراسية، وعلى ألسنة البلغاء وكذلك خطباء المنابر، نظرًا لمحبة مصر عند أهلها وافتخارهم بقوميتهم، ونظرًا لفضائلها الجلية.

وكلامي هذا ليس تقليلًا من قُدسية مصر، حاشا لله، فما قيل في مصر من فضائل من صحيح السُنة وصحيح ما وردَ، وسيرة التابعين والفاتحين لن يكفيه كتبا، ولا داعي لذكره لكثرة وروده، ولكننا لا نريد أن نردد ما لم يأتِ لنا بسلطانٍ بيّنٍ، وكما قال «ابن الجوزي»: ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع... وقال السيوطي في تدريب الراوي: ومعنى مناقضته للأصول أن يكون خارجًا عن دواوين الإسلام من المسانيد والكتب المشهورة، والأحاديث المذكورة هنا هي كذلك، فهي بذلك موضوعة(87)، ولا يمكننا نفي كل ما تم ذكره عن بناء مصر أو عن أجدادها أبدًا، فربما هناك فيهم رأيٌ صالح، أو حتى كل الآراء ربما يكون فيها نسبة كبيرة صائبة، لكنني لا أسلم بكل ما قد ذُكر من روايات العظمة والتمجيد التي تبين الوضع على الرواية، وكذلك أنا لا أتهكم على هؤلاء المؤرخين العظام أو أتهمهم بشيء، فأنا أقل من ذلك، لكنني أشك في بعضٍ من تلك الروايات والتي ربما لم يحققوا في مصدرها، والتي نقلوها بشكل إخباري لا تأريخي.

وملخصًا لكل هذا، وبصرف النظر عن التفاصيل المملوءة بالكثير من التعظيم والتهويل، يبدو أن هناك اختلافًا في الرأي، لكن هناك شبه إجماع أن المصريين من نسل مصرايم بن حام، ولكن كما ذكرت يختلف النسل وأسماء الأبناء بين الكاتبين.

الخط الثالث

ذرية فوت بن حام

«فوت» هو «بوت» الذي هو «فوط» على اختلاف اللغات والترجمات - وبحسب التوراة - هو الابن الثالث لحام بن نوح(86)، وعلى حسب تفسيراتهم هو أبو الشعوب الليبية القديمة وأبو الأمازيغ، ورأيهم هذا واضح وضوح الشمس لا غبار عليه منذ قديم الأزل، كما هو موجود في كتابات المؤرخ والكاتب اليهودي «فلافيوس»، حيث قال إنه بعد البحث وجد أن فوت هو مؤسس ليبيا وأطلق على سكانها تسمية «الفوتيين» نسبةً له، وكذلك وصف فوت بأنه أبو الأمازيغ، ولكن لم يعترف الكثير بهذا الرأي وخصوصًا خلَف الأمازيغ الحاليين، ولأصول الشعب الأمازيغي كتب المؤرخين العديد والعديد من الفرضيات والنظريات غالبيتها عارضت رأي «فلافيوس».

لكن من هم الأمازيغ أو البربر المثار الجدل حول أصولهم؟

نسل الأمازيغ

هم مجموعة إثنية تحدثت بلغة خاصة بها يطلق عليها «اللغة الأمازيغية»، وقد احتفظ غالبيتهم بهذه اللغة التي لا يستعملها سوى الأمازيغ البالغ عددهم ٣٢ مليون نسمة، والموزعين بدءًا من جزء صغير غرب مصر وتحديدًا واحة سيوة، إلى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وشمال مالي وشمال النيجر وجزر الكناري(85)، ودعنا نتعرف على الجدال التاريخي حول أصل الأمازيغ، وما هي آراء العلماء المتصاعدة حول هذا الأمر.

هل الأمازيغ سامين أم حامين أم يافتين(84)

هناك مجموعة من التصورات المتنوعة والمختلفة والمتضاربة حول أصول الإنسان الأمازيغي، وأدى ذلك إلى نشأة مجموعة تصورات، وكل منهم يحمل من وجهة نظره الحُجة العصماء، فهناك من قال إنهم من شعوب البحر المتوسط، وآخرون قالوا بل هم ساميون، وغيرهم قال أصولهم ألبية، مجموعة قالت إنهم أوروبيون من ولد «يافث بن نوح».(83)

أصحاب التصور السامي

هناك أصوات عديدة عارضت التفسير الذي أورده - معلقو التوراة - وقالت بأن أصول الأمازيغ عربية حِميرية، وإنهم من الأشخاص الذين هاجروا وتركوا بلادهم في أرض اليمن والشام، قاصدين شمال أفريقيا بسبب الجفاف وتغيُّر المناخ كما ذكرنا، وقالوا إنهم وصلوا

إلى الأندلس، وجزر صقلية بإيطاليا(82)، مستدلين بما قاله ابن خلدون عن من استند إليهم في تأريخه: «الأمازيغ كنعانين مشرقين من نسل مازيغ بن كنعان، وإخوتهم أركيش، وفلسطين إخوانهم بنو كسلوحيم بن مصرايم بن حام، وأن «أفريقش بن قيس بن صيفي»، من ملوك التابعة لما غزا المغرب وأفريقيا، وقتل الملك «جرجيس»، بنى المدن والأمصار، وباسمه زعمّوا سميت أفريقيا، ولما رأى هذا الجيل من الأعاجم، وسمع رطانتهم، ووعى اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك، وقال ما أكثر بربرتكم، فسموا بالبربر(81).

وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم، فإن علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان، وهما «برنس» و«مادغيس»، ويلقب «مادغيس» بالأبتر، فلذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس، وهما معًا ابنا «بر بن قيس»، وبين النسّابين خلاف هل هما لأبٍ واحدٍ، فذكر «ابن حزم» عن «أيوب بن أبي يزيد» أنهما لأب واحد على ما حدثه عنه «يوسف الوراق»، وقال «سالم بن سليم المطماطي» و«صابى بن مسرور الكومي» و«كهلان بن أبي لووهم» نسابة البربر أن البرانس بتر، وهم من نسل «مازيغ بن كنعان»، والبتر بنو «بر بن قيس بن غيلان»، وربما نقل ذلك عن «أيوب بن أبي يزيد»، إلا أن رواية ابن حزم أصح، لأنه أوثق، وأما شعوب البرانس، فعند النسّابين أنهم يجمعهم سبعة أجذام، وهي «أزداجة»، و«مصمودة»، و«أوربة»، و«عجيسة»، و«كتامة»، و«صنهاجة»، و«أوريغة»، وزاد سابق بن سليم وأصحابه الأبناء: «لمطة»، و«هسكورة»، و«جزولة»، انتهى كلام بن خلدون.(80)

والواضح من هذه الأفكار إجذامها بأن نسل الأمازيغ عربي حِميري من نسل بني قحطان، مثلهم كمثل من نزلوا أفريقيا في الحبشة ومصر، لكن الاختلاف القائم بينهم حول شجرة النسب ولكن مع الإقرار بأنهم ساميون، فمنهم من قال إن البربر من ظهر «كنعان بن يقشان بن إبراهيم بن تارح»، ومنهم من قال إنهم من قبائل اليمن، ومنهم من قال إنهم من قبائل «لخم» و«جذام» سكان فلسطين الذين طردهم الفرس، ومنهم من قال إنهم من ولد «النعمان بن حِمير بن سبأ»، ومنهم من قال من كنعان والعماليق الذين أنزلهم أفريقيش بلاد أفريقيا، أو من قبائل أخرى ربما: العماليق، وكنعان، وقريش(79).

وقال هؤلاء إن اللغة البربرية أو الأمازيغية يجب أن لا تُعد من اللغات الحامية، لأنه علميًا لا يوجد ارتباط لغوي حقيقي يربط اللغات - الأمازيغية - والمصرية القديمة - والكوشية بعضهم، وهذا ما استدعى بعض العلماء في الماضي إلى إخراج اللغة المصرية من الفصيلة الحامية وألحقوها بالفصيلة السامية لوجود الوحدة الداخلية المتشابة مع الفصيلة السامية، كذلك قال بعض العلماء منذ زمن قريب إن البربرية لغة سامية متأصلة وعلى رأسهم عالم البربريات «روسلر»، وبسبب هذه الحالات الشاذة خرج المسمى الإندماجي (اللغات السامية -

الحامية) وهي الحالات التي يظهر فيها أواصر لغوية بين الحامية والسامية(78)، كما سبق وذكرنا.

وقديمًا، قال القديس الجزائري الأمازيغي «أوغسطين» جملة شهيرة ما زالت مأثورة حتى الآن وهي: «إذا سألتم فلاحينا عن أصلهم، سيجيبون: نحن كنعانيون»(77).

وكنعان المقصود في هذه الروايات ليس مقصودًا به «كنعان بن حام»، لكنه «كنعان بن يقشان بن إبراهيم عليه السلام»، وهو الذي أسمته التوراة باسم «سبأ».

أصحاب التصور الحامي

ما بين الكاتبين العرب يوجد أيضًا آراء تتبنى فكرة أن الأمازيغ من نسل حام، لكنهم لم يذكروا أنهم من نسل الجد فوت هذا المذكور في التوراة، ولاقى أصحاب هذه النظريات اتهامات عديدة، حيث اتهمهم المهاجمون بأنهم متعمدون فصل الأمازيغ عن العرب.

وكذلك قال ابن خلدون في موضع آخر أن هناك مصادر أخرى وضحت نسبهم حيث أردف قائلًا: «والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم، أنهم من ولد «كنعان بن حام بن نوح»، كما تقدّم في أنساب الخليقة، وأن اسم أبيهم «مازيغ»، وإخوتهم «أركيش»، وفلسطين إخوانهم بنو كسلوحيم بن مصرايم بن حام»(76).

ويقول أصحاب هذه النظرية إن الأمازيغ الأوائل مثلهم مثل سلالة حام كلها، هاجروا من ضفاف بحر «جيحون»، ومنهم مَن يقول من شبه الجزيرة العربية، فاستقروا في السودان وبلدان شمال أفريقيا.

وقد ورد في كتاب «الجمان في مختصر أخبار الزمان» الآتي: «ذكر أهل عِلم السِّيَر أن بني حام تنازعوا مع بني سام، فانهزم بنو حام، وخرج إلى المغرب هو وبنوه، وتناسلوا فيه، فاتصل بنوه من أرض مصر إلى آخر المغرب إلى مجاورة السودان، وكان بسواحل المغرب الأقصى الإفرنج والأفارقة، فكانت ذرية حام في المداشر والخيام والأعاجم الأول في البلدان، وبقي أكثر أولاد حام في بلاد فلسطين من أرض الشام إلى زمن «داوود» عليه السلام، وهو أول نبي أتاه الله الملك وعلّمه مما يشاء، وكان فيهم ملوك الخلافة، كلُّ ملك يسمونه جالوت، كما سميت الفرس ملوكهم الأكاسرة والروم القياصرة والعرب الأقيال وحمير، فلما قتل «داوود» جالوت أمر بخروجهم من بلاد كنعان بفلسطين، وأمر بجلائهم إلى جزيرة المغرب، فساروا نحو أفريقيا ونحو الزاب حتى ضاقت بهم تلك البلاد، وامتلأت بهم الجبال والكهوف والرمال، وصاروا يتبعون القطر بالإبل وبيوت الشعر، ولم يقدر الإفرنج على ردهم

ولا دفعهم، فانحازت للمدن، وبقيت البربر فيما عدا المدن، وهم مع ذلك على أذكار مختلفة، يعبد كلُّ واحدٍ منهم ما شاء من الأديان الفاسدة، فمنهم من تنصَّر، ومنهم من تهود، ومنهم من تمجس إلى زمن الإسلام، ومعهم رؤساء وملوك وكهان، ولهم حروب وملاحم عظام مع من قارعهم»(75).

وكذلك وردَ في «كتاب الأنساب» لابن عبد البر أنهم بالفعل من ذُريَّة حام، ولكن قال إن جدهم اسمه «قبط بن حام» ويقصد بذلك أنهم من نفس بطن المصريين القدماء(74) في تشابُه تام لما ورد في التوراة فيما سبق ذكره.

أصحاب التصور اليافثي

هذا رأي ثالث، يرى أن الأمازيغ جاءوا من بلاد الهند، واستقروا في أوروبا وهم من الشعوب الهندو أوروبية التي خرجت من نسل يافث بن نوح، واستدلوا بلون بشرة الغالبية وشعرهم الأشقر، وقالوا إنهم في عصور متقدمة هاجروا من الهند حيث موطنهم الأصلي، وَانطلقوا عبر أراضي الفُرس، ومنها إلى القوقاز، واجتازوا شمال أوروبا، من فينلاندا إلى إسكنديناڤيا، ثم بريطانيا حتى وصلوا إلى إسبانيا... ومن دلائل هذه النظرية عند متخذوها، الآثار الأمازيغية الموجودة كمعالم الحجارة الكبرى من المصاطب (أو الدولمين)، والمسلات (أو المنهيد)، والمستديرات (أو الخرومليكس) والمبنية على طول خط السير هذا، وكذلك يستدلون بتشابه أسماء قبائل «الكيماريين» بفينلاندا والسويد، و«بني عمارة» في المغرب، و«خميس» بتونس، وكذلك استدلوا بالحرف الروني المنقوش على المعالم الميغالينية، الذي يشبه الخط اللوبي المنقوش على الصخور في منطقة شمال أفريقيا(73)، وهذه الاستدلالات قد سبقت الحروب الفندالية التي غزت بلاد البربر حتى لا تختلط الأمور، أو يعتقد البعض أنها وصلت ثقافيًا لبلاد شمال أفريقيا بسبب هذه الحروب.

أصحاب تصور الأصل المزدوج للأمازيغ

هناك باحثون آخرون يؤمنون بالأصل المزدوج للبربر، وأنهم يجمعون بين السلالتين: السلالة السامية والسلالة اليافثية، فعلى حد قولهم أن الأمازيغ الأوائل السامين هاجروا من بلاد العرب، وكذلك الأمازيغ الأوائل اليافثين هاجروا هُم أيضًا من الهند مرورًا بأوروبا كما ذكرنا، ثم التقت السلالتان واندمجتا وتعايشتا سويًا في المغرب؛ واستشهدوا بملامح وجه البربريين ولون الشعر والعين وحجم الجمجمة وخلافه.

كل الأبحاث التي درست هذا الأمر تنفي ما ورد في - جدول الأمم التوراتي - الذي قال بأن البربر أبوهم فوت أو بوت، ولا وجود له في أبحاثنا العربية، لكنه موجود فقط في كتب

المؤرخين الذين نقلوا عن التوراة، ولكن اختلفت كل هذه الأبحاث في مضمونها، والتي شرحت لنا أن بدايتهم كانت من فلسطين أو ربما شبه جزيرة العرب، أو اليمن، أو الشام، أو فارس، أو بعض بلدان آسيا، أو مصر، أو اليونان، أو أوروبا، أو أفريقيا، أو أن موطنهم هو تامازغا، وهناك آراء أخرى تقول بأنهم هم كل ذلك، وهم الأقوام التي هاجرت وتعايشت في كل هذه المناطق، واختلطوا مع كل هذه الأعراق والسلالات.

ويرى - الغالبية - أن فكرة انحدارهم من أصل سامٍ ربما تكون إلى حد ما أقرب للصواب، وذلك لأن معظم السجلات وليست كلها قالت بأن نقطة انطلاقهم كانت من بلاد العرب، ولكن ما يدل على الاختلاط العرقي فيما بعد ملامحهم المتنوعة، فمنهم من هو أشقر كالأوروبيين، ومنهم من هو أسود البشرة كالحاميين، ومنهم من هو مشرقي الملامح كالساميين، ولا فرق، فكلهم ثقافتهم وعاداتهم واحدة وكلهم من حسب ونسب واحد، ومن الواضح أنهم وقعوا في ظُلمِ بعض الأقلام التي اخترعت لهم أصول غير حقيقية، ربما يكون الداعي هو غرضٌ سياسيٌ، أو ربما كحجة للاستطيان، أو تشويه خلقتهم، أو حتى نزعهم عن أصولهم، كذلك يوجد في ذِكرِهم في بعض كتب التاريخ بعضًا من الإدخالات التي لا تصح، فتارةً تجد أحاديثَ منسوبةً لرسول الإسلام -صلَى الله عليه وسلم-، تذمهم وتنقص من قدرهم وهي غير صحيحة وموضوعة، وتارةً أخرى تجد أحاديث منسوبة لرسول الله تُمجدهم وتُعلي من شأنهم وهي كذلك موضوعة، وفي الحقيقة هم كسائر المسلمين ولا فرق.

* * *

الخط الرابع

ذرية كنعان بن حام

وفقًا لجدول الأمم، هو الابن الرابع لـ «حام بن نوح»(72)، ووفقًا لمعلقي التوراة، ستجد كنعان هو الأب الأكبر لقبائل الكنعانيين التي تخبط المؤرخين في نسبهم ونسلهم - وبحسب التوراة - ذرية كنعان بن حام هي التي استوطنت أراضي كنعان التاريخية القديمة، والتي تبدأ حدودها من مدينة صيدا بلبنان، وحماة بسوريا، إلى غزة الحالية ناحية الجنوب الغربي، وممتدة ناحية الجنوب الشرقي لتشمل الأجزاء الغربية من الأردن - وبحسب التوراة - أنجب كنعان أحد عشر من الأبناء، كانوا رؤساء قبائل، قطنوا هذه الأماكن(71) وهم على حدّ ذِكرهم:



ذرية كنعان بحسب التوراة ومن تناقل عنها

ذكر أبناء كنعان

ذرية صيدون بن كنعان (أبو مدينة صيدا)

قال - المعلقون - إن من ذرية كنعان خرج «صيدون» مؤسس مدينة صيدا القديمة بلبنان حاليًا، والتي تعتبر إحدى أقدم مدن العالم، والتي تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط شمال مدينة «صور»، ويقول - العبرانيون - بأن خلَف صيدون أقاموا حضارتهم عليها وملكوها بقوة وبأس، وهم ما يُطلَق عليهم «الصيدونيون»، وقالوا هم أصل الفينيقيين.

ولكن - تاريخيًا - «فينيقيا» كانت حضارة سامية قديمة، ولم تكن أصولها حامية على الإطلاق، فقد نشأت في شرق البحر الأبيض المتوسط وغرب الهلال الخصيب قبل ٢٥٠٠ عام قبل الميلاد، حتى تضخمت وتوسعت ووصلت للمدى البعيد هناك في غرب البحر المتوسط.

ذرية حيث بن كنعان (أبو الحيثيون)

كذلك قال - معلقو التوراة - إن «حيث» ربما يكون هو نفسه «حث» بطريرك الإمبراطورية الحثية القديمة، وعلى حد رأيهم قد انتشر نسلُه وعمَّر أبناؤه أجزاء من آسيا الصغرى وشمال بلاد الشام، وهم ما يُطلق عليهم تاريخيًا «الحيثيون»، وتجدهم أبناء حيث في التوراة الذي هو ابن كنعان، كما يوضح سفر التكوين(70)، لكن في موضع آخر في سفر الخروج، تراهم يُعدون كشعب مثله مثل الكنعانيين لا منهم! وأنهم من البلاد التي كانت تدر لبنًا وعسلًا(69).

و- تاريخيًا - الحيثيون هم شعب من الشعوب الهندو أوروبية، وليست الشعوب الحامية، وقد سكنوا بهذه المناطق في نفس الوقت الذي سكن فيه جيرانهم السومرين في بلاد الرافدين، والحيثيون من قبائل الأناضول الهندو أوروبية التي تعرف باسم «ختي»، وبعد مراجعة المصادر المصرية والبابلية والآشورية ستجد ذِكر هؤلاء الأناس على هذا الوضع، فهم من حكموا إمبراطورية «كبادوكيا»، واستطاع ملكهم «مرشلش الأول» التجرأ والإقدام على نهب مدينة بابل القوية، فتغلب بذلك على أسرة «حمورابي»، حتى أصبح الحيثيون هم مركز القوة الأوحد في آسيا، وفي عام ١٢٩٠ ق.م سحق الحيثيون الميتانيون وأسقطوا دولتهم، حتى أصبحت القوة الوحيدة في آسيا وأفريقيا تتلخص في الحيثيين والمصريين، حتى اشتبك الفريقان في «معركة قادش» حيث أبلى «رمسيس الثاني» بلاءًا حسنًا، وأجبرهم على توقيع اتفاقية صُلح بين الطرفين، وتوطدت العلاقات وتزوج رمسيس منهم، وأخيرًا سقطت إمبراطوريتهم في سنة ٧١٧ ق.م، على يد «سرجون الثاني».

ذرية يبوسي بن كنعان (أبو سكان القدس الأصليين)

كذلك ذكر - معلقو التوراة - أن «يبوسي» من ذُرية كنعان بن حام(68)، وهو الذي اتجه هو وذريته نحو جنوب الشام فعمره على حد تفسيراتهم، وأسس أبناؤه مدينة القدس، وأسموها في بادئ الأمر باسم «شاليم» وهو اسم إلهٍ عبدوه من دون الله، وبعد ذلك استقر اليبوسيون في المنطقة لقرون حتى وصل إليهم بنو إسرائيل يقال في حوالي عام ١٢٠٠ قبل الميلاد، بقيادة الملك «داوود» نبي الله عليه السلام، والذي طردهم منها وأسس عليها مملكتهم، ثم تحرف اسم «يبوس» أو «شاليم»، إلى اسم «أورشاليم» والذي يعني مدينة السلام، وبعد ذلك تشتت اليبوسيون في بلاد الشام ولم يرد لهم أي ذكر في التاريخ بعد ذلك.

وبحسب - التوراة - اليبوسيون من الشعوب الكنعانية بحسب سفر التكوين(67)، لكن في موضع آخر في سفر الخروج، تراهم يُعدون كشعب مثله مثل الكنعانيين لا منهم! وأنهم من البلاد التي كانت تدر لبنًا وعسلًا في نفس الآية التي جمعت الحيثيون(66).

ذرية أموري بن كنعان (أبو الأموريون)

كذلك بحسب - التوراة - فـ«أموري» هو من ذرية كنعان بن حام(65)، وبحسب تفسيراتهم: قد تشتت نسله في بادية العرب، ثم تجمعوا وهاجروا على شكل موجات إلى حواضر بلاد الرافدين وبلاد الشام، ثم استقروا وأسسوا دولتهم في غرب بلاد الرافدين، وهم المعروفون تاريخيًا بـ «الأموريين» أو «العموريين»، وهم الأقوام الأشداء الذين هددوا أمن بلاد بابل، مما أجبر الملك «شوسين» ملك أور على إقامة سورًا دفاعيًا ليحمي البلاد من هجماتهم، والأموريون كانوا في نظر سكان بلاد ما بين النهرين أقوامًا بدوية غير مستقرة تتصف بخشونة الطبع، وقيل إن من سِماتهم أنهم كانوا يأكلون اللحم نيئًا، وكانوا لا يملكون بيوتًا ولا مقابر نسبةً لما جاء في وصفهم من أسطورة الإله «مارتو» رب الأموريين، والجدير بالذُكر أن الإخباريين قد عدّوا الأموريين من العماليق.

وبحسب - التوراة - الأموريون من الشعوب الكنعانية بحسب سفر التكوين(64)، لكن في موضع آخر في سفر الخروج، تراهم أيضًا يُعدُّون كشعب مثله مثل الكنعانيين لا منهم! وأنهم من البلاد التي كانت تدرُّ لبنًا وعسلًا في نفس الآية التي جمعت الحيثيين واليبوسيين!(63)

ذكر ذرية جرجاشي بن كنعان (أبو الجرجاشيون)

كذلك «الجرجاشي» هو شخصٌ ومن نسل كنعان بن حام نسبةً لجدول الأمم(62)، ولا سيما المقصود به أبو «الجرجاشيون»، وعلى حسب تفسيراتهم الجرجاشيون هم من سكان أرض

كنعان الأصليين، ولا يوجد لهم ذِكر غزير، لكن قالوا إنهم كانوا يسكنون غربي نهر الأردن، في الجبال التي تلتف حول مدينة القدس، وذكرت التوراة أنهم حاربوا العبرانيين بشدة، لكنهم لم يتمكنوا من الصمود ومن ثم هربوا إلى أفريقيا، وتركوا أراضيهم لبني إسرائيل.

ذكر ذرية حوي بن كنعان (أبو الحويون)

بحسب - التوراة - فإن «حوي» هو من أبناء كنعان بن نوح(61)، ونسبةً لتفسيراتهم: حوي أولاده من القبائل الأخرى التي قطنت ببلاد الشام قبل مجيء العبرانيين، وكان مركزهم مدينة «نابلس» و«جبعون» ثم انتشروا في شمال فلسطين حتى «جبل الشيخ»، ثم نزل فريقٌ منهم في شمال القدس وأسّسوا العديد من القرى.

و- تاريخيًا - لن تجد لهؤلاء أثرًا تاريخيًا إلا في التوراة، ومن خلال التوراة استند المؤرخون كتاباتهم، وتقول - التوراة - إن الحويون من الشعوب الكنعانية بحسب سفر التكوين(60)، لكن هم أيضًا في موضع آخر في سفر الخروج، تراهم يُعدون كشعب مثله مثل الكنعانيين لا منهم! وأنهم من البلاد التي كانت تدر لبنًا وعسلًا في نفس الآية التي جمعت الحيثيين واليوبسيين والأموريين!(59)

ذكر ذرية عرقي بن كنعان (أبو عرقة)

بحسب التوراة فإن «عرقي» هو أحد أبناء كنعان بن حام(58)، وقد اجتمع هو وذريته وعمروا أرض «عرقة» الحالية الموجودة بالقرب من «منيارة» الواقعة في المحافظة الشمالية للبنان «قضاء عكاز».

و - تاريخيًا - لا يوجد أي أثر لهؤلاء في السجلات التاريخية كما هو حال الحويين، لكن يقول العبرانيون إنها كانت مجرد قبيلة فينيقة.

ذكر ذرية سيني بن كنعان (أبو الفرزيون)

بحسب - التوراة - فإن «سيني» من أبناء كنعان(57)، وهو جد القبائل الكنعانية المسماة بـ «السينيون» وهم أنفسهم «الفرزيون» على حد تفسيراتهم، ولكن إن كان تفسيرهم هذا صحيحًا، وأن الفرزيين من الكنعانيين وجزء منهم، لماذا تم ذكرهم بجوار الكنعانيين في سفر التكوين وكأنهم قوم آخرون مثلهم في آية خاصة بهم هم والكنعانيون فقط!(56)، وكذلك في سفر الخروج تم ذكرهم بأنهم كانوا يقيمون في مناطق جبلية غنية بمواردها تدر لبنًا وعسلًا في عهد يشوع، أي في بداية الغزو الإسرائيلي، مثلهم مثل اليبوسيون والحويون

والأموريون، والحيثيون(55).

و - تاريخيًا - لا يوجد أي أثر لهؤلاء في السجلات التاريخية كما هو حال الحويون وغيرهم، إلا ما قد جاء عنهم في تلك الآيات التي سبقت.

ذكر ذرية أروادي بن كنعان (أبو الأرواديون)

نسبة - للتوراة - هو ابن من أبناء كنعان(54)، وبحسب التفسيرات هو أب «الأرواديون».

و- تاريخيًا - الأرواديون هم فقط السكان الأوائل لجزيرة «أرواد» السورية التي تقع على بُعد ٥ كم من «شاطئ طرطوس»، وهي جزيرة قديمة، كانت مملكة فينيقية مزدهرة، سيطرت على مناطق من سواحل سوريا الشمالية، وورد اسم أرواد أو أرادوس في رسائل تل العمارنة، وفي حوليات ملوك آشور، وفي مكتشفات الحضارة الفنيقية على البحر المتوسط.

ذكر ذرية الصماري بن كنعان (أبو الصماريون)

هو ابنٌ من أبناء كنعان بحسب التوراة(53)، وبحسب تفسيراتهم ربما يكون هو أب «الصماريون».

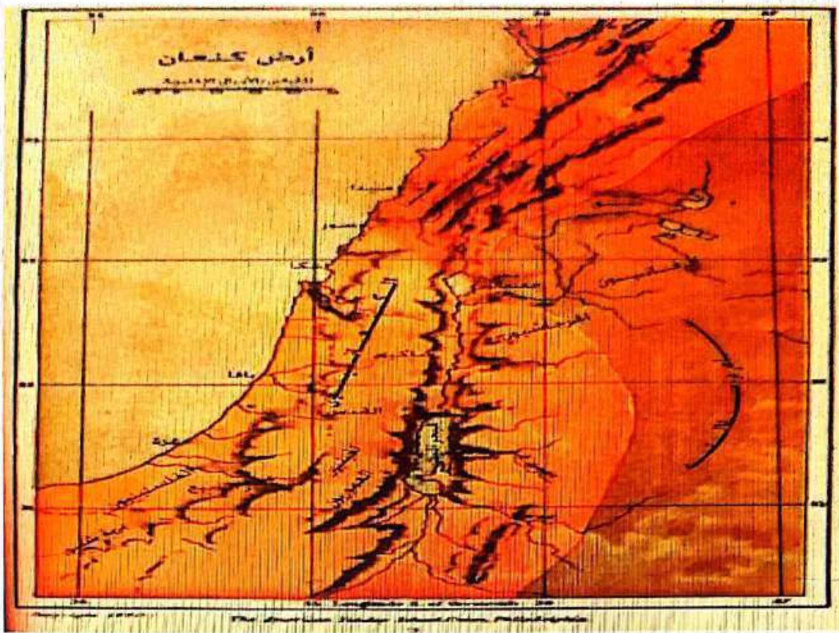
و - تاريخيًا - لا يوجد أي ذكر لهؤلاء في السجلات التاريخية، لكن يقول المعلقون إن الصماريين كانوا هم سكان صمرة الأوائل (حمرة الحالية) الواقعة جنوبي طرطوس بسوريا.

ذكر ذرية الحماتي بن كنعان (أبو الحماتيون)

هو ابنٌ من أبناء كنعان بحسب التوراة(52)، وبحسب تفسيراتهم هو أبو الحماتيون.

و - تاريخيًا - لا يوجد لهؤلاء أي ذكر في السجلات التاريخية، لكن يقول المعلقون إن الحماتيون كانوا قبيلة ملازمة للصماريين، يعيشون معًا في صمرة.

* * *



خريطة للموقع التاريخي للكنعانين ومناطق أبناء كنعان بحسب التوراة

طعن العديد من الدارسين المعاصرين في هذا التقسيم، وقالوا إنه يطغى عليه الوضع والتأويل، وربما تكون هذه الأسماء صحيحة، وأنهم الأقوام التي شكلت الحضارة الكنعانية وكذلك الفينيقة، وقد عدّهم كتبة التوراة على أنهم قبائل لأشخاص كما سبق على طول الخط.

وقالوا تكمن الإشكالية في محاولة طردهم من الجنس السامي ودخولهم في جنس حام الملعون بحسب زعمهم على يد بني إسرائيل حتى يُبرروا أجندتهم، التي قالوا إنها مخططة من أجل الترويج بأن أهل فلسطين الأصليين هم أشخاص ملعونون، وهناك جدل واسع ممتد لأكثر من ألف وخمسمائة سنة لم يتوقف حول هذه القصة، إذًا، هل الكنعانيون ساميون أم حاميون؟

الحيرة تاريخية حول نسب الكنعانيين

للأسف هذا الموضوع يحتاج إلى بحث خاص، ولكن سنذكره على عجالة، وسنوضح جميع وجهات النظر المتعلقة بهذا الجدل.

كثيرًا من المؤرخين يعتبرون أن الكنعانيين من العماليق الذين هم ساميّ الأصل، مُنكرون ما جاء في جدول الأمم الذي سبق، ومنهم من قال إنهم من نسل حام، ولكن اختلفوا في

التفاصيل.

ذهب العديد من العلماء إلى أن هؤلاء أصلهم من العرب العاربة، وقد قال الطبري عنهم: فـ «عمليق أبو العماليق، كلهم أمم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق وأهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام، وأهل مصر منهم، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون»(51)، وفي نفس هذا الانتساب قد وضعهم أيضًا ابن خلدون(50)، كذلك ذهب العديد من العلماء إلى أن كلًا من «النمرود» و«جالوت» كانوا من الكنعانيين، وفي ذلك قال «ابن تيمية» في الفتوى الحموية: «والنمرود هو: ملك الصابئة الكنعانيين المشركين»، وقد قصد بذلك أن النمرود ليس علمًا لشخص، بل هو لقب لمن ملك «الكلدانيين»، كلقب «كسرى» لمن ملك فارس، و«قيصر» لمن ملك الروم، كما ظهر في روايات سابقة في موضع سابق في هذا الكتاب(49)، وجالوت المذكور كان قائدًا للجيوش التي حاربت بني إسرائيل، وقيل إنه من العمالقة الكنعانيين، كان لا يقدر على مبارزته أحد، حتى تشجع نبي الله «داود» وبارزه وقتله.

ومن وجهة النظر - التاريخية - فإن الكنعانيين هم من الشعوب السامية، وليست الحامية، وحتى لغتهم هي لغة سامية، وهي اللغة الكنعانية السامية المشابهة للغة الساميين الشماليين الغربيين (العموريون)، وكذلك وجهة النظر التاريخية تفترض أن الكنعانيين عندما دخلوا فلسطين تحديدًا كان هناك عرب آخرون غير الكنعانيين، أقاموا بين (مصر، فلسطين، والحجاز)، ويقال إنهم هم الذين سحبوا «يوسف بن يعقوب» عليهما السلام من البئر الذي ألقاه فيه إخوته، وهناك آراء أخرى حاولت وضع فرضيات لأصول الكنعانيين منها رأي «سترابو» الذي قال إن الكنعانيين خرجوا من سواحل الخليج العربي، واستدل بأن هناك تشابهات في مسميات المناطق القديمة هنا وهناك، ومن خلال هذه الفرضية اقترح أنهم خليجيو الموطن وبعدها هاجروا لفلسطين، أي أن بلادهم الخليجية هي الأقدم، لكن دراسته طعن فيها العديد من الباحثين وقالوا إنها لم تتحرَّ الدقة، فمدينة «أريحا» الكنعانية هي أقدمُ مدينة في التاريخ، فهل بناها الكنعانيون قبل ظهورهم على الحياة بقرونٍ، وعلى صعيدٍ آخر إذا افترضنا أن الكنعانيين حاميون، متى تجمع الكنعانيون الحاميون وهاجروا ثم استقروا ثم أسسوا أقدم مدن التاريخ، وسبقوا كل الهجرات في وقتٍ قياسيٍّ.

ما سبب التنكيل بالجنس الحامي وما الغرض من ذلك؟(48)

رأى الكثيرون أن خروج الكنعانيين من الجنس السامي هو عملٌ ممنهجٌ وعنصريٌّ غرضه تبرير استيطان بني إسرائيل لأرض كنعان، ودخول الكنعانيين تحت لعنة حام التي يتبنونها، بحجة

أنهم من نسل كنعان بن حام الملعون كما يزعمون، واعتبارهم هم الذين دعا عليهم نوح بأن يكونوا عبيدًا لأبناء سام، لا سيما بنو إسرائيل الساميون على حسب ادعاءاتهم، ومن أهم المشككين في رواية التوراة العالم «بروك لمن» الذي قال: «إن المدونين العبرانيين قد تعمدوا إقصاء الكنعانيين من جدول أنساب سام، لأسباب سياسية ودينية، مع أنهم كانوا يعلمون حق العلم ما بينهم وبين الكنعانيين من صلات عنصرية ولغوية»، فما تمّ ذكره في الإصحاح العاشر من التكوين عن أن الفينيقين والسبئيين والكنعانين من ظهر حام ذوي البشرة السمراء يدل على خبر من خبرين لا ثالث لهم، إما أن يكونوا أقصوهم عن قصد للاعتبارات التي ذكرناها، وإما أنهم كانوا يسمعون ويتأثرون بما كانوا يرون أو يقال لهم دون تدقيق وتحقيق، وأن كتبة التوراة عدت هذه الشعوب من أبناء كوش لوجود جاليات فينيقية وسبئية في أفريقيا، والخبران أسوأ من بعضهما.

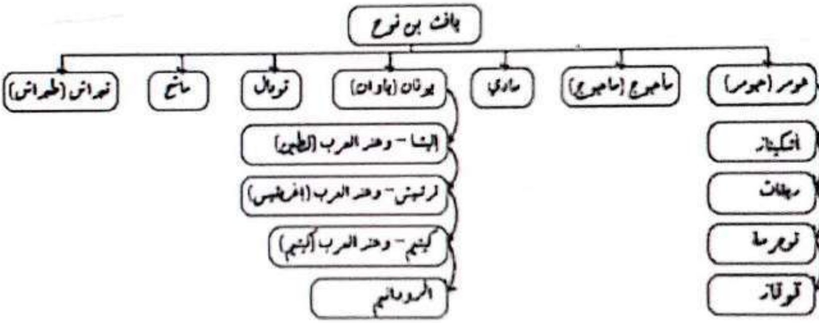
* * *

الفصل السادس

ذرية يافث بن نوح

أقر غالبية المؤرخين المسلمين بما تم تداوله في التوراة، بأن «يافث بن نوح»، كان له أبناء سبعة(47)، وهم: «جومر» (كومر، أو عومر، أو بكر)، وماجوج (ماغوغ، أو مأجوج)، ومادي (ماذاي)، وياوان (يونان أو يافان)، وتوبال (طوبال أو قطوبال)، وماشك (ماشخ)، وتيراس (تيراش، أو طيراش)، بإستثناء «ابن إسحق» الذي عدهم ستة وحذف «مادي»(46).

واتفق الجميع على أن «يافث» هو أبو القوميات والأجناس الأوروبية والهندوأوروبية، وقد انتشرت ذريته بعد الهجرة في المناطق الشمالية التي تلي البحر الأسود ثم توغلوا في أوروبا وأقصى الشرق الآسيوي بشكلٍ متفرق.

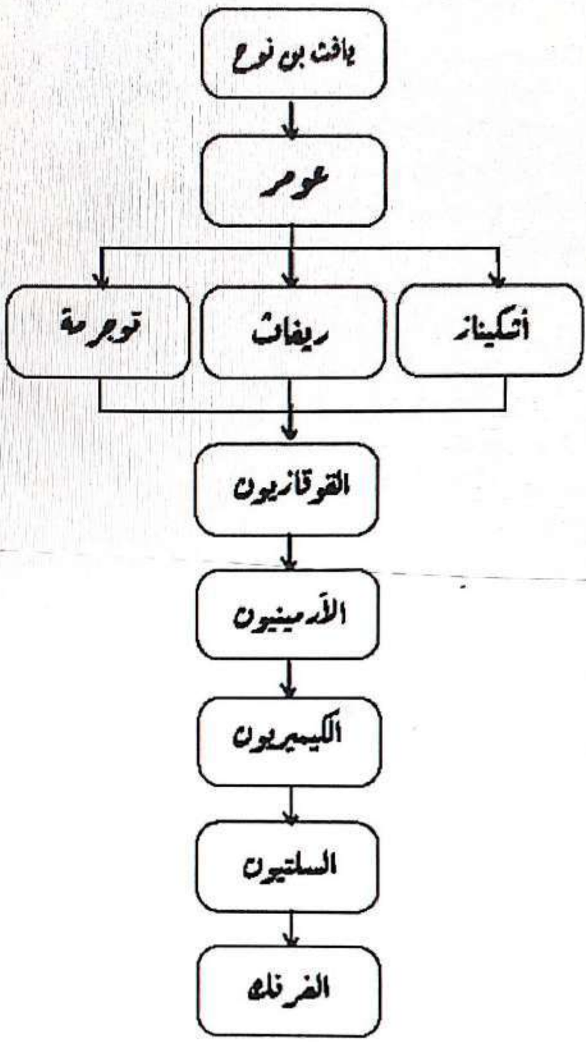


أبناء يافث في التوراة والإنجيل وماتناقله غالبية المؤرخين المسلمين

الخط الأول

ذرية عومر بن يافث

هو بكر، أو عومر، أو كومر، أو «جومر بن يافث بن نوح»، الابن الاكبر ليافث بحسب التوراة(45)، وكانت سلالة عومر هي الذرية الأكبر أثناء الهجرة من بابل إلى أراضي جدهم يافث، حيث خرج أولاد عومر الثلاثة: «أشكيناز» و«ريفات» و«توجروما»(44)وعشائرهم، من بلاد بابل قاصدين الأرض الجديدة، ويقول - معلقو التوراة - أن ذرية عومر هي أول المهاجرين من ذريات يافث، وقد شدوا رحالهم ناحية الأرض الجديدة في بلاد ما وراء البحر الأسود.



الشعوب التي قالوا انها خرجت من عومر بن يافث

وعومر هو أب للعديد والعديد من الأعراق والسلالات الأولى التي سكنت أوروبا، أو كما يقولون عنهم السكان الأوروبيين الأصليين، وحددت - التوراة - وتحديدًا «سفر حزيقال» نقطة بدء تجمع ذرية عومر من الرقعة الواقعة في الربع الشمالي(43)، وهي منطقة تركيا الحالية، ووصفها العهد الجديد باسم «غلاطية»، وسكان هذه المنطقة غرفوا فيما بعد باسم

«الجومرين» على حد وصف «فلافيوس»، ثم بعد ذلك هاجر هؤلاء الجومرين ناحية الغرب الأوروبي حتى وصلوا إلى ما نسميه حاليًا فرنسا وإسبانيا... وفي بادئ الأمر فرنسا كانت تسمى «بلاد الغال» لعدة قرون، انتسابًا إلى السلالة الغالية المنحدرة من نسل الجد عومر، وهي تلك القبائل «الكلتية» (الكلت أو القلط أو السلت) التي تتحدث اللغة الكلتية، والتي تعتبر فرعًا من اللغات الهندوأوروبية(42)، أما في شمال غرب إسبانيا هناك منطقة باسم غاليسيا (جليقية) موجودة حتى الآن وهي كذلك تنسب للغاليين.

وعلى حد قول - التفسيرات التوراتية - هاجر هؤلاء الجومرين الأوائل إلى مناطق شاسعة من أوروبا، حتى إنهم توغلوا ووصلوا لما يعرف الآن باسم «ويلز»، واستقر الكثير من المهاجرين في خط السير الممتد، بدايةً من «أرمينية» الحالية، فوُلدَ الآرمينيون وانتشروا، كما أن البعض من ذُرية الابن أشكيناز توغلوا ووصلوا لإعمار ألمانيا... وتشير التوراة إلى أن جومر أو عومر الأكبر هو جد «الكيميريين» وهم الأوائل الذين سكنوا ما يُعرف الآن بجنوب روسيا في ما وراء القوقاز.

ذكر أبناء عومر بن يافث

ذرية أشكيناز بن عومر (أول من دخلوا أوروبا)

بحسب - معلقي التوراة - هو «أشكيناز بن عومر بن يافث بن نوح» الابن الأكبر لعومر(41)، أقام أولاده بعد استقرارهم مملكة، وأسموها «مملكة أشكيناز» بآسيا الوسطى، ثم تمددوا وانتشروا وصولًا للأراضي السلافية شرق أوروبا، وقد تم ذِكر هذا الشعب في «سفر إرميا»(40).

كذلك يُعتقد أن من نسل أشكيناز خرج أبناء «سارمات»، وهي قبائل الـ «سارماتيون» وهم أصل مجموعة القبائل التي استوطنت أراضي فارس في العصور الكلاسيكية القديمة، والذين استوطنوا في الأجزاء الوسطى من السهوب الأوراسية(39)، وكذلك خرج من نسلهم العديد من القبائل والأعراق، وكان اليهود في القرون الوسطى يعتقدون أن أشكيناز هي ألمانيا، ولذا كانوا يدعون يهود شرقي أوروبا بـ «أشكنازيم».

ذرية ريفات بن عومر (المجهول)

هو ريفات، أو «ديفات بن عومر بن يافث بن نوح»، الشقيق الأصغر لأشكناز، والأخ الأكبر لتوجرمة وفقًا لجدول الأمم العبري(38)، وقد ظهر في «سفر أخبار الأيام الأول» باسم « ديفات».

هوية ريفات أو ديفات مجهولة وغير معروفة تمامًا، ولكن افترض المؤرخ اليهودي «فلافيوس» أن ريفات هو الجد الأول للريفائين، فيما يسمى الآن بمنطقة «بافلاغونيا»، وهو إقليم في شمال وسط الأناضول على ساحل البحر الأسود، يحده شرقًا إقليم البنطس، ومن الجنوب إقليم غالاطيا، ومن الغرب إقليم بيثينيا، ويعتبر شعب هذا الإقليم من أقدم شعوب الأناضول(37).

ذرية توجرمة بن عومر (أبو الأناضول)

هو توجرمة، أو توغرمة، أو «توغروما بن عومر بن يافث بن نوح»، أصغر أبناء عومر بحسب التوراة(36)، ويعتقد المؤرخون اليهود بأنه يمثل أيضًا بعض السكان الأصليين للأناضول.

انتشرت ذرية توجرمة وتوسعت في أماكن شتى، حتى وصلوا لغرب آسيا وروسيا، وخرج القوقازيون من نسل ابنه «قوقاز بن توجرمة بن عومر بن يافث بن نوح»، ويقول المؤرخون اليهود إنه بعد سقوط برج بابل وتقسيم البشرية إلى لغات مختلفة، استقر توجرمة مع أبنائه:

كارتلوس، وهايك (أبو الأرمينين)، وموفاكوس، وليكوس، وهيروس (أبو مملكة هيريتي)، وقفقاس، وإيغروس (أبو مملكة إيغريسي في جورجيا) بين وادي معزول بين جبلين من المستحيل الوصول إليهما، حيث يعتقد أنهما جبلي «البروز» (في روسيا)، و«ارارات» (في شرق الأناضول).

ذرية قوقاز بن توجرمة (أبو القوقاز)

انتشر بني توجرمة في أوروبا وآسيا الصغرى وزاد نسلهم، وخرج من ظهر قوقاز بن توجرمة أناس كثيرون، حيث كان نسله وفير، وتوزّع أبناؤه على أماكن شتى في كل أوروبا ومناطق آسيا الوسطى وجنوب آسيا، وكذلك شمال أفريقيا والقرن الافريقي، ويعتبر العرق القوقازي من الأعراق الرئيسية التي ولدت أعراق وأجناس عديدة، ويذكر أنه ببداية انتشار ذرية قوقاز، اتجهت سلالتهم في خطين متوازين، وانقسموا إلى قسمين وهما: قوقازيون شماليون وآخرون جنوبيون.(35)

- القوقازيون الشماليون:

وهم مقسّمون إلى

أولًا: قوقازيون شماليون غربيون:

الأبخاز (بما فيهم الأباظة) - الأديغة (بما فيهم القبرطيون والشركسيون المعاصرون) - الوبخ.

ثانيا: قوقازيون شماليون شرقيون:

آفار القوقاز- الأغول - الدراغوة - الخينالوغ - اللاكيون - الليزغيون - الناخيون - الباتيون - الكيستيون - الشيشانيون - الإنغوشيون - الروتوليون - الطبرستانيون - التساخوريون - الأوديون - الأرشيون.

- القوقازيون الجنوبيون:

الجورجيون - السفانيون - المنغريليون - اللازيون.

وتقول الإحصائيات إن أكبر مجموعة عرقية تعيش في بلاد القوقاز إلى الآن هم الجورجيون البالغ عددهم أربعة ملايين شخص، ثم يليهم الشيشانيون بما يقارب مليون ونصف.

أما خارج القوقاز فأكبر مجموعة عرقية قوقازية من ذُرية قوقاز هم الشركس، وهم مشتتون في أكثر من أربعين دولة منهم على سبيل المثال وليس الحصر: الأردن وتركيا ودول أوروبا

وسوريا والولايات المتحدة، ويبلغ تعدادهم أقل من أربع ملايين شخص(34).

ونفهم من ذلك أن جومر هو أب كل الشعوب والقبائل الكبيرة والمتعددة التي خرجت من (القوقازيين - الآرمنيين - الكيميريين - السلتون - الفرنك)، وقد وضحنا من هم القوقازيون، أما الأرمينيون فهم:

الآرمينيون

الآرمينيون الأوائل الذين تم ذكرهم، هم الذين أسسوا وطنهم الجديد في المرتفعات الأرمنية أو الهضبة الآرمنية، أي هم السكان الأصليون لتلك السلسلة المتواصلة من المرتفعات الواقعة شرقي الأناضول، والتي تبدأ من جورجيا بالشمال الغربي حتى شمال سوريا جنوبًا، وتبدأ شرقًا من الهضبة الإيرانية وغربًا بهضبة الأناضول، ولم يتوقف العمار على ذلك بل توغلوا الى شمال جبال القوقاز حتى الجزء الجنوبي من أوكرانيا حاليًا(33)، أما الآرمن الحاليون فغالبيتهم ينتمون للعِرق القوقازي الأبيض بعد إختلاط الأجناس.

الكيميريون

أما الكيميريون فقد وُلدوا في أماكن متفرقة من نفس هذه الرقعة، وكانوا قبائل بدوية إتسمت بالقوة والشدة والجَلد، إشتهرو بركوب الخيل وتطويع الرمح، والجبروت في الحرب، ثم بعد ذلك زادت قوتهم وكثر نسلهم، حتى بدأوا في إعمار أماكن جديدة، حتى أعلنوا سيطرتهم على آسيا الصغرى من الجهة الشمالية (تركيا الآن)، وهم مَن هاجموا الآشورين في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، ولكن تصدّى لهم «سرجون الثاني» وشتتهم في ناحية الأناضول، ثم بعد ذلك اتحدوا مجددًا وهزموا ليديا، فقاتلهم «ألياتس» ملك ليديا ودحرهم، حتى تزحزحوا واستقروا في «كبادوكيا»(32).

الكلتيون (السلتيون)

«السلتيون»، هم تلك المجموعات التي هاجرت وأسست مجتمعًا جديدًا بدايةً من شبه الجزيرة الأيبيرية وحتى تركيا، ولُقّبوا بشعب «الكلت»، ويقال إنهم سكان ويلز الأصليين، ومن الكلتيين نشأ أهل أيرلندا الاصليين، وهم تلك الأمة الكلتية العرقية التي ظهرت لأول مرة في جزيرة أيرلندا... وقديمًا كانت اللغة الكلتية هي اللغة المهيمنة على أوروبا، من أيرلندا حتى البرتغال وشمال إيطاليا وسلوفاكيا(31).

الفرنك

الجنس الفرنكي أو الفرنجة أو الفرنج أو الفرنسيس هم مجموعة قبائل جرمانية غربية، وهي

التي شكلت ما يعرف بـ «تحالف القبائل الجرمانية»، وكان هذا التحالف القوي يضم مجموعة قبائل قوية على رأسهم قبائل: «التشامافي»، و«اليوسيبيتس»، و«الأمبسيفاري»، و«السليان»، و«السيكامبري»، و«التشاتي» و«البروكتيري».

والفرنج هم السكان الأصليون للنفوذ الجرماني، أو الشعوب الجرمانية القومية الحالية، حيث كان نفوذهم يتمركز حول ألمانيا والمناطق الشمالية من بلاد الغال (حاليًا فرنسا وأجزاء من غرب ألمانيا) والتي أنشأوا فيها إمارة شبه مستقلة لأول مرة(30).

* * *

الخط الثاني

ذرية مأجوج بن يافث

هو مأجوج، أو ماغوغ، أو «ماجوج بن يافث بن نوح»، وهو ثاني أبناء يافث السبعة المذكورين في سفر التكوين(29)، وفي «سفر حزقيال ٣٨ و٣٩» تم ذِكر هذا الاسم أيضًا في وصف أهوال نهاية العالم، بحيث إتضح أن يأجوج شخص ومأجوج هي أرضه، ولم يرد ذكر من هو يأجوج، ولكن بعد عدة قرون غيرت التقاليد اليهودية عبارة «يأجوج من مأجوج» التي وردت في حزقيال إلى عبارة «يأجوج ومأجوج» التي ظهرت في سفر الرؤيا(28).

ذكر يأجوج ومأجوج

مع مرور الزمن تم تعريف يأجوج ومأجوج بأنهما جماعتان وليسا شخصين، كذلك ارتبط هذا الاسم بقصة يأجوج ومأجوج في الإسلام، ولكن لم يحدد - القرآن الكريم - أي شيء حول يأجوج ومأجوج من حيث نسبهم أو تعريفهم، هل هم أقوام أم أشخاص، من ناحية أخرى تجد قصصًا قد نُسجت حولهم في العصور المختلفة، منها القصة التي انتشرت في العهد الروماني، والتي قالت بأن «الإسكندر الاكبر» قد قام بإنشاء بوابات لصد هذه القبيلة، أما المؤرخ اليهودي الروماني «فلافيوس» فقال إنهم قبيلة تنحدر من ماجوج، واستنبط أنهم «السكوثيون»، وطوال فترة العصور الوسطى كان ينظر الناس لوحشية «الفايكنج» و«الهون» و«الخزر» و«المغول» فيظنون

أنهم أبناء السكوثيين، ويذكر في - القرآن - أن ذو القرنين هو من قيد يأجوج ومأجوج لحماية العالم من شرورهم.

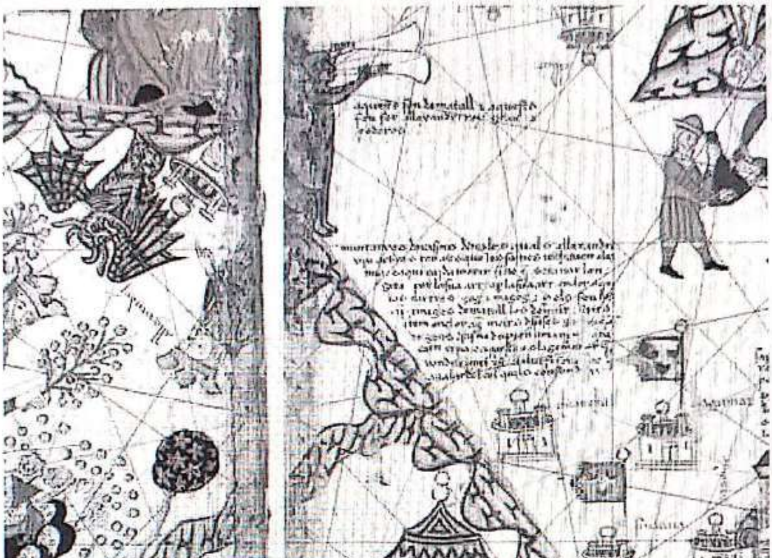
ذو القرنين

اعتقد الكثير بأن «ذو القرنين» المذكور في - القرآن - الذي حاصرهم وحبسهم هو الإسكندر الأكبر، حتى تعممت المعلومة التي لا يوجد لها دليل، وتم ذكر هذه الأسطورة في «رومانسيات الإسكندر»، حيث جاء في إحداها:

«جوث وماجوث» هم ملوك الأمم غير النظيفة، ويقودهم بعيدًا الإسكندر، ويمنعهم من الرجوع عن طريق جداره الحديد».

كذلك في - الأدب الرومانسي - تجد قصة يأجوج ومأجوج قد طغت عليه، حيث تم ذكرهم بأنهم «آكلو لحوم البشر»، كما تم تصويرهما على خرائط علم الكونيات في العصور الوسطى

بجانب جدار الإسكندر، ولكن يُعَدّ كل هذا من غزل الأساطير ولا يوجد دليل ملموس حول شخصية ذي القرنين المذكورة في القرآن.



لوحة باسم (أرض يأجوج ومأجوج) من منظور أن الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين - أطلس الكاتالان، باريس، المكتبة الوطنية.

ذرية ماجوج

وبعيدًا عن القصة التي لا نملك تأكيدها، واستكمالًا لذِكر نسل مأجوج، افترض «فلافيوس»

بأن مأجوج هو جد شعوب شمال البحر الأسود وهم «السكوثيون» كما ذكرنا، وكذلك افترض الحاخام «شلومو جانزفريد» بأن مأجوج هو أبو المغول الأول(27)، ورأى «جوهانس ماغنوس» أن مأجوج وذُريّته هاجروا من بابل وشقوا طريقهم عبر الأراضي الفنلندية حتى استقروا في النطاق الإسكندنافي بعد ٨٨ عامًا من الفيضان - على حدّ وصفه - وذكر أن كان لمأجوج خمسة أبناء وهم: «سوينو» وقال إنه جد سكان السويد الأصليين، و«غوغ» (جيثار) وقال إنه جد القوطيين، و«أوبو» وقال إنه جد الأوبيين الذين حكموا في وقت لاحق السويديين وبنوا أوبسالا القديمة، و«ثور»، و«جيرمن»(26).



الشعوب التي قالوا انها خرجت من نسل ماجوج بن يافث

وقد يُعتقد أن ماجوج هو الأب الأول لـ (السكوثيين - السلافيين - الترك - التتار - المغول - الآينو - الإنويت - الهنود الحمر - الصينيون - الأورواليك - الفيتلنديون).

السكوثيون (الإصقوث)

هم القبيلة التي شكوا بأن فيها يأجوج ومأجوج التي ستخرج في نهاية العالم بحسب - الديانات السماوية - والسكوثيون هم الشعوب البدوية التي أطلق عليها «الإصقوث»، والتي تنقلت وانتشرت وأسّست مملكة «سيثيا» أو سيكيثيا، وغزوا أرض السيريين في أوراسيا، ثم نزح السكوثيون من سهول أوراسيا إلى جنوب روسيا، حتى استقروا بغربي نهر الفولجا شمال البحر الأسود بشِبه جزيرة القرم.

كان السكوثيون أوَّلَ نسل مأجوج، يثيرون الخوف والذعر بين جيرانهم لخفة حركتهم ولبسالتهم في الحروب والمعارك، وكانوا فرسانًا مَهرَة، وهم أول من تفنن بركوب الخيل، وقد تمكنوا من إزاحة العديد من القبائل وتهجيرها، فهم الذين طردوا الكيميرين أبناء عومر من موطنهم إلى آسيا الصغرى، حتى اختفتوا من الساحة.

السلافيين

ينحدر من «مار بن مأجوج بن يافث» السلافيين، وعند القلقشندي «بازان بن مأجوج»(25)، وقال القلقشندي إنه ربما يكون السلافيون أولاد «بازان» وربما هم أولاد «أشكيناز بن توغرما»، ولكن لم يُعرف لتوغرما أو توجرمة ابنًا اسمه أشكيناز، فأشكيناز أخو توجرمة على

حد قول - العبرانين.

وأما السلافيون فهم أكبر مجموعة عرقية لغوية موجودة في أوروبا كلها، والسلافيون هم أنفسهم الصقالبة، وهم مقسّمون إلى - السلاف الشرقيين: وغالبيتهم من البيلاروسيين، والروس، والروسينين، والأوكرانيين - والقسم الثاني - هم السلاف الغربيون: وغالبيتهم التشيكيون، والكاشوبيون، والمورافيون، والبولنديون، والسيلانيون، والسلوفاك، والصوربيون - أما القسم الثالث فهو: السلاف الجنوبيون وغالبيتهم البوشناقيون، والبلغاريون، والكرواتيون، والمقدونيون، والغورانيون، والمونتينيغرون، والصرب والسلوفينيون(24).

الترك والتتر والمغول

وكذلك ينحدر من «ترك بن مأجوج بن يافث» شعوب الترك والتتار والمغول بحسب المؤرخين العرب(23)، وهم الصيادون وجامعو الثمار الذين سكنوا الأناضول لأول مرة خلال العصر الحجري، وهي تلك القبائل التي تكوّنت من أربع طوائف كبيرة تضم قرابة ست عشرة قبيلة وهم: أتراك بلاد تركمان شرق قزوين، وآسيا الوسطى، وأتراك أرمينيا، وكذلك الأوزبك، وكذلك البخاريون، وأتراك قرمان الذين قدموا من تركستان العثمانيين، وأتراك الأناضول وقسطنطينة من تركستان كذلك، وتتار القرم، والقفجاق (قازان)، وتترأوفا، والبلغار، والبشكير، والقيرغيز (أهل سيبيريا)، وكراسنارسك، والياقوت، السلاجقة، وغيرهم.

الآينو (أسلاف اليابان)

ويذكر أنه ينحدر من «مأجوج بن يافث» شعب الآينو، وشعب الآينو هم سكان اليابان الأصليين الذين سكنوا هذه الأرض قبل وفود أسلاف اليابانيين من البر الصيني، ويبلغ عدد الآينو الموجودين حاليًا حوالي ١٥٠ ألف نسمة، الأغلبية منهم في اليابان مع مجموعات بسيطة موجودة في روسيا.

الإنويت (الإسكيمو)

وكذلك ينحدر من «ماجوج بن يافث» شعب الإنويت، وهم شعب الإسكيمو، وهو تلك الشعب المعزول الذي يسكن في شمال الكرة الأرضية، ويُذكَر أن هؤلاء كانوا بسبب شدة انعزالهم يعتقدون أنهم الناس الوحيدون في العالم، وقد نجح شعب الإنويت في صدّ موجات غزو الحضارات الأخرى عبر تاريخهم، ولم يتصلوا بالحضارات ولاسيما حضارة الأوربيين، حتى القرن الثامن عشر الحديث(22).

الهنود الحمر

ويُذكر أنه انحدر من نسل «مأجوج بن يافث بن نوح» شعب الهنود الحمر، وهم السكان الأصليون للأمريكتين، أو الأمريكيون القدماء أو الأمريكيون الأصليون، وهم ليسوا هنودًا ولا من أسلاف الهنود، لكنهم سُمُّوا بالهنود الحمر، لأن «كريستوفر كولومبس» ظنَّ خطأ أنه وصل إلى جزر الهند الشرقية عندما اكتشف العالم الجديد، ثم سُمُّوا فيما بعد بالهنود الحمر تمييزًا عن الهنود الآسيويين(21).

الصينيون

كذلك ينحدر من نسل «صيني بن مأجوج بن يافث بن نوح» الصينيون، وقيلَ في بعض كتبنا العربية من «طوبال»(20)، والصينيون لهم قوميات عديدة وصلت إلى ٥٦ عرقية، أشهرهم: التشوانغ، والهوي، والكوريين، والمانشو، والأويغور، والمياو، والبي، والتوجيا، والتبتيين، والدونغ، والبويي، والياو، واللي، والكازاخ، والدونغشيانغ، والباروقيون، والقيرغيز، والسالار، والماونان، والطاجيك، وعرقيات أخرى.

الأوراليك

وكذلك خرج من نسل مأجوج «الأوراليك»، لعلَّ أشهرهم المجريون أو الهنغاريون، وهم أمة ومجموعة عِرقية أصلية ومقيمة في المجر وما نُسب إليها من أراضٍ تاريخية، اشترك سكانها القدماء في ثقافة وتاريخ ولغة مجرية مشتركة، وتكلم جميعهم باللغات الأورالية، واللغات الأورالية هي عائلة لغوية في أوروبا وسيبيريا، تتألف من فرعين رئيسيين للغات الفينية الأوغرية واللغات الساموديّة، وأصل الاسم جاء من اسم جبال أورال في روسيا.

الفينلنديون والإستونيون

وأيضًا قالوا إنه خرج من نسل مأجوج أصحاب العِرق الفيني والسامودي كما ذكرنا في النقطة السابقة، ومن أشهر المحافظين على هذين العرقان الفينلنديين والإستونيين، ويرتكز العِرق الفيني في فنلندا، وعدة بلدان متاخمة لفنلندا، وكلاهما من السكان الأصليين في هذه البلدان، ويشمل ذلك قومية الكفين، وفنلنديو الغابات في النرويج، والتورنيدليان في السويد، والفنلنديين الإنغانيين في روسيا.

وهنا انتهى ذكر أبناء ماجوج الذين عُرفوا بسمعتهم المتداولة في كتب التاريخ، بأن منهم بعض الأمم التي اتسمت بالوحشية، ومنها من وصف هذه الأمم بآكلي لحوم البشر، وقيل إن امتداد ذُريتهم أخرج للعالم في العصور الوسطى (الفايكنج والهون والخزر والمغول الذين اتسموا بالشدة والتوحش).

وجديرًا بالذكر أن التوراة لم تذكر أي اسم لأبناء لماجوج، وهؤلاء الأبناء أتيت بهم من كتب النسابين العرب، فالتوراة لم تذكر غير أبناء جومر وياوان فقط.

* * *

الخط الثالث

ذرية ماداي بن يافث

هو مادي، أو ماذاي، أو «ماداي بن يافث بن نوح»، هو الابن الثالث ليافث(19)، ويُعتقد أنه هو سلف غالبية الشعوب الهندوأوروبية الذين تحدّثوا اللغات الهندو إيرانية البدائية القديمة، هؤلاء الأبناء الذين اتسعت هجرتهم إلى الهند شرقًا، وأوروبا غربًا.

ذرية ماداي

من ذريته بعض القبائل الأولى للإيرانيين والفرس مثله مثل عيلام بن سام في شراكة الأصل، حيث يعتقد - «فلافيوس» - أنه أبو «الميديين» أسلاف بعض الفُرس والإيرانيين، وبحسب - معلّقي التوراة - وخصوصًا كتاب اليوبيلات، فإن ماداي قد تزوج من ذرية عمه سام، وكان يحب أبناء سام ويُفضل العيش بينهم، ورفض الهجرة إلى ميراث أبيه وراء البحر الأسود، وبعدما تقرب من أبناء عمهّ سام أخذ موافقتهم للعيش بجانبهم في هذا المكان الذي سُمي ميديا على اسمه، والميديين كانوا دائمًا يُذكرون جنبًا إلى جنب مع الفُرس، ويذكر «سفر دانيال» أنهم أصبحوا مملكة واحدة وذات قانون واحد، وبعد دمجهم تم تسميتهم بالفرس(18)، ثم مؤخرًا مع مرور عام ١٩٣٥ م أصبحت اسم بلادهم إيران، ويذكر أن الميديين أيضًا قد دخلوا الهند واستقروا فيها، ولهم أنساب هناك.

أعراق من ذرية ماداي

الأجناس الهندو أوروبية

وهي تلك الشعوب التي تكلمت باللغة الهندية الإيرانية البدائية، أو كما يُطلَق عليهم الهنود الأوروبيون البدائيون، الذين عاشوا في منطقة سهول الغابات الواقعة شمال الطرف الغربي من سهول بحر قزوين في شرق أوروبا، وفي أواخر الألفية الثالثة قبل الميلاد وصلت فروع الهنود الأوربيين البدائيين إلى الأناضول وبحر إيجة، وغرب أوروبا ووسط آسيا، وسيبيريا الجنوبية.

وصل نفوذ هذه الشعوب إلى ما لم يصل إليه من كانوا في زمانهم، فالشعوب التي تكلمت الهندية الإيرانية القديمة توسعت ووصلت إلى حدود البنغال وسيبيريا الشرقية في أقصى الشرق، وحتى نيوزيلندا وأستراليا جنوبًا، وشواطئ المحيط الهادئ في الأمريكيتيين غربًا، وأيضًا في أفريقيا الجنوبية، وإن كان المتكلمون بها أقلية ضئيلة من السكان هناك، وقد أطلقت عدة تسميات على عائلتهم اللغوية الواسعة، وسبب تسميتها بـ «اللغات الهندو أوروبية» الكناية عن الشمول والاتساع، حيث جمع اللفظ الهند بأوروبا بالرغم أن بينهما آلاف الأميال، وهذا يدل على اتساع هجرات الشعوب المتحدثة بالهندوأوروبية، إلى أبعد الأقاليم التي استوطنتها في الهند يمينًا وأوروبا شمالًا(17)، وخرج من هذه الفروع أعراقٌ عديدة، ولعلّ من أبرزهم «العِرق الآري».

الآريون

سبب أهمية العِرق الآري أنه هو مبتدع اللغة الأم، والأساس للغات الهندوأوروبية... وكلمة الجنس الآري قد افتتن بها «هتلر» في ثلاثينيات القرن الماضي والذي افتخر بأصوله الآرية.

تواجد الآريون القدماء في أماكن شتى، كألمانيا وأستراليا وبعضًا من أراضي القوقاز، وآسيا الوسطى وأوروبا، وأمريكا اللاتينية وأمريكا الشمالية، وسيبيريا وجنوب آسيا، وجنوب أفريقيا وغرب آسيا، كما يعتبر الأكراد والطاجيك والطاليون المقيمون بآسيا أنفسهم من الجنس الآري، وغيرهم الكثير.

والآريون بشكلٍ عامٍ هم من أسلاف «إريان»، وهو شعب «زجفادا» بالهند، استولى على إيران من الشمال الغربي للهند، وبسببه تدهورت حضارة السند، وكانت لغته صورة أولية من السنسكريتية ويُطلَق عليها الآرية، وهي أساس اللغات الهندية الأوروبية، لأن الشعب الآري كان يسكن المناطق الممتدة من آسيا الوسطى حتى شرق أوروبا، ثم ضموا الهند لأراضيهم

لاحقًا، والآريون بشرٌ قد تميزوا باللون الأبيض، وقد عُرفوا بالتوريكيين أو التيتوتيكيين.

عاش أبناء مادي في أماكن شتى ومتعددة، حتى تزاحموا وقاتل بعضهم بعضًا، ولعل أشهر المعتدين والمتطاولين من بين هؤلاء الأبناء هم «الحوريون».

الحورويون -

من نَسل ماداي، وهم مجموعات بشرية عاشوا في الموقع الممتد من شمال الهلال الخصيب حتى بحيرة فان في شرق الأناضول.. قاموا بغزوات باتجاه الجنوب في عمق الهلال الخصيب، وتوغلوا غربًا في عمق الأناضول، وقد تحكم الحوريون في الأماكن المجاورة لهم حتى إنهم تمكّنوا من دحر بعض من ذرية عمهم «سام»، حيث تمكّن الحوريون من قهر بلاد آشور والقضاء على حكم «شمسي أدد الأول» و«شمسي داكان الأول»، وأسّسوا عددًا من الإمارات في أجزاء من آسيا الصغرى دون أن ينظموا مملكة موحدة، ثم أسّسوا بعد ذلك مملكة «ميتاني»، التي امتدت من كركميش من الفرات إلى جوار نهر دجلة الأعلى، وضمت إقليم أرانجا شرقي دجلة. -

* * *

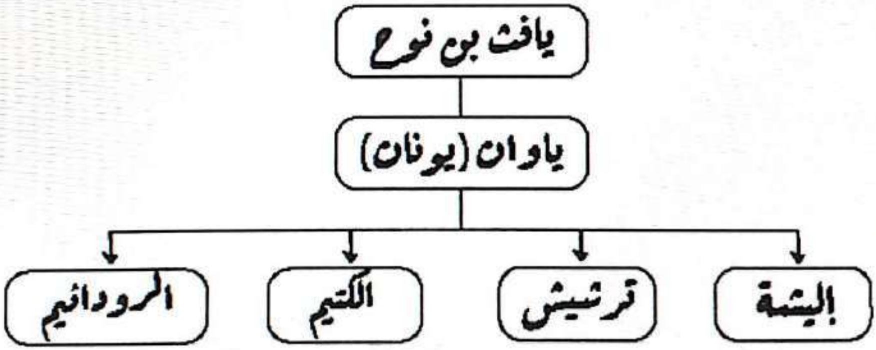
الخط الرابع

ذرية ياوان بن يافث

ياوان، أو يافان، أو يونان، هو الابن الرابع لـ «يافث بن نوح» وفقًا لسفر التكوين(16)، وقد أكد - «فلافيوس» - بأن الاعتقاد التقليدي السائد الذي يجعل «ياوان» جد اليونان لا جدال فيه، وهو اعتقادٌ اتفق عليه غالبية المؤرخين العرب، وعليه ما زال هذا الاعتقاد قائمًا حتى الآن.

ذكر أبناء ياوان

أبناء ياوان بحسب سفر التكوين كانوا أربعة وهم: «إليشة»، و«ترشيش»، و«الكتيم»، و«الرودانيم»(15)، وربط - مفسرو التوراة - بينهم وبين المدن اليونانية، حيث قالوا إن أبناءهم هم الأمم التي سكنت شمال شرق البحر الأبيض المتوسط والأناضول، وبحسب تفسيرهم: «إليشا» هي قبرص الحديثة، و«ترشيش» هي نفسها طرسوس الموجودة في سيليسيا، و«كيتيم» أيضًا سكنوا في قبرص الحديثة، و«دودانيم» كانوا أهل جزيرة رودس غرب تركيا(14).



أبناء يونان بحسب التوراة.

بينما في - التأريخ العربي - تجد يونان له من الأبناء ثلاثة، وقد قسموا اليونانيين لثلاث أمم نسبةً لهم وهم(13):

- «لطين بن يونان»، وعند العرب هو أبو اليونانيون الليطيون.

- «أغريقيس بن يونان»، وعند العرب هو أبو اليونانيين الإغريق.

- «كيتم بن يونان»، وعند العرب هو أبو اليونانيين الكيتميون.

ولا ذِكر لذلك في التوراة، ونقل ابن خلدون عن «هروشيوش» أنه قسّم بني اليونان إلى خمسة أمم وهم ذرية «كيتم» و«حجيلة» و«ترشوش» و«دودانم» و«ايشاى»(12)، وهو تحريف لنفس الأسماء الأربعة المذكورين في التوراة، ولكن مُضاف عليهم الابن الخامس «ايشاي»

واليونانيون غالبًا ما كان يُطلق عليهم «الهيلينيون»، وهي أمة ومجموعة عرقية كانت قد انتشرت في حدود اليونان وقبرص وجنوب ألبانيا وإيطاليا وتركيا ومصر، ومنهم نسبة بسيطة تواجدت فيما بعد ببلدان أخرى تحيط بالبحر الأبيض المتوسط، وهم شعب مشتّت منذ قديم الأزل، ولكن شتاتهم كان مهمًا تاريخيًا، وهو السبب في تأسيس مجتمعات يونانية حول العالم، فرضت ثقافتها وعلومها وأبقتها أبد الدهر.

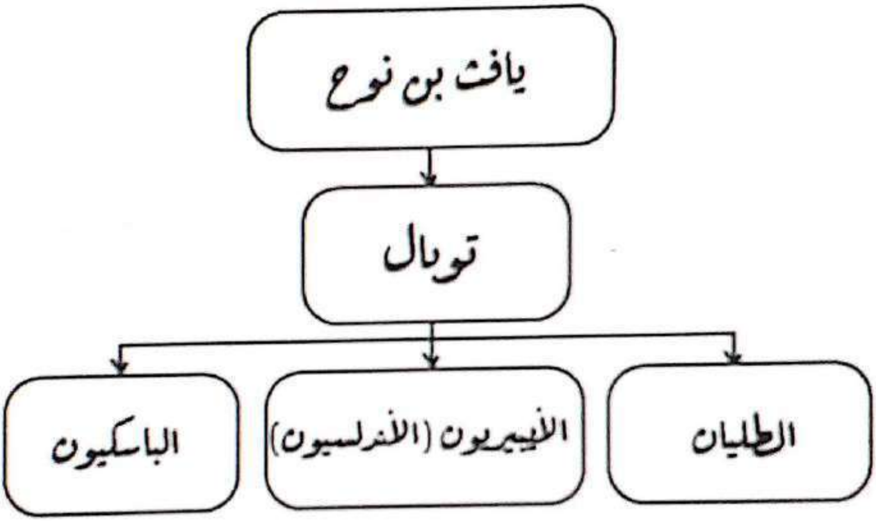
واتفق - العرب - أن الروم قد خرجوا من نسل ولد يافان المذكور في التوراة باسم «كيتم»، حيث نسبوا الروم إلى حفيده: «رومي بن لبطي بن كيتم بن يافان»(11)، وقال ابن خلدون إن الإسكندر الأكبر من الروم(10)، وهم أقوام سكنوا في قلب أوروبا وموطنهم «مقدونيا»، وقد تطوّر اسمهم عند العرب بعد ذلك إلى «بنو الأصفر» بسبب شقرتهم، لأن بشرتهم اشتهر عنها الإفراط والميل للون الأصفر، والروم في الأصل كانوا جنسًا وحيدًا وقليلًا، لكن على مَر الزمان أطلق العرب عليهم وعلى من اتبعهم أو عاونهم أو خالطهم نفس الاسم، ففي بادئ الأمر كان الروم أمة صغيرة، لكنهم كبروا وتشعبوا، بعدما اختلطوا بإخوتهم من باقي بطون اليونان، وأولاد عمومهم كالصقالبة والرومانيين، حتى اشتد قوام هذه الأمة وتفرعت وأصبحت من الأمم صاحبة الثِقَل - بحسب التأريخ العربي.

* * *

الخط الخامس

ذرية توبال بن يافث

هو تيبال، أو توبال، أو قطوبال، أو «طوبال بن يافث بن نوح»، وهو الابن الخامس بحسب التوراة(9)، وهو الملقب بأبي الطليان، والتوباليون (الأندلسيون) نسبةً - لمؤرخي الغرب - وكذلك - مؤرخي العرب - أمثال بن خلدون(8).



الشعوب التي قالوا انها خرجت من نسل توبال

أعراق من ذرية توبال

الطليان

الطليان هي أمة من عرقيات جنوب أوروبا الناطقة باللغات الرومانسية، وهم القبائل الأولى التي هاجرتْ من أوراسيا وشرق أوروبا في العصر الحجري الحديث إلى شبه الجزيرة الإيطالية، وهذه القبائل هي: اللاتينوفاليسيون، والأوسكويومبيريون، والفينيتي، والليغوريون، وجميعهم اندمجوا بعد ذلك في قومية واحدة وجعلوا مركزها روما، جنبًا إلى جنب مع الأتروسكان في وسط إيطاليا، وهذه القبائل هم الأجداد الأوائل لغالبية الإيطاليين(7).

التوباليون (الأندلسيون)

أما التوباليون أو الأيبيريون، أو الأندلسيون، هم القبائل التي استوطنت في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا، وعلى السواحل الشرقية والجنوبية لشبه الجزيرة الإيبيرية، والتي شملت إسبانيا والبرتغال وأندورا ومنطقة جبل طارق، والتي أطلق عليها - المؤرخون العرب - «بلاد الأندلس»(6)

الباسكيون

كذلك انحدر من «طوبال بن يافث بن نوح» الباسكيون، وهم قبائل عاشت جنبًا إلى جنب مع التوباليون، وشعب الباسك من الشعوب الأصليين الذين تمركزوا في منطقة تاريخية كانت موجودة حول الطرف الغربي من جبال البرانس، ما بين فرنسا وإسبانيا، على ساحل خليج غاسكونيا (يقع مقابل الشواطئ الأوروبية شمال شرق المحيط الأطلسي وبالتحديد مقابل البرين الجنوبي الغربي الفرنسي) وتمتد على أجزاء من شمال وسط إسبانيا وجنوب غرب فرنسا.

* * *

الخط السادس

ذرية ماشح بن يافث

هو ماشح، أو «ماشك بن يافث بن نوح» الابن السادس ليافث بحسب التوراة(5)، ولا يوجد لذكره غزارة في كتب الأنساب، ولا حتى كتب التوراتيين، ولكن ربط - معلقو التوراة - بين اسم موسكو القديم وهو «ميشيرا» حيث كانت تُسمى بذلك قديمًا، وبين اسم ماشك، وقالوا إن مؤسسي الحياة على أرض موسكو ومن حولها هم من ظهر ماشك، ولكن لم يقصدوا بذلك أنه أب لكل الروس السلاف الحاليين، لكنهم وصفوه بأنه أب السكان الأصليين لمنطقة «ميشيرا» القديمة فقط (معناها الأرض المنخفضة، ويقصد بها موسكو وما حولها)، وقالوا إن ذريته كانوا هم السكان الأصليين لموسكو من قديم الأزل، أي قبل أن تسيطر عليها القبائل السلافية الذين أسّسوا المدينة في بداية القرن العاشر الميلادي، وقالوا إن هجرتهم قد بدأت من الأراضي التي كانوا يقطنونها بقرب ينابيع الفرات ودجلة بعد هجرة بابل، نسبةً لما جاء في سفر المزامير(4)، حتى انتهى بهم المطاف إلى جوار البحر الأسود، وبحر قزوين، والاستقرار في الموقع القديم لموسكو الحالية، ولا يوجد لذلك تأكيد تاريخي على أي حال.

* * *

الخط السابع

ذرية طبراش بن يافث

هو تيبراش، أو تيراس، أو «طبراش بن يافث»، وهو الابن السابع من أبناء يافث وفقًا للتوراة، وهو أيضًا لا يوجد لذكره غزارة في كتب الأنساب، ولكن بحسب «فلافيوس» فإن تيراس هو أب التيراسيون، ويذكر أن ذرية طبراش أو تيراس كانت قد أسست أوّل وطن لها بعد الهجرة وأطلقت عليه اسم «تراسيا» تيمنًا بأبيهم، وكانت تمتد تيراسيا من مقدونيا من الجنوب إلى نهر الدانوب في الشمال، وصولًا إلى البحر الأسود على الجانب الشرقي، وربما يكون المقصود من هذا الوصف منطقة «يوغوسلافيا الحالية»، وتلك المنطقة كانت معروفة تاريخية بالحروب، وكان إله تيراسيا هو الإله «تيراس» إله الرعد، وفي ذلك وضوح ظاهر لانتساب اسم إلههم لأبيهم.

بينما نجد بعض النسّابين العرب ينسبون الترك الذين سبق ذكرهم في ذرية ماجوج إلى ذرية «طبراش» هذا، ولكنهم قلة قليلة وليس على ذلك إجماع(3).

* * *

هل يوجد اختلاف في سجلات العرب

مع التوراتيين حول ذرية يافث؟

في الحقيقة لا يوجد تعارض ملحوظ، باستثناء بعض الاجتهادات التي كُتبت في كتابات العرب، مثلها مثل بعض التخمينات التي وضعها علماء ومفسرو التوراة، وربما يكون السبب في هذا الهدوء وعدم الاختلاف، عدم اهتمام العرب بهذه البطون لأنها لا تخصُّهم، فما وجدته في كتابات العرب هو من باب الإخبار ليس إلا، ولم أجد في كتابات العرب تفصيلًا، باستثناء ذِكر الأندلس وناسها، حتى إنهم كتبوا بعضًا من أسماء أعراق لا تُعدُّ من الأعراق الرئيسية بل هي فرعية، ربما كان لهم صيت ومشاع في زمان هذه الكتابات والله أعلم، فعدُّوها كأنها أعراق أصلية.

وملخصًا لكتابات العرب عن ذُرية يافث سنذكر ما يلي:

«كان من ذرية يافث بن نوح: الصقلب والفرنجة والغاليون من قبائل الروم والغوط، وأهل الصين وقوم عرفوا بالمادنيين، واليونانيون والروم الفريقيون وقبائل الأتراك، ويأجوج ومأجوج وأهل قبرس ورودس، وعدّة بني يافث خمسة عشر جنسًا سكنوا القطر الشمالي إلى البحر المحيط فضاقت بهم بلادهم ولم تسعهم لكثرتهم فخرجوا منها وتغلَّبوا على كثيرٍ من بلاد بني سام بن نوح.»(2)

ويعتمد الكثير من المهتمين بهذا الشأن في عصرنا الحالي على الرواية التي أوردها القلقشندي والتي تقول(1):

«فالترك: من بني ترك بن كومر بن يافث، وقيل: من بني طبراش بن يافث، ونسبهم ابن سعيد إلى ثرك بن عامر بن سويل بن يافث، ويدخل في جنس الترك القبجاق وهم الخفشاخ والطغرغر وهم التتر، ويقال فيهم: الططر بالطاء بدل التاء، والخزلخية والخوز وهم الغز الذين كان منهم ملوك السلاجقة، والهياطلة والخلج وبلادهم الصغد ويسمون بها أيْضا، والغور والعلان ويقال الالان والشركس والأزكش والروس، فكلهم من جنس الترك نسبهم داخل في نسبهم.

والخوز: وهم التركمان من ولد توغرمان بن كومر بن يافث فيما وقع في الإسرائيليات، وقيل: من بني طبراش بن يافث، وقيل: نوع من الترك.

والديلم: من بني ماذاي بن يافث، وقال ابن سعيد: من بني باسل بن آشور بن سام، وقيل: هم من العرب من بني باسل من طابخة من العدنانية، وضعفه أبو عبيدة.

والروم: قيل: من بني كتيتم بن يونان وهو يافان بن يافث، وقيل: من ولد رومي بن يونان بن علجان بن يافث، وقيل: من ولد رعويل بن عيسو بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وقال الجوهري: من ولد روم بن عيسو المذكور.

والصقالبة: عند الإسرائيليين من بني بازان بن يافث، وقيل: من بني أشكونار: أشكنار بن توغرما بن كومر بن يافث.

والصين: قِيلَ من بني صيني بن ماغوغ بن يافث، وقيل: من بني طوبال بن يافث، وذكرهم شيوش مؤرخ الروم أنهم من بني ماجوج بن يافث.

والفرنج: قِيلَ من ولد طوبال بن يافث، وقيل: من ولد ريفاث بن كومر بن يافث، وقيل: من ولد طوغرما بن كومر بن يافث.

والاثبان: عند بعض النشابين من ولد كاشح بن يافث، وعند الإسرائيليين من ولد ياوان وهو يونان بن يافث، وعند آخرين أنهم من شعوب بني عيسو بن إسحاق وهو قريب من الأول.

والقُوط: بضم القاف، وهم أهل الأندلس في الزمن القديم من ولد ماغوغ بن يافث، وفيما قاله هرشيوش من ولد قوط بن حام، وقيل: من ولد ماغوغ بن يافث.

واللّمان: بفتح اللام، من ولد طوبال بن يافث، ومواطنهم بالغرب إلى الشمال في شمال البحر الرومي.

ويأجوج ومأجوج: قِيلَ: من ولد ماجوج بن يافث، وقيل: من ولد كومر بن يافث.

واليونان: قيل من ولد يونان وهو ياوان بن يافث، وقال البيهقي: من بني يونان بن علجان بن يافث، وشذُّ الكندي فقال: يونان بن عابر وذكرَ أنه خرج من بلاد العرب مغاضبًا لأخيه قحطان فنزل شرقي الخليج القسطنطيني، وردُّ عليه أبو العباس الناشىء بقوله:

تخلط يونان بقحطان ضلة

لعمري لقد باعدت بينهما جدًا

واليونانيون على ثلاثة أصناف

١ - اللطينيون وهم بنو اللطين بن يونان.

٢ - والاغريقيون وهم بنو اغريقس بن يونان.

٣ - والكيتميون وهو بنو كيتم بن يونان، وإلى هذه الفرقة منهم يرجع نسب الروم فيما

قيل(0).

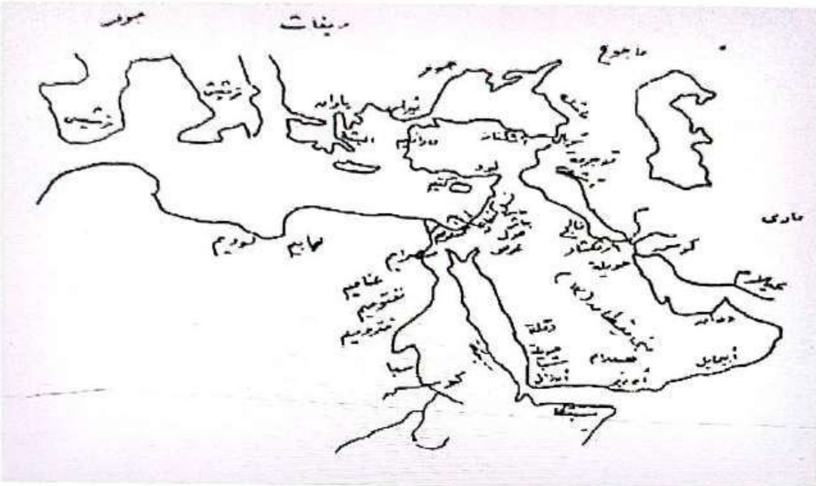
وما هو واضح ممَّا سبقَ ذِكره، أن الاهتمام بالحصر كان أهم من الاهتمام بالتدقيق، فلقد عدوا أعراقًا هي نفسها من ظهر أعراق عدوها مع نسل آخر، كما أنه يستحيل أن تكون بعض الأعراق المذكورة متناسبة مع بعضها علميًا، وهذا ليس تأليفًا ولا وضعًا من المؤرخين، لكنهم كانوا مهتمين بالإحصاء والعد ولم ينشغلوا بالتحقيق، نظرًا لأن بطون ياقث لا تخصهم، فهم تناقلوا عن ابن سعيد وابن إسحق وغيرهم وكأنه نسخ ولصق.

وفي نهاية المطاف، كلها مجرد اجتهادات لأمور ثانوية لا ينتج عن الخطأ فيها ضرر قطعي، لأنها لا تفيد ولا تضر في أي عقيدة.

* * *

القسم الثالث

الخُلاصة



خريطة ملخصة لما تم ذكره في التوراة في هذا الصدد

ملخص الشكوك حول جدول الأنساب

لقد أصبح واضحًا مما لا يدع مجالًا للشك أن هناك أسبابًا دينية وسياسية كانت قد طغت على كَتبة التوراة حين تجميعها وتدوينها، وقد كتبوا جدول الأنساب لكي يُفيد أغراضهم، وكذلك كتبنا في الفصول الأولى عن تأثُّر التوراة بالحضارات والأساطير القديمة، إما عن تعمُّد واضح، وإما بدون تعمد، وسبب ذلك التأخر في تدوين التوراة، وتسبب ذلك في التأثر بروي الأحداث القديمة من الأساطير التي روت أموزا مشابهة لقصة الطوفان ولا سيما الحضارة البابلية، أما بالنسبة لمسألة الأنساب فأنا فيطغوا عليها تعمدًا واضحًا، يُشبه هذا التعمد الذي أقنعوا به البشرية لقرون عديدة أن لغة «آدم» الأولى كانت العبرية، حتى أفحمهم العلم ونفى ذلك بحثيًا وأثريًا.

وهناك طائفة من اليهود لا تكل ولا تمل من الترويج لقصص الأجناس، ولا سيما سمو ورفعة «الجنس السامي»، حيث قاموا باستخدام هذا المسمى بغرض تميُّزه، وقد ظهر هذا المسمى في المجتمع العلمي لأول مرة عام ١٧٨١م، على يد عالم نمساوي يُدعى «أوجست لودويك شلوتسر» ومن يومها وعلماء لغات الشرق يعملون بهذا المسمى، وهذا الأمر كله من بدايته لنهايته مبنٍ على خطأ، فكيف يسعى أناس مؤمنون بوحدانية الخالق إلى تمييز خلقه بين

سادة وعبيد، بين مباركين وملعِنين!

هذا التقسيم الذي أفحمونا به، والذي ذكرناه طويلًا، واستغرق مني الكثير من الجد والتعب، لم يجد له العلماء أي استناد علمي صحيح، بل وأصبح واضحًا مما لا يترك مجالًا للشك أن هذا التقسيم قام على اعتبارات سياسية وعاطفية، وعلى الآراء التي كانت شائعة عند شعوب العالم في ذلك الزمان عن النسب والأنساب وتوزع البشر، فالتقسيم نفسه غير منسَّق ولا مرتَّب وتملأه العلل، فتارة تجد التقسيم قد حشر شعوبًا في الجنس السامي بالقوة لا يمكن عدهم علميًا مع الساميين، مثل العيلاميين، واللوديين، والأهم من ذلك أنه طرد شعوبًا لا شك ولا جدال في ساميتها، كالكنعانيين والفنيقيين.

أما كتب النسَّابين العرب فقد بُنيت غالبية أعمدتها على هذا الجدول المطعون في صحته.

مصدر كتابات النسَّابين والإخباريين العرب

يتضح من كل ما هو مدوَّن عن الانساب وعن نوح وأولاده، أن للتوراة أثرًا كبيرًا وواضحًا على عمل أهل الأخبار والأنساب الذين اشتغلوا بموضوع النسب إلى يومنا هذا، وغالبية ما تمَّ ذِكره في هذا الشأن حتى بين كتب المؤرخين المسلمين هو في الأصل من الإسرائيليات، لعدم وروده في القرآن الكريم وسنة «محمد» -صلَى الله عليه وسلم-، والسبب في ذلك أن أهل الإسلام لم يؤرخوا إلا منذ وقت الهجرة من مكة إلى المدينة، أما قريش فكانت تؤرخ منذ عام الفيل، وكان سائر العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة بأسماء وقائع كعام الفيل، وعام العذر، وعام حرب الفجار، وغيره.

فبعد ظهور الإسلام كان لذِكر عاد وثمود وغيرهم من الهالكين، سبب واضح في نفوس أهل التفسير العرب للبحث عن هؤلاء ومن أي فصيلةٍ كانوا، وبالحصر والتتبع ستجد جميع الروايات الواردة عن الأنساب في كتب المفسرين العرب مصدرها واحد باختلاف الرواة والناقلين، وهذا المصدر هم «الكِتابيون»، والكِتابيون هؤلاء هم من كانوا من أهل الكتاب وأسلموا ودخلوا الإسلام بأفكارهم ومفاهيمهم وثقافتهم، ومنهم «عبد الله بن سلام»، و«كعب الأحبار»، و«وهبة بن منبه»، و«محمد بن كعب القرظي»، و«أبو يعقوب التدمري»، وتجد أشهر الناقلين من هؤلاء في سيرتهم وآثارهم: «محمد بن إسحق» الذي كان يقول عنهم أصحاب العلم الأول، وكذلك «ابن الكلبي»، وأما بن الكلبي ومن يمشون على نهجه، تجد في كتاباتهم كثيرًا من الانحراف والتحريف في بعض الأسماء التي وردت في التوراة، برغم أنهم يعترفون أن مصدرهم التوراة، ولكن الغريب أنك عندما تتحرى عن بعضٍ مما كتبوه تحت عنوان أنه من التوراة، ستتفاجأ بأنه لا وجود له في التوراة، فما سبب ذلك؟

السبب، أنه كان وقتها قد استغلّ بعض الأشخاص من أهل الكتاب حاجة المسلمين لمعرفة العديد من الأمور التي لم يوضِّحها القرآن، فبدأ هؤلاء في الاختراع والتأليف، زاعمين أن هذا من دينهم، وماله بدينهم علاقة، بل إنها معلومات مغلوطة، ألّفوها ليبيعوها لعلماء الإسلام، أو حتى على سبيل ادعاء العلم والفهم.

وقد أقرّ بذلك الطبري نفسه وقال: «كان ناس من اليهود كتبوا كتابًا من عندهم يبيعونه من العرب، ويحدّثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمنًا قليلًا».

وأشهر الأماكن التي انتشر فيها مثل هذه الروايات الإسرائيلية المنقولة من التوراة أو حتى التي ألفها المؤلفون زعمًا بأنها من التوراة، كانت بلاد اليمن، والمدينة، والكوفة ببلاد العراق، ولم يكن هؤلاء المؤلفون على قدرٍ من العِلم، وربما تجدهم ليسوا على دراية كاملة بالتوراة ولا بالتلمود ولا بأي كتابٍ يهوديٍ، وكان هذا واضحًا في تحريفهم للأسماء، وربما كانوا لا يقصدون التأليف، وأن هذه الروايات قد تداولها آباؤهم وأجدادهم بهذا الشكل المحرَّف.

هذا الخلل الواضح في المصادر والمعطيات، كثيرًا ما ينتج عنه اضطرابًا وتخبطًا في النتائج، حتى تجد في النهاية الكتّاب الإخباريين مختلفين حول نَسب الشخص الواحد كما صادفنا أكثر من مرة في هذا الكتاب، وكذلك قد قابلنا مرارًا وتكرارًا الكثير من التخبط حول ضبط اسم الشخص الواحد، فكثيرًا ما تجد الإخباريون يعترفون أن مصدرهم أهل الكتاب وبرغم ذلك تجد أسماء الأشخاص مختلفة عن التوراة، وقد برر ذلك «ابن خلدون» بأن السبب ربما يكون الاختلاف في مخارج الحروف بين العرب وأهل الكتاب، أو ربما يكون الاختلاف نتج عن الترجمة من العبرانية للعربية، ولكن للأسف التخبط قد وصل لحدود أكبر من الأسماء، مما يوضح أن العديد من الرواة الذين ادعى بعضهم أن مصدرهم أهل الكتاب لم يقرأوا أصلًا جدول الأنساب في الكتاب، وأنهم أخذوا معلوماتهم من أشخاص، وكان ذلك واضحًا في أمورٍ عديدة جدًا، منها ما هو موجود في بعض كتب الإخباريين، فعلى سبيل المثال: قد جعلوا في بعض المواضع «عابر» الذي هو «هود» عليه السلام ابن سام مباشرةً، وكذلك جعلوا «لاوذ» ابنًا من أبناء إرم من سام، أي أنه أخٌ لـ «عوص» و«جاثر»، مع أنه في التوراة هو نفسه «لود» شقيق إرم بن سام، أي أنه عم عوص وجاثر وليس أبوهم، وبرغم أن التوراة التي هي مصدرهم لم تذكر أن للاوذ أي أبناء، تجد الإخباريين جعلوا بعض قبائل الأمم البائدة منه ونسبوها له، ومع البحث ستجد أن «ابن الكلبي» إليه ترجع أكثر هذه الروايات التي توضِّح نَسب العرب البائدة، والتي اختارت «لاوذ» أو «لود» لكي تمنحه نَسب بعض القبائل البائدة مجهولة النَّسب، ولا وجود لذلك في التوراة.

أما قحطان جد العرب العاربة، فقد جاء ذِكر أولاده في التوراة وبرغم ذلك لم يذكرهم

الإخباريون في كتب العرب المهتمة بالنسب أمثال «ابن الكلبي» رغم أنهم ذكروا أبناء إسماعيل، لكنهم نسبوا إلى قحطان أسماء أخرى من الأبناء وصل عددهم إلى واحد وثلاثين ابنًا، وكل أسمائهم عربية، غير المذكورة في التوراة باستثناء اسم أو اسمين، برغم أنهم قد أخذوا نسب قحطان نفسه من التوراة، وهذا إن دل على شيء فسيدل على أن أهل الأخبار الذين زعموا أن مصدرهم التوراة لم يقرأوا التوراة أصلًا، لكنهم كانوا يراجعون أشخاصًا من أهل الكتاب يثقون بهم، ويأخذون منهم ما يريدون، ولهذا لم يقفوا على أولاد «قحطان» العرب، لأنهم لم يسألوا أهل الكتاب عنهم، أو ربما لأن أهل الكتاب لم يتحدثوا إليهم عنهم، وهذا يطرح سؤالًا جديدًا، لماذا سأل أهل الأخبار عن أبناء «إسماعيل» ودونوهم في كتبهم بنفس الترتيب، ولم يسألوا عن أبناء «قحطان»، هل هذا إقصاءً متعمد؟

أعتقد لا، السبب هو أن الإخباريين كانوا لا يملكون قواعد منظمة لكي يسيروا عليها أثناء النقل، فلقد حاول هؤلاء الاكثار والجمع مما جعلهم واقعين في الخطأ، لأنه من الصعب الوقوف على حقيقة كل شيء من الكم الهائل الذي جمعوه، وكذلك من أهم أخطائهم عدم مراجعة التوراة نفسها، ونقلهم عن أشخاص ربما لم يكونوا على قدرِ هذه الثقة.

وملخصًا: أنا لا أملك صلاحية نقد هؤلاء المؤرخين الكبار، فالانتقادات الموجهة لقدامى النسابين، أمثال «ابن الكلبي» و«ابن هشام» و«الهمداني» و«ابن إسحق»، و«ابن منبة»، و«ابن سعيد» وغيرهم مما ذكرنا لم أكن أنا أول من قالها، كذلك لا يمكن أن نُنكر جهودهم في حفظ الأنساب برغم استنادهم على بعض الهنات والروايات الضعيفة في مروياتهم، وكما ذكرت من قبل أن هذا الأمر ليس أمرًا مصيريًا، وهو أمر يحتمل الاجتهاد والخطأ، ما دامت النية هي خدمة العلم ابتغاء وجه الله، ولا يوجد هناك نوايا مغرضة.

ورجوعًا لرأس الموضوع، لا شك في أن ذرية البشر بعد الطوفان من نسل أبناء نوح الثلاثة، برغم تخبط التوراتيون وكذلك الإخباريون في ذكر الأحفاد وذرياتهم، لا يمكننا إنكار ذلك على الإطلاق، فالعالم كله من نسل «سام» و«حام» و«يافث»، ولكن دعنا نترك الاعتبارات الدينية والتاريخية قليلًا ونُقدّم سؤالًا علميًا مُهمًا.

هل هناك عِرق أو جنس نقي موجود الآن

من منّا يستطيع أن يَجزم الآن أن جنسه نقي!، فبلاد الساميين نفسها أصبح بها اختلاف واضح داخل الشعب الواحد، من لون ومظاهر جسدية، ويدل كل هذا على اختلاط الأنساب والأعراق، بل وهذه الاختلافات لم تظهر في عصرنا الحديث وحسب، بل منذ قديم الأذل، فاليهود أنفسهم الذي يرفضون التزاوج من غير اليهود بينهم اختلافات، كذلك قام العلماء بدراسة عظام العرب الجاهليين ووجدوا بينهم اختلافات، وكذلك حدث نفس الأمر بعد

فحص الآثار الآشورية والبابلية واتضح لهم اختلافات.

ومن هذا المنطلق يجب الاعتراف بأنه ليس من المنطق أن نعتبر السامية عِرقًا أو سلالة أو جنسًا مستقلًا وموجودًا، لكن التسمية التي يجب أن نخضع لها أن السامية مجرد مجموعة ثقافية، ولذلك يمكننا أن نقول لمن يريد تميز أبناء الجنس السامي في القرن الحادي والعشرين بالمعنى العرقي، يجب عليك أن تستند في تميُّزك إلى بحوث مختبرية، وأن تبحث عن الشعوب الباقية للسامية، ثم تقوم بدراسة جماجم الساميين الأوائل وعظامهم، وعند اكتمال دراستك وظهور الحجج والبراهين العلمية، العلمية فقط، يمكننا أن نقر بمفهومك أن السامية ما زالت جنسًا أو عرقًا أو سلالة قائمة.

والجدير بالذِّكر أن هناك دراسات قائمة حول هذا الأمر وحول دراسة الرءوس وإجراء فحوصات حولها فيما يتعلق بعلم الأجناس البشرية كلها، فنحن في الحقيقة لا نعارضها ما دامت تتحدث باسم العلم، ولكن لحين أن يظهر توضيح يجب أن نغيِّر مفهومنا عن الأجناس، لأن هذه الدراسات قائمة حقًّا لكنها غير مكتملة على حد قول - جواد علي.

على كل حال هذه الأبحاث إن لم تكن مكتملة، فهي تبشِّر بأن العلم هو الذي ربما يحسم هذا الجدال، فيجب التوسع في هذه الأبحاث ودراسة كل مواضع جزيرة العرب وباقي بلاد الساميين في الشمال، وكذلك البحث عن العظام والجماجم، وكذلك دراسة طبقات الأرض، ثم مقارنة كل هذا بالطبيعة الحالية، ومطابقة دراسة عظام الأوليين مع فحص الأحياء الحاليين، بعد ذلك سينتهي هذا الجدال في حال خروج نتائج محايدة ومبنية على معطيات ووقائع.

ونهايةً، هل كل هذا يدل على أن علم الأنساب ليس له أساس من الصحة!

هل علم الأنساب أسطورة

بالطبع لا أقصد ذلك أبدًا، ولكن التمييز الجنسي هو الذي أصبح أسطورةً، فما أقصده هو جَزْمُ أهل العلم بأنه لا يوجد على الأرض كلها في يومنا هذا جنسٌ نقيٌّ، فلقد تعارف البشر وانتقلوا، وتزاوجوا وتصاهروا، سواء كان هذا من خلال الاحتلال والاستعمار، أو التصالح والانتشار، فلا يوجد في زمننا جنس نقيٌّ يرجع مثلًا لقحطان، لم يختلط به على مدى هذا الدهر جنس أولاد عدنان، بل ربما اختلط به الفُرس أو الروم، فالعرب أنفسهم الآن عبارة عن اختلاط بين الكثير من الدماء المختلفة والمتعددة، فالآن تجد عربًا من أصل سامٍ، وعربًا من أصل حاميّ، وعربًا من أصل يافثي.

كذلك الأشراف الذين يعود نسبهم لأطهر دماء الأرض، وهو دم رسول الإسلام -صلّى الله عليه

وسلم-، صحيح لم يختلط جنسهم بالفرس أو الروم، لكن ما أقصده أنهم عندما يتبعون شجرة الأجداد، سيجدون جدهم الأكبر عدنانيًا، ثم بعد ذلك ربما يجدوا أحد الأجداد قد هاجر لمصر على سبيل المثال وأقام فرعًا فيها، وبهذا الشكل تجد دمه السامي قد اختلط بالدم الحامي، كذلك ربما تجد في المنتصف أحد الجدود كان قد تزوج من الأحباش أو غير ذلك فاختلط نسبه معهم، ولا شك في أن كل الأجداد عربًا مسلمين، ولكني أتكلم عن الدماء، ولذلك كلامي هذا لا يخص علم الأنساب، ولا يرى خطًا في تتبع شجرة العائلة والأجداد، فالإسلام نفسه لم يُعارض علم الأنساب، وقد اهتم به رسول الله وحث صحابته، وقد شهد لأبي بكر رضي الله عنه بالتمكن من هذا العلم، لكن الإسلام نهى عن سوء استخدام الأنساب، والمفاخرة بها لعصبية جاهلية، فما بالك بمن يفتخر بعرقه أو دمه زاعمًا أنه من دماء مميزة ونقية تعود لآلاف السنين، لمجرد أنه يؤمن بأسطورة أن جده «سام» كان مميزًا عن أخيه الذي لُعنت ذريته، وأخيه الآخر الذي خرجت شرائر الخلائق من نسله!، ولا يمكننا أن نبرر ذلك بأنه من علم الأنساب، فما هو إلا عنصرية، فالعنصرية مصدر صناعي من العنصر الذي هو الأصل أو العرق، والعنصرية هي التمييز بين الناس على أساس عنصرهم أو أصلهم أو لونهم، أو جهتهم، ومعاملتهم على ذلك الأساس، والشخص العنصري دون أن يدري قد استمد عنصريته من إبليس، فإبليس هو أول العنصريين حيث رفض السجود لآدم لأنه رأى أن عنصره أقل.

وأخيرًا يمكننا أن نقول إن الماضيين على خطى إبليس ليس لهم حق أصلًا في ادعائهم التمييز، فلا يوجد على وجه الأرض جنس نقي ومميز لم يختلط بأي دماء.

جنس واحد يسكن كوكب واحد

إن العنصرية لا تعني التفرقة بين الوجه الأبيض والوجه الأسود، بل هي تعني في أعماقها التفرقة بين العقل الأبيض والعقل الأسود، لذا يجب معالجة هذه العقول ودحر مبادئها الزائفة، التي احتلت مفاهيم البشر لآلاف السنين، وصولًا لهذه اللحظة للأسف.

والعنصرية عمل مشين، معروف منذ بداية الخليقة، فإبليس لم يسجد لآدم عندما أمره الخالق بالسجود، لاعتقاده بأنه مميّز عنه في العنصر والتكوين، وبدلًا من أن يتعظ بنو آدم من القصة، استحب بعضهم التمييز، وعرفوا العنصرية منذ قديم الأزل، فلقد نشأ هذا الداء خلال مراحل التاريخ التطوري، كنوع من أساليب البقاء والاستمرار على الأرض، فلقد اعتقد الإنسان منذ بدايات الزمان، أن انتماءه لمجموعة أو عِرق يضمن له القوة والاستمرار، وظهور مجموعة مختلفة في نفس الحيز تنافسه في الموارد يشكّل تهديدًا ضمنيًا للبقاء، ما يستدعي النفور ويثير غرائز العداء.

والإنسان بطبعه عنصري حتى في تعاطفاته، فعلى مَرّ العصور لم يتعاطف غالبية الأشخاص بشكل ضمني إلا مع نفس عِرقهم، وهناك تجربة علمية شهيرة قد أثبتت ذلك، قام بها علماء الأعصاب في جامعه بكين عام ٢٠٠٩ م، وكانت عبارة عن دراسة لمجموعة من الطلاب من منطقة القوقاز ومنطقة الصين، وخلال التجربة عرضوا عليهم فيديوهات مُسجلة لأشخاص يتألمون بشدة من مختلف الأعراق، واستنتج الباحثون أن القشرة الخزامية الأمامية المسؤولة عن الإدراك العاطفي والمشاعر والتعاطف مع الآخرين، كانت أكثر نشاطًا عندما شاهد الطالب مشاهد الألم الخاصة بأفراد من نفس عرقه، وحينما تُعرض مشاهد أكثر فظاعة لأشخاص من أعراق أخرى، لا يتعاطف معها سوى بشكل محدود، لتؤكد هذه التجربة النظرية العلمية التي تسمى «الانحياز الضمني الغير واعي»، ولكن لا يمكننا أن نلقي اللوم بشكل كامل على القشرة الخزامية الأمامية لرأس الإنسان، أو على البيولوجيا، فالثقافة المجتمعية لها الدور الأبرز في ذلك، فبرغم أن البيولوجيا هي التي تصنع نظرية (نحن وهم)، تجد الثقافة المجتمعية هي التي تُنمي الفكرة وتصنع حدودًا لهذه المجموعات وترسم الانقسامات على أسس عرقية، وهي التي تُوسّع الدائرة، فبرغم الإقرار العلمي بوجود الانحيازات الضمنية، إلا أن الثقافة المجتمعية تلعب دورًا أعمقَ في تشكيل سلوكيات البشر، فالتحيزات والروابط التي يلجأ الدماغ إلى نسجها تتحول إلى عواطف، ولكن ترجمتها إلى سلوكيات تُعَدّ من صميم السياق الثقافي والبيئة المعاشة.

وقد تم إثبات ذلك في مجموعة تجارب، منها تلك التجربة التي قام بها عالم النفس «كينيث كلارك» والتي أثبتت أن الأطفال غير البالغين غالبيتهم وارثون للعنصرية بشكل كبير، حيث قام بأخذ مجموعة من الأطفال السود (بين سن ست وتسع سنوات) وعرض عليهم الاختيار بين دُميتين بيضاء وأخرى سوداء، ثم سأل كل واحد منهم أي الدميتين تفضّل ومن هي اللطيفة والخبيثة من وجهة نظرك؟

وكانت نتيجة التجربة أن ٦٣ ٪ من الأطفال اختاروا دمية بيضاء ووصفوها باللطيفة، (رغم أن هؤلاء الأطفال سود)، معنى ذلك أن الطفل الأسود الصغير قد نشأ على اقتناع تام بأنه غير متساوٍ في العِرق، وأن المجتمع الخارجي قد أقنعه بأن السود هم أقل في العِرق والتكوين، وفسرت التجربة أن الأطفال في سن مبكرة لا تتكون لديهم آراؤهم الخاصة، وإنما تنعكس على أفكارهم التربية الأبوية والتأثير المجتمعي، وأن الأجيال الجديدة بكل تنوُّعاتها يتوارثون العنصرية بشكلٍ سهل، طالما آباؤهم لم يبذلوا جهدًا فعّالًا في النأي بأبنائهم عن العنصرية.

هناك أمثلة عديدة على تعمُّق مبدأ العنصرية في ثقافات المجتمعات، ولكن ما يُزيد الأمر

سوءًا هو تبرير ذلك بشكل ديني، فيما يشبه بالكماشة الإقناعية، وكأنه مبدأ نزل من السماء وجب على الجميع القبول به، وبالنظر للأديان سنجد أن في العهد القديم، كان هناك اعتقادٌ واضحٌ بأن الاختلافات الجسمانية والعقلية بين الأفراد وبين المجموعات على السواء، اختلافات ترجع إلى المولد والنشأة، لا تتغير، فملخصٌ للفكرة التي قام عليها هذا الكتاب تتلخص العنصرية في وصف انحطاط جماعات معينة بالنسبة لغيرها، وكان ذلك واضحًا في الكلمات التي جاء بها سفر التكوين «ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته»، هذا إلى جانب أن نوعًا من التفوق البيولوجي قد تضمنه التأكيد بأن «يَهوه» قد عقد عهدًا مع إبراهيم ونسله.

أما العهد الجديد فتجده قد عالج الفكرة بشكل ملحوظ، حيث أكد أن مسألة أُخوَّة بني الإنسان في العالم تتعارض تمامًا مع وجهة النظر الواردة في العهد القديم، فبرغم أن غالبية الأديان لا تبالي بالاختلافات الجسمانية الفردية، وتعد الناس جميعًا إخوة متساوين في نظر الله، تجد في كل زمان أناسًا يَجزمون أن التمييز العنصري قد أورده الله وأملاه عليهم، فالمسيحية نفسها عارضتْ العنصرية، وأوضحت بشكلٍ صريحٍ بأنه لا فرق بين يهودي، ولا يوناني، ولا عبد، ولا حر، وأنهم جميعًا واحدٌ في المسيح يسوع، وفي عام ١٩٣٨ م، دمغ الفاتيكان كل الحركات العنصرية على أنها خروج على العقيدة المسيحية روحًا ومذهبًا، وأكثر من هذا، فإن دور الكنيسة والقديسين في إسداء البركات السماوية تشمل الأجناس البيضاء، والصفراء، والسوداء اللون، وكذلك تجد الإسلام من أهم مبادئه أن لا فرق بين بالبشر في العنصر ولا التكوين إلا بالتقوى، وأن الله خلق الشعوب للتعارف والتناسل، وقد ألغى وحارب الرق والعبودية بكل أشكالهم، بل ونهى عن مجرد سخرية قومٍ من قومٍ عسى أن يكونوا خيرًا منهم عند الله.

العِلَّة تكمن في التحجج بالدين، والدين من ذلك بريء، وما هي إلا أهواء صنعها الطامعون وقالوا إنها من عند الله، وأجبروا البشرية أزمنة طويلة على الرضوخ لهذه الادعاءات، حتى تسللت لنا هذه الأفكار في العصر الحديث، واستطاع المزيفون بعد إقناع البشر بأن العنصرية من عند الله، إقناع العالم بأنها أمرٌ علميٌ، وأن العلم يؤكد ذلك، فحتى عام ١٩٥٠ م كان العالم يعيش على اعتقاد علمي مدعوم بنظريات من علم الأنثروبولوجيا، بوجود تفوُّق عرقي لأجناس من البشر على نظيرتها، وكان هذا الاعتقاد قد اعتمد على عِلم القياس البشري للصفات البيولوجية، لعلَّ من أبرزه حجم الجمجمة وما شابه ذلك، وزادت هذه العنصرية المسماة بالعلمية في كل البقاع حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، وكانت هذه العنصرية هي حجة لتوسيع الإمبراطوريات واستعباد بلاد السود وغيرهم من المغلوبين على أمرهم.

انتفض العلم لهذا الادعاء المزيف، وتقدَّم علم الوراثة التطورية، وتمكن من كشف الخارطة الجينية لكل البشر، وهنا صُعِقَ أنصار التمييز العنصري، بعدما علموا أن العلم قد أكد بأن الفروق الجينية بين البشر لا تتعدى ٠.١٪، فالاختلافات البيولوجية، كلَوْنِ البشرة وغيره، ما هي إلا تكيفات جينية لعب المناخ فيها دورًا كبيرًا، فالإنسان الأسود على سبيل المثال قد أصبح أسود-بسبب صبغة الميلانين التي رزقها الله له، لكي تحميه من الإشعاع الشمسي العالي في مواطنهم الحارة، ولا دخل لأي لعنة في ذلك.

الحقيقة الوحيدة الملموسة التي لا غبار عليها، إننا جميعًا جنسٌ بشريٌ واحدٌ يقطن في كوكب واحد، ولكي ينصلح شأن هذا الكوكب الذي أزعجناه، يجب أن نعلم أننا مرهونون جميعًا ومتداخلون في نفس واحدة، إذا اشتكى منها عضو تداعى لها سائر الجسد بالسهر والحمى، فالكل يحتاج للكل، مهما حصل البعض على قسطٍ من الكمال في القوة والتحضر والازدهار، فشعوب العالم اليوم أصبحوا يدركون اعتماد عنصر كل منها على الآخر، حتى وإن تجاهل الغالبية ذلك بكل غرور، ولكي تنصلح أحوال البشرية جمعاء، يجب أن يبادر الجَمَيع في أخذ اللقاح المضاد لانتشار العنصرية، والخوف من الآخر، وهذا اللقاح ليس كيميائيًا، لكنه فكريًا، يتمثل في استيعاب فكرة الوحدة الكلية للجنس البشري وخلق حضارة عالمية متنوعة، وموحدة في الوقت ذاته، حضارة تكون فيها جميع الشعوب والثقافات أجزاء متكاملة في بناء واحد، هو الجنس البشري نفسه.

«يجب أن نعلم أننا جميعًا خليط واحد، وأن رب السماء لم يُحلل العنصرية في أي كتاب».

تم بحمد الله

* * *

(591) - (فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ)(القرآن الكريم سورة العنكبوت)

(590) - كلمة «فُلك» في معناها أعظم من كلمة «سفينة» نظرًا لعظمة الحجم، فهو فُلكٌ عملاقٌ مستديرٌ ومرتفعٌ، وسبب تسميته بسفينة هو أن من صفات السفن أنها تقشر وجه الماء بسبب أن السفن واجهتها تكون مدببة؛ وبهذا الشكل فهذا الصنع يجمع بين الوصفين.

(589) - يام (كنعان) هو الاسم المرجَّح لابن نوح الذي لم ينجُ من الطوفان - بن كثير في تفسيره/ الطبري في تفسيره/ وفي تفسير البيضاوي ورد باسم كنعان/ وقال القرطبي: «ونادى نوح ابنه»: قيل: كان كافرًا، واسمه كنعان، وقيل: يام.

(588) - قد روى الطبري في تفسيره عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين» ص١٠٦١ برقم ٦١٥٧ / وقال ابن كثير في البداية والنهاية في قصة نوح عليه السلام (١/ ٢٣٧): هذا الحديث على شرط مسلم ولم يخرجه/ وفي صحيحح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط برقم: ٦٢٩٦.

(587) - أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن الحكم الضبي الطبماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر ملا، ٩\٢٥٥، وقال الحاكم: هذا صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(586) - (ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ) - (القران الكريم - سورة المؤمنون)

(585) - قصص الأنبياء، ابن كثير، ج ١، ص ٧٤.

(584) - قصص الأنبياء، ابن كثير، ج ١، ص ٧٥.

(583) - قصص الأنبياء في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل، شيخ الأزهر الأسبق: عبد الحليم محمود، ص ٦٣.

(582) - صحيح ابن حبان، عن أبو ذر الغفاري، ص ٢٦١، اخرجه في صحيحه.

(581) - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني (١/ ١٦٦ - ١٦٧) من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني قال حدثنا أبي عن جدِّي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذرّ...

(580) - ذكر ابن الجوزي هذا الحديث في كتابه الموضوعات، واتهم به إبراهيم بن هشام راويه/ وقد قال أبوحاتم عن إبراهيم هذا كما في الجرح والتعديل (٢/ ١٤٢ - ١٤٣): «كذّاب»، وكذا أبوزرعة / وقال الذهبي: «متروك»/ وكذلك تم إضعافه في ميزان الاعتدال (١/ ٧٣)، (٤/ ٣٧٨) / وقال الحافظ ابن كثير: «ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث».

(579) - إنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩) (القرآن الكريم - سورة الأعلى)

(578) - تاريخ الطبري، بن جرير الطبري، ج ١، ص ١٥٢.

(577) - المرجع السابق - ص ١٥٨.

(576) - سنة العالم (تقويم عبري) - هو عصر التقويم الذي يبدأ من خلق العالم بحسب التوراة.

(575) - هو كتاب يهودي ديني قديم، يُسمَّى أحيانًا سفر التكوين الصغير، وكان معروفًا للكتّاب المسيحيين والحاخامات اليهود بشكل جيد في وقت مبكر في الشرق والغرب، ولكن في وقت لاحق تم قمعه بشكل كبير فلم تبقَ أي نسخة عبرية أو يونانية أو لاتينية كاملة.

(574) - سنة العالم (تقويم بيزنطي) - وهو نظام تقويم عند المسيحيين البيزنطيين والرومان لحساب الزمن.

(573) - إنجيل لوقا (٣:٢٣-٣٨).

(572) - الفن المقدس في الشرق والغرب، إبراهيم بوخاردت، ص ١٥١.

(571) - (١ - آدم شيث انوش ٢- قينان مهللئيل يارد). (سفر أخبار الأيام الأول - الإصحاح الأول)

(570) - ابن إسحاق، سيرة رسول الله.

(569) - وَعَاشَ شِيثُ مِئَةً وَخَمْسَ سِنِينَ، وَوَلَدَ أَنُوشَ. وَعَاشَ شِيثُ بَعْدَ مَا وَلَدَ أَنُوشَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَسَبْعَ سِنِينَ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ شِيثَ تِسْعَ مِئَةٍ وَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمَاتَ (سفر التكوين ٥ / ٦:٩)

(568) - هي الترجمة اليونانية للعهد القديم بأمر من بطليموس، ترجمه من العبرية لليونانية اثنان وسبعون من الأحبار، واعتمد كاتبو العهد الجديد على النسخة السبعينية، أما اليهود فهاجمهم المسيحيون بنبوءات من الترجمة السبعينية فأقروا أنها ليست صحيحة وقبلوا النسخة العبرية فقط.

(567) - تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج ١، ص ٢.

(566) - المرجع السابق، ص ٨.

(565) - تاريخ مختصر الدول، أبو الفرج ابن العبري.

(564) - البداية والنهاية، ابن كثير، ج ١، ص ١١١.

(563) - تاريخ الطبري، بن جرير الطبري، ج ١، ص ١٦٣.

(562) - تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج ١، ص ٢.

(561) - تاريخ الطبري، بن جرير الطبري، ج ١، ص ١٦٩.

(560) - مدينة السوس الأقصى مقرها حاليا سهل سوس في المغرب.

(559) - جمع غول، وصف وحش خيالي في القصص الشعبية العربية، يغول المسافرين والمبتعدين عن الطريق، المتعمقين في الأحراش، وهو يصفر صفرة شيطانية من أمامك ثم من خلفك، ويستطيع التمثل للإنسان بشكل صديقه، وهو مشهور عنه هذا الفعل الشيطاني.

(558) - البداية والنهاية، ابن كثير، ج ١، ص ١١١.

(557) - تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج١، ص ٢.

(556) - تاريخ الطبري، بن جرير الطبري، ج ١، ص ١٦٤.

(555) - تاريخ الطبري، المرجع نفسه، ص ١٦٧.

(554) - تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج ١، ص ٢.

(553) - تاريخ الطبري، بن جرير الطبري، ج ١، ص ١٦٧.

(552) - وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ

وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) - (القرآن الكريم - سورة الأحزاب)

(551) - تاريخ الطبري، بن جرير الطبري، ج ١، ص ١٦٨.

(550) - تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج ١، ص ٣.

(549) - البداية والنهاية، ابن كثير، ج ١، ص ١١١.

(548) - أنس الله هي ترجمة من العبرية بمعنى الذي مشى مع الله.

(547) - ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١، ص ٢٣٣ - باب ذِكر إدريس عليه السّلام، في الحاشية ذكر المصادر التي نقل منها الحديث وهي: تاريخ الطبري ١/ ١٧٢، ومروج الذهب ١/ ٤٢، وعرائس المجالس ٤٩، والكسائي ٨١، وتاريخ اليعقوبي ١/ ١١، ونهاية الأرب ١٣/ ٣٨، والبداية والنهاية ١/ ٩٩، ومرآة الزمان ١/ ٢٢٦، والكامل في التاريخ ١/ ٥١.

(546) - تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج ١، ص ٣.

(545) - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، المقريزي، ج١، ص ٥٢، وقال هذا نقلًا عن أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي.

(544) - أي ينقلون عنه مواقف بالكذب.

(543) - البداية والنهاية، ابن كثير، ج ١، ص ١١١.

(542) - دوامات التدين، يوسف زيدان، ص ٣٩.

(541) - تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج ١، ص ٣.

(540) - المصدر السابق.

(539) - المصدر نفسه.

(538) - تفسير الكشاف، للزمخشري.

(537) - فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (وإن إلياس لمن المرسلين) ج ٦، ص ٤٣٠.

(536) - في قصص الأنبياء، ابن كثير: «قالا» والخبر رواه ابن عساكر في تاريخه (١/ ٣٨٢ تهذيب).

(535) - البداية والنهاية، ابن كثير، ج ١، ص ١١٣.

(534) - المصدر السابق.

(533) - هو أحد أنبياء بني إسرائيل بعد موسى عليهم السلام، وتكلم عنه القرآن بأنه كان قد دعا قومه للجهاد فهربوا وخرجوا من ديارهم فأماتهم الله، ثم أحياهم الله على يديه مرة أخرى، وكانت هذه إحدى معجزاته.

(532) - تفسير ابن كثير، سورة الصافات، تفسير آية ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ .

(531) - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج ٢، ق ١، ص ٥.

(530) - القرآن الكريم - سورة البقرة، آية: ٢١٣.

(529) - القرآن الكريم - سورة النساء، آية ١٦٣.

(528) - جاء في صحيح البخاري (عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله -صلَى الله عليه وسلم- أُتِيَ بلَحم فرُفع إليه الذراع، وكانت تُعجبه، فنهش منها نهشةً، ثم قال: ((أنا سيد الناس يومَ القيامة، وهل تدرون ممَّ ذلك؟ يجمع الله الناس الأوَّلين والآخِرين في صعيد واحد.،.......،... اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أوَّل الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمَّاك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه..... إلى آخر الحديث).

(527) - القرآن الكريم - سورة الحديد، الآية ٢٦.

(526) -وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا - (القرآن الكريم - سورة مريم)

(525) - القرآن الكريم - سورة مريم، آية: ٥٦.

(524) - القرآن الكريم - سورة مريم، آية ٥٨.

(523) - نوح والطوفان العظيم، علي الصلابي، ص ٣١، نقلًا عن قصة نوح عليه السلام، لعمر إيمان بكر، ص ٧.

(522) - المرجع السابق.

(521) - هو كتابهم الديني وهو أحد الكتب المقدسة لديهم، ويعتقدون أنه يجمع صحف أنبيائهم: آدم وشيث وسام، ويتألف الكتاب من ١٨ كتابًا في ٦٢ سورة تقع في حوالي ٦٠٠ صفحة.

(520) - البداية والنهاية، ابن كثير، (قصة نوح عليه السلام)، ج ١، ص ٢٣٧.

(519) - قصة نوح عليه السلام، عمر إيمان أبو بكر، ص ١٨.

(518) - قصص الأنبياء لابن كثير: فنوح عليه السلام... وكان قومه يقال لهم بنو راسب فيما ذكره ابن جبير وغيره؛ أنه من بني راسب الذين بعث إليهم نوح/ البداية والنهاية لابن كثير: «فنوح.. وكان قومه يقال لهم بنو راسب فيما ذكره ابن جرير وغيره».

(517) - الضحاك هو ملك أسطوري من أهم الشخصيات في الديانة الزردشتانية، وتقول الأسطورة إن الضحاك كان يحكم مملكة عاصمتها بابل، وكان من ملوك الكنعانيين/ ومن المؤرخين من يقول إن نمرود بن كنعان هو الضحاك، ولكن بدا عدم صحة هذا الرأي.

(516) - تاريخ الطبري، الطبري، ج ١، ص ١١٩.

(515) - مفيد العلوم، الخوارزمي، ص ٤٩٨.

(514) - الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج١، ص ٦٨.

(513) - المسالك والممالك، البكري، ج ١، ص ٧٦ / نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، ج ١، ص ١١٢.

(512) - المنتظم، ابن الجوزي، ج ١، ص ٢٣٥.

(511) - الأخبار الطوال، أبو حنيفة الدينوري، ج ١، ص ٤ / كنز الدرر، ابن الدّواداري: بيسو راسب، وهو السفّاك المعروف بالضحاك....)

(510) - عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري: (بيوراسف... هو: الضحاك الحميري...)

(509) - كتاب إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، سالم السيابي، ص ٣٤.

(508) - البداية والنهاية، لابن كثير، قصة نوح عليه السلام، ج ١، ص ٢٤٧.

(507) - قال البخاري في: «صحيحه» عن ابن عباس - رضي الله عنهما - «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يدعون أنصابًا، وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تُعبَد حتى إذا هلك أولئك، ونُسخ العلم: عُبدت».

(506) - منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، محمد بن نايف بن زين العابدين، ج ١، ص ٤٤.

(505) - صحيح البخاري برقم ٤٩٢٠ / وتفسير الطبري، ج ٢٣، ص ٦٣٩/ وتفسير القرطبي، ج ٩، ص٣٠٧- ٣٠٨/ وتفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٤٢٦.

(504) - وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ - (القران الكريم - سورة هود).

(503) -قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا - (القران الكريم - سورة نوح)

(502) - أراذلنا أي أتعس الناس، أفقر الناس؛ الضعفاء.

(501) - بادي الأمر أي أنهم «إمعات يتبعون كل نعق».

(500) - من معاني الآيات القرآنية التي تحدثت عن نبي الله نوح في: الأعراف، ويونس، وهود، والمؤمنون، والعنكبوت، والشعراء، والصافات، والقمر، والحديد، والتحريم، ونوح.

(499) - المصادر القرآنية السابقة.

(498) - تفسير الشعراوي في حلقة تلفزيونية / معجم أعلام النساء في القرآن الكريم، لعماد الهلالي.

(497) - نَص بعض المفسرين على أنه كان لنوح امرأة مسلمة، قال البيضاوي في أنوار التنزيل: (إلا من سبق عليه القول) بأنه من المغرقين، يريد ابنه كنعان، وأمه واعلة، فإنهما كانا كافرين. ثن‌ة تـ ثم والمؤمنين من غيرهم.(وما ءامن معه إلا قليل)قيل: كانوا تسعة وسبعين: زوجته المسلمة، وبنوه الثلاثة: سام، وحام، ويافث، ونساؤهم، واثنان وسبعون رجلًا وامرأة من غيرهم. اهـ / وكذلك قال ابن عجيبة في البحر المديد.

(496) - قال عبد الله بن العباس رضي الله عنهما: «مابغت امرأة نبي قط».

(495) - تفسير بن كثير (٤/٣٩٣)

(494) - تفسير الطبري (٢٣/ ٤٩٧)

(493) - معجم أعلام النساء في القرآن الكريم، عماد الهلالي.

(492) - زوجات الأنبياء وأمّهات المؤمنين، محمد علي قطب.

(491) - وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36) - (القران الكريم - سورة هود)

(490) - (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) - (القران الكريم - سورة نوح)

(489) - وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (37) - (القران الكريم - سورة هود)

(488) - عن زيد بن أسلم قال: «مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها، ومائة سنة يعمل الفلك، وقيل: غرس الشجر أربعين سنة وجففه أربعين سنة».

(487) - تفسير الطبري، ابن جرير الطبري، ص ٣١٠.

(486) - وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) - (القران الكريم - سورة هود)

(485) - كلمة «دُسُر» في المعاجم اللغوية ليس معناها مسامير السفن وحسب؛ بل وشُرُطُها التي تُشد بها؛ وكان البحارة العرب في القرون الوسطى يسمون الحبال التي توضع بدل المساميرالمعدنية خوفًا من الصدأ دُسرًا، حتى ذهب بعض المفسرين إلى القول بأن دُسر السفينة هي حبالها وأربطتها.

(484) - (سفر التكوين ٦ / ١٤: ١٦)

(483) - الذراع هي وحدة قياس قديمة تعادل تقريبًا طول ساعِد الإنسان من المِرفق حتى رؤوس الأصابع، والذراع لدى بني إسرائيل قديمًا يساوي ٤٤.٥ سنتيمترًا، وأحيانًا ٤٦.٠ سنتيمترًا لاختلاف طول اليد وعدد الراحات، وقد أجمع العلماء أن هذا المقياس يجعلنا نتصور أن مساحة سفينة نوح ٤٥٠ × ٧٥ × ٤٥ قدم (على حسب رواية التوراة).

(482) - تفسير الطبري، الطبري، ص٣١١ / البداية والنهاية لابن كثير، قصة نوح عليه

السلام، ص ٢٥٩.

(481) - تفسير الطبري، ص ٣١٨ / البداية والنهاية لابن كثير، قصة نوح عليه السلام، ص ٢٦٠.

(480) - قال البيضاوي في أنوار التنزيل: زوجته المسلمة، وبنوه الثلاثة: سام، وحام، ويافث، ونساؤهم، واثنان وسبعون رجلًا وامرأة من غيرهم. أهـ. / وكذلك قال ابن عجيبة في البحر المديد.

(479) - البداية والنهاية، لابن كثير، قصة نوح عليه السلام، ص ٢٦١.

(478) - تفسير ابن عطية، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٣، ص ١٧٢.

(477) - تفسير الرازي، الرازي، ج ١٧، ص ٢٢٧.

(476) - فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ(12) - (القران الكريم - سورة القمر)

(475) - وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (41)- (القران الكريم - سورة هود)

(474) - (القران الكريم - سورة هود - الآيات ٤٢: ٤٣)

(473) - فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ- (القرآن الكريم - سورة هود)

(472) - العالم قبل الطوفان، ترجمة وإعداد علاء الحلبي، ج ١، ص ١٦٥.

(471) - المرجع السابق.

(470) - البداية والنهاية، ابن كثير، (قصة نوح عليه السلام)، ج ١، ص ٢٧٢: ٢٧٣.

(469) - يُعتقد أنه جبل «كاردو» بالشرناق، بتركيا، وبحسب التقاليد المسيحية والإسلامية البدائية هو مكان استقرار الفلك.

(468) - البداية والنهاية، ابن كثير، قصة نوح عليه السلام، ج ١، ص ٢٧٢: ٢٧٣.

(467) - كتاب أخبار الزمان، أبو الحسن المسعودي، ص ٨٥.

(466). - (وجعلنا ذريته هم الباقين)- (القران الكريم - سورة الصافات)

(465) - ورد في تفسير القرطبي، ج ٩، ص ٤٨: عن ابن عباس قال: «إن نوحا هو آدم الأصغر، وأن جميع الخلائق الآن من نسله» / وكذا من الائمة المسلمين الذين يتبنون نظرية عمومية الطوفان وأن كل البشر من نسل سام وحام ويافث (الشيخ محمد عبده - والشيخ السيد الطبطباني - وقصص الأنبياء لابن كثير - وتفسير اللباب النعماني - وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور - وعلاء الدين الخازن - وابن جرير الطبري وغيرهم الكثير).

(464) - فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ - (القران الكريم - سورة العنكبوت)

(463) - تاريخ الطبري، الطبري، ج ١، ص ١٣٠.

(462) - «فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ»». (سفر التكوين - ٦/٧)

(461) - «فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «قَدْ أَزِفَتْ نِهَايَةُ الْبَشَرِ جَمِيعًا أَمَامِي، لأَنَّهُمْ مَلأُوا الأَرْضَ ظُلْمًا. لِذَلِكَ سَأُبِيدُهُمْ مَعَ الأَرْضِ» (سفر التكوين - ٦/١٣)

(460) - فَهَا أَنَا أُغْرِقُ الأَرْضَ بِطُوفَانٍ مِنَ الْمِيَاهِ لأُبِيدَ كُلَّ كَائِنٍ حَيٍّ فِيهَا مِمَّنْ تَحْتَ السَّمَاءِ. كُلُّ مَا عَلَى الأَرْضِ لاَبُدَّ أَنْ يَمُوتَ (سفرالتكوين - ٦/١٧)

(459) - فَمَاتَ كُلُّ كَائِنٍ حَيٍّ يَتَحَرَّكُ عَلَى الأَرْضِ مِنْ طُيُورٍ وَبَهَائِمَ وَوُحُوشٍ وَزَوَاحِفَ وَكُلُّ بَشَرٍ. (سفر التكوين - ٧/٢١)

(458) - وَسَأَمْحُو كُلَّ كَائِنٍ حَيٍّ خَلَقْتُهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ. (سفر التكوين - ٧/٤)

(457) - (سفر التكوين - العهد القديم - ٧/ ٢١: ٢٣)

(456) - هو إنجيل من الاناجيل القانونية الأربعة، وهو مخصص لسرد قصة يسوع من المعمودية إلى الموت واكتشاف القبر الفارغ.

(455) - «وَكَانَ نُوحٌ ابْنَ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ. وَوَلَدَ نُوحٌ: سَامًا، وَحَامًا، وَيَافَثَ». (سفر التكوين - ٥ / ٣٢)

(454) - (سفر التكوين - ٦ / ١٤: ٢١)

(453) - فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ (سفر التكوين - ٧ / ١١)

(452) - وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، جَفَّتِ الأَرْضُ. (سفر التكوين - ٨ / ١٤)

(451) - (سِفر التكوين - ٦ / ١٩: ٢٠)

(450) - (سِفر التكوين - ٧ / ٢: ٣)

(449) - وَصِلَّةُ أَيْضًا وَلَدَتْ تُوبَالَ قَايِينَ الضَّارِبَ كُلَّ آلَةٍ مِنْ نُحَاسٍ وَحَدِيدٍ. وَأُخْتُ تُوبَالَ قَايِينَ نَعْمَةُ (سفر التكوين - ٤ / ٢٢)

(448) - الإيقان للبهائي الميرزا حسين علي نوري، المعروف بلقب «بهاء الله» عند البهائين.

(447) - From a letter written on behalf of Shoghi Effendi, 28 October 1949: Bahá'í News, No. 228, February 1950, p. 4. Republished in Compilation 1983, p. 508.

(446) - Poirier, Brent. «The Kitab-i-Iqan: The key to unsealing the mysteries of the Holy Bible».

(445) - الصابئة المندائيون إيمانهم وعقيدتهم، حسام هشام العيداني / المختصر في أخبار البشر، إسماعيل أبي الفداء.

(444) - ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان، باقر طه / كتاب طوفان نوح في القرآن والأساطير القديمة، منصور عبد الحكيم، ص ١٨.

(443) - مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة سوريا، أرض الرافدين، فراس السواح.

(442) - Creation Myths of the World - David Adams Lemming.

(441) - Margaret Whitney Green, Eridu in Sumerian Literature, PhD dissertation, University of Chicago [1975], p. 224.

(440) - previous source.

(439) - Jean Bottéro, Ancestor of the West: Writing, Reasoning, and Religion in Mesopotamia, Elam, and Greece, p. 40. University of Chicago Press, 2000.

(438) - George, Andrew R., trans. & edit. (1999), The Epic of Gilgamesh (reprinted with corrections 2003 ed.)

(437) - بحسب إعتقاد رواة اللوح (هو عالم تحت الأرض فيه مياه عذبة ويعلوه الإله إنكي)

(436) - الثلاثة مصادر السابقة.

(435) - ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان، باقر طه / كتاب طوفان نوح في القرآن والأساطير القديمة، منصور عبد الحكيم، ص ١٩٠.

(434) - جلجامش ملحة الرافدين الخالدة، فراس السواح.

(433) - Creation Myths of the World - David Adams Lemming.

(432) - القصص القرآني ومتوازياته التوراتية، فراس السواح.

(431) - Rendsburg, Gary. «The Biblical flood story in the light of the Gilgamesh flood account,» in Gilgamesh and the world of Assyria, eds Azize, J & Weeks, N. Peters, 2007, p. 117.

(430) - Wexler, Robert (2001). Ancient Near Eastern Mythology.

(429) - Heidel, Alexander. The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels: A translation and interpretation of the Gilgamesh Epic and related Babylonian and Assyrian documents. Chicago: U. of Chicago Press, 1946; 2ª edición, 1949.

(428) -Van Der Torn, Karel (February 2000). «Did Ecclesiastes copy Gilgamesh?», Bible Review. 16. P 22 ff

(427) -Wexler, Robert (2001). Ancient Near Eastern Mythology.

(426) - كتاب الخروج في النهار أو كتاب الموتى، هو عبارة عن مجموعة تراجم لجميع فصول كتاب الخروج في النهار التي ظهرت ابتداءًا من عصر الدولة الحديثة وحتى سقوط الأسرة السادسة والعشرين لمصر القديمة.

(425) - سولون أو صولون هو حكيم من أثينا الكلاسيكية، وهو واحد من حكماء الإغريق السبعة الذين يعود لهم الفضل في سن قوانين اجتماعية متقدمة بعد حرب الفقراء ضد الاقطاعين آنذاك، وسمي قانونهم قانون سولون.

(424) - صاحب كتاب Aegyptiaca (تاريخ مصر) باللغة اليونانية، والذي يُعد هو المصدر الرئيسي لعهود ملوك مصر القديمة.

(423) - ستجد قصة «عقاب رع للبشر على تجديفهم ضده» موجود مع ترجمته في كتاب واليس بادج، آلهة المصريين، ترجمة محمد حسين يونس، ص ٤٣٨-٤٥١ / وكذلك في كتاب أساطير العالم القديم، د: كارم محمود عزيز / وكتاب الموتى «الخروج في النهار» / أما أسطورة هلاك البشرية فهي مسجلة على جدران بعض المقابر الملكية في البر الغربي لطيبة (مقابر وادي الملوك)، وهي مقبرة سيتي الأول، ومقبرة رمسيس الثاني، ومقبرة رمسيس السادس، بجانب ما ورد منها على أحد مقاصير الملك توت عنخ آمون.

(422) - Creation Myths of the World - David Adams Lemming.

(421) - العملاق الأسطوري الذي حارب في صف اللاآلهة الأولمبية ضد العمالقة في الحرب العظمى، وكان البشر يحبونه دونًا عن الآلهة، وتعتبر قصته من أهم القصص في الميثولوجيا الغربية على الإطلاق.

(420) - هي إحدى محاورات أفلاطون، كتبت حوالي عام ٣٦٠ قبل الميلاد.

(419) - جبل من الحجر الجيري يقع في وسط اليونان، ويرتفع أعلى مدينة دلفي، الواقعة في شمال خليج كورينث.

(418) - كتاب الفلكلور في العهد القديم، جيمس فريزر، ص ١١٩ / أساطير حضارات العالم.

(417) - مغامرة العقل الأولى، فراس السواح، ص ١٢٣، ١٢٤.

(416) - Folklore in the Old Testament , James Fraser p. 201.

(415) - نصوص من الأدب الهندي تحتوي على مجموعة واسعة من المواضيع، وخاصة الأساطير والخرافات وغيرها من الحكايات الشعبية المتوارثة.

(414) -. Folklore in the Old Testament, James Fraser p. 134.

(413) - Creation Myths of the World, David Adams Lemming.

(412) - Folklore in the Old Testament, James Fraser p. 138.

(411) - previous source.

(410) - Same source, p. 159.

(409) - Creation Myths of the World, David Adams Lemming.

(408) - previous source.

(407) - ورد في تفسير القرطبي، ج ٩، ص ٤٨: عن ابن عباس قال: أن نوحًا هو آدم الأصغر، وأن جميع الخلائق الآن من نسله - ومن الأئمة الذين يتبنون نظرية عمومية الطوفان وأن كل البشر من نسل سام وحام ويافث (الشيخ محمد عبده - والشيخ السيد الطبطباني - وقصص الأنبياء لابن كثير - وتفسير اللباب النعماني - وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور - وعلاء الدين الخازن - وابن جرير الطبري وغيرهم الكثير).

(406) - قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: لم تبقَ إلا ذرية نوح عليه السلام / وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: الناس كلهم من ذرية نوح / وقال الطبري: الناس كلهم من بعد مهلك نوح إلى اليوم إنما هم ذرية نوح...)

(405) - وهذا رأي ابن كثير في البداية والنهاية حيث قال: «أجمع أهل الأديان الناقلين عن رُسل الرحمن مع ما تواتر عند الناس في سائر الأزمان على وقوع الطوفان وأنه عم جميع البلاد ولم يبقِ الله أحدًا من كفرة العباد استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم وتنفيذًا لما سبق في القدر المحتوم.»

(404) - القرآن الكريم، سورة نوح، الآية (٢٦)

(403) - القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية (٥٥)

(402) - القرآن الكريم، سورة يونس، الآية (٧٨)

(401) - القرآن الكريم، سورة هود، الآية (١٨)

(400) - القرآن الكريم، سورة الصافات، الآية (٧٧)

(399) - الحواريون هم تلامذة عيسى بن مريم (يسوع) الاثنى عشر بحسب القرآن والتقليد الإسلامي الذي يتطابق مع الإنجيل والتقليد المسيحي.

(398) - أي ذيله.

(397) - أي صدرها أو أوسطها.

(396) - أي قط وقطة.

(395) - أورد بن كثير هذه القصة في «البداية والنهاية» ثم قال: «وهذا أثر غريب جدًا»، وهذه الحديث لم يروها عن ابن عباس إلا يوسف بن مهران، ولم يروه عن يوسف بن مهران، إلا علي بن زيد بن جدعان، ولم يروه عن علي بن زيد إلا المفضل بن فضالة؛ فهو أثر غريب منكر مسلسل بالضعفاء؛ لذلك نقل الإمام السيوطي في «التدريب» عن الإمام أحمد بن حنبل، قال: «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب؛ فإنها مناكير، وعامتها عن الضعفاء»، ونقل عن مالك، قال: «شرُّ العلم الغريب، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس»، ثم قال السيوطي: «وروى ابن عدي عن أبي يوسف، قال: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كَذَبَ، وأورد هذا الحديث الإمام المزي في «تهذيب الكمال»، قال: المفضل بن فضالة بن أبي أمية القرشي، أبو مالك البصري. ثم بيّن من روى عنهم، وفيهم علي بن زيد بن جدعان، كذلك وبيّن من رووْا عنه، وفيهم حجاج بن محمد المصيصي، ثم نقل أقوال علماء الجرح والتعديل فيه، قال عباس الدوري، عن يحيى بن معين: ليس بذاك، وقال أبو عبيد الآجري، عن أبي داود: بلغني عن علي أنه قال: في حديثه نكارة.

(394) - أي عند مؤخرتها.

(393) - تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٣ - ص١٧٢ - روى القصة وقال في آخرها: قال القاضي أبو محمد: وهذا كله قصص لا يصح إلا لو استند، والله أعلم كيف كان.

(392) - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا، ثم قال: اذهب فسلم على.... فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن). رواه

البخاري (٣٣٣٦) ومسلم (٧٠٩٢) / وقول النبي -صلّى الله عليه وسلم-: (فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن) قال عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦/٣٦٧): أي أن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله، فانتهى تناقص الطول إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك) أ.هـ.

(391) - هذا الخبر باطل كذب آفته «عبد المنعم بن إدريس»، قال الذهبي في الميزان: قصاص ليس يعتمد عليه تركه غير واحد / وأفصح أحمد بن حنبل فقال: كان بن إدريس يكذب على وهب بن منبه / وقال البخاري: ذاهب الحديث / وقال ابن حبان: يضع الحديث على أبيه وعلى غيره/ وقال الحافظ ابن حجر في اللسان: نقل بن أبي حاتم عن إسماعيل بن عبد الكريم قال: مات إدريس وعبد المنعم رضيع / وكذا قال أحمد إذا سئل عنه: لم يسمع من أبيه شيئًا/ وقال ابن معين: كذاب خبيث/ وقال الفلاس: [ص: ٤١٣] متروك/ وقال أبو زرعة: واهي الحديث/ وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث/ وقال ابن المديني، والنسائي: ليس بثقة انتهى.. وما رأيتهم أوردوا حديثًا من روايته إلا حكموا عليه بالبطلان. وفي كتاب الموضوعات لابن الجوزي من ذلك شيء كثير، بل ذكر ابن الجوزي أن أباه إدريس أيضًا متروك فسقط هذا الخبر بالكلية.

(390) - الأنساب، الصحاري، ص ٢٢.

(389) - تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج ١، ص ٥.

(388) - تاريخ الطبري، الطبري، ج ١، ص ١٨٩ / معجم البلدان، ياقوت الحموي ج ٣، ص ٢٣ / الأنساب، الصحاري، ص ٢١.

(387) - تاريخ الطبري، الطبري، ج ١، ص ١٨٩.

(386) - معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٢، ص ١٧٩.

(385) - روض المعطار في خبر الأقطار، الحميري، ص ١٨١.

(384) - دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري: «الجودي».

(383) - الموسوعة الأرمينية، المجلد الأول، ص ٦٩١.

(382) - مجلة التراث العربي، العدد ٩٧، السنة الرابعة والعشرون - آذار ٢٠٠٥ - مقال بعنوان: الجودي الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح في القرآن الكريم والكتب المقدسة وكتب

التاريخ - للباحث السوري: مختار فوزي النعال.

(381) - «وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ.» (سفر التكوين / ٨: ٤).

(380) - قاموس الكتاب المقدس، مادة (ارارات) ص ٤٢.

(379) - Hewsen, Robert H. «The Geography of Armenia» in The Armenian People From Ancient to Modern Times Volume I: The Dynastic Periods: From Antiquity to the Fourteenth Century. Richard G. Hovannisian (ed.) New York: St. Martin›s Press, 1997, pp. 1-17

(378) - قاموس «هملون لحداش لنتاخ» العبري - أراراط.

(377) - كتاب العلم الأعجمي في القرآن مفسرا بالقران، د: رؤوف ابو سعده، ص ٢٣٤

(376) - مجلة التراث العربي، العدد ٩٧، السنة الرابعة والعشرون - آذار ٢٠٠٥ - مقال بعنوان: الجودي الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح في القرآن الكريم والكتب المقدسة وكتب التاريخ، للباحث السوري: مختار فوزي النعال.

(375) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ٩، ص ٤٢، الآية ٤٤ من سورة هود.

(374) - قال الشيخ محمود محمد شاكر في تقديمه لكتاب «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار ص٥٢ عن الجودي، قالوا: جبلٌ بالجزيرة، استوت عليه سفينة نوح، ولا أقطع القول في أي جبل هو؟ فإنهم ذكروا أن «الجودي» أيضًا جبل آخر بأجأ، أحدِ جبلَي طيء. وقيل أيضًا: إن الجودي اسم لكل جبل. وقيل: الجودي هو جبل الطور.

(373) - Lippard, Jim (1994). «Sun Goes Down In Flames: The Jammal Ark Hoax». pp. 22-23.

(372) - The previous reference.

(371) - Parrot, Friedrich (1859) [1834]. Journey to Ararat. Translated by Cooley, W. D. New York: Harper & Brothers.

(370) - Bryce, James (1896) [1877]. Transcaucasia and Ararat: Being Notes of a Vacation Tour in the Autumn of 1876 (4th ed., revised ed.). London.

(369) - The previous reference.

(368) - Cummings, Violet M. (1973). Noah›s Ark: Fable or Fact? San Diego: Creation-Science Research Center.

(367) - The previous reference.

(366) - Sellier, Charles E.; Balsiger, David W. (April 1995). The Incredible Discovery of Noah›s Ark. New York: Dell.

(365) - The previous reference.

(364) - ibid.

(363) - Collins, Lorence Gene; Fasold, David Franklin (1996). «Bogus «Noah›s Ark» from Turkey Exposed as a Common Geologic Structure». Journal of Geoscience Education. Vol. 44 no. 4. pp. 439-444.

(362) - The previous reference.

(361) - Cummings, Violet M. (1973). Noah›s Ark: Fable or Fact?. San Diego: Creation-Science.

(360) - Crouse, Bill (February-March 1990). «Phantom Arks On Ararat» The Ararat Report. No. 24.

(359) - Hacker, Kathy (31 January 1984). «Ex-Astronaut blasts off on new mission: Find Noah›s Ark». Tempo. Chicago Tribune. p. NW1-2.

(358) - Irwin, James B. (1985). More than an Ark on Ararat:

Spiritual lessons learned while searching for Noah›s ark. With Monte Unger. Nashville: Broadman Press.

(357) - Ex-astronaut vows to persist in search for biblical ark». Chicago Tribune. 17 August 1983. p. 15.

(356) - Howe, Marvin (1 October 1983). «The rush is on to climb Mt Ararat». The Canberra Times. p. 11.

(355) - Toumey, Christopher P. (October 1997). «Who›s Seen Noah›s Ark? Natural History. 106 (9). p. 14.

(354) - Howe, Marvin (1 October 1983). «The rush is on to climb Mt Ararat». The Canberra Times. p. 11.

(353) - Hacker, Kathy (31 January 1984). «Ex-Astronaut blasts off on new mission: Find Noah›s Ark». Tempo. Chicago Tribune. p. NW1-2

(352) - الزلاجات هي الأداة الخاصة بالتزحلق على الجليد.

(351) - The previous reference.

(350) - Goltz, Thomas C. (25 August 1985). «Raiders search for Noah›s Ark".

(349) - Goltz, Thomas C. (24 August 1985). «Ex-astronaut searching for Noah›s Ark".

(348) - Bright, Richard (1999). «1984-2006 Dick Bright, Ph.D.». In Corbin, B. J. (ed.). The Explorers of Ararat and the Search for Noah›s Ark. Great Commission Illustrated Books. pp. 226-273.

(347) - Sifford, Darrell (1 June 1986). «Astronaut thinks ark is no myth». Chicago Tribune. p. A5.21.

(346) - Ex-Astronaut Irwin Briefly Detained in Turkey With AM-Soviet-Reporter, Bjt», Associated Press. 30 August.

(345) - The previous reference.

(344) - Trott, William C. (30 July 1987). «Irwin After The Lost Ark». UPI.

(343) - Astronaut hopes to resume search for Noah›s ark». UPI. 30 July 1987.

(342) - Morris, John D. (January 1988). «A Report on the ICR Ararat Expedition, 1987». Acts & Facts. 17 (1).

(341) - Cornuke, Robert; Halbrook, David (2001). In Search of the Lost Mountains of Noah: The Discovery of the Real Mts. of Ararat.

(340) - فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ - (القرآن الكريم - سورة العنكبوت)

(339) - الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحِميري، ج ١، ص ١٥٠.

(338) - تاريخ الطبري، الطبري، ج ١، ص ١٨٩.

(337) - المرجع السابق.

(336) - الانساب، السمعاني، ج ٣، ص ١٤٩.

(335) - المرجع السابق.

(334) - وكانَ نُوحٌ أوّلَ فلاحٍ غرسَ كَرْمًا. وشربَ نُوحٌ مِنَ الخمرِ، فسَكِرَ وتَعَرّى في خيمَتِه. فرأى حامٌ أبو كنعانَ عورَةَ أبيهِ، فأخبَرَ أخويهِ وهُما خارِجًا. فأخذَ سامٌ ويافَثُ ثوبًا وألقياهُ على أكتافِهما. ومَشيا إلى الوراءِ ليَستُرا عورَةَ أبيهما، وكانَ وجهاهُما إلى الخلفِ، فما أبصَرا عورَةَ أبيهما. فلمّا أفاقَ نُوحٌ مِنْ سُكْرِهِ علِمَ بِما فعلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغيرُ، فقالَ: مَلعونٌ كنعانُ عبدًا ذليلًا يكونُ لإخوَتِهِ، وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. (سفر التكوين - ٩ / ٢٠: ٢٧)

(314) - «بنو سام: عِيلاَمُ وَأَشُّورُ وَأَرْفَكْشَادُ وَلُودُ وَأَرَامُ». (سفر التكوين - ١٠ / ٢٢).

(313) - الأنساب، للصحاري، ص ٢٢.

(312) - «وَبَنُو حَامٍ: كُوشُ وَمِصْرَايِمُ وَفُوطُ وَكَنْعَانُ.» (سفر التكوين - ١٠ / ٦).

(311) - الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ج ١، ص ٧٤.

(310) - الأنساب، الصحاري، ص ٢٣.

(309) - بَنُو يَافَثَ: جُومَرُ وَمَاجُوجُ وَمَادَاي وَيَاوَانُ وَتُوبَالُ وَمَاشِكُ وَتِيرَاس (سفر التكوين - ١٠ / ٢٠)

(308) - الكامل في التاريخ، إبن الأثير، ج ١، ص ٧٤.

(307) - الأنساب، الصحاري، ص ٢١.

(306) - المرجع السابق.

(305) - تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج ١، ص ٥.

(304) - عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كنّا عند رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه وسلّم فجاءه رجُلٌ مِن أهلِ الباديةِ، عليه جُبَّةُ سيجانٍ، مَزرورةٌ بالدِّيباجِ، فقال: .... فقال لابنِه: إنّي قاصٌّ عليك الوصيّةَ: آمُرُك باثنتينِ وأنهاك عن اثنتينِ؛ آمُرُك بلا إلهَ إلّا اللهُ؛ فإنّ السَّمواتِ السَّبعَ والأرَضينَ السَّبعَ، لو وُضِعَتْ في كِفّةٍ ووُضِعَتْ لا إلهَ إلّا اللهُ في كِفّةٍ، رجَحَتْ بهنَّ لا إلهَ إلّا اللهُ، ولو أنّ السَّمواتِ السَّبعَ والأرَضينَ السَّبعَ كُنَّ حَلقةً مُبهَمةً، قَصَمَتْهنَّ لا إلهَ إلّا اللهُ وسُبحانَ اللهِ وبحمدِه؛ فإنّها صلاةُ كلِّ شيءٍ، وبها يُرزَقُ الخَلْقُ، وأنهاك عنِ الشِّركِ والكِبْرِ، قال: قُلتُ........ الى آخر الحديث) الراوي: عبد الله بن عمرو - المحدث: الوادعي - المصدر: الصحيح المسند - الصفحة أو الرقم: ٨٠٩ - خلاصة حكم المحدث: صحيح - قال عنه بن كثير صحيح.

(303) - رواه ابن أبي الدنيا بإسناده عن أنس رضي الله عنه - (..... ومثل هذه المواعظ، ولذا يتسقح العلماء بروايته؛ لأنه لا تُبنى عليه أحكام شرعية).

(302) - البداية والنهاية، ابن كثير، ج ١، ص١٣٧

(301) - أولو العزم من الرسل نوح عليه السلام، عبد الله محمد، ص ٤٩.

(300) - تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج ١، ص ٥.

(299) - المرجع السابق.

(298) - أخبار الزمان، المسعودي، ص ٨٥.

(297) - الفرسخ كانت وحدة الطول قديمًا، والفرسخ الواحد كان يساوي حوالي أربعة كيلو مترات.

(296) - تاريخ الطبري، الطبري ج ١، ص ٢٠٣.

(295) - كَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَة. ٢- وَحَدَثَ فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ. (سفر التكوين - ١١ / ٢:١)

(294) - قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية، شرح كلمة شِنْعَار.

(293) - وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نَصْنَعُ لِبْنًا وَنَشْوِيهِ شَيًّا». فَكَانَ لَهُمُ اللِّبْنُ مَكَانَ الْحَجَرِ، وَكَانَ لَهُمُ الْحُمَرُ مَكَانَ الطِّينِ (سفر التكوين - ١١ / ٣)

(292) - وَقَالُوا: «هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ». فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. (سفر التكوين - ١١ / ٤: ٥)

(291) - فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ،٩- لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «بَابِلَ» لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. (سفر التكوين - ١١ / ٨: ٩)

(290) - قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية، شرح بلبلة الألسنة.

(289) - وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ - (القرآن الكريم - سورة الروم)

(288) - الأخبار الطوال، أبوحنيفة بن دواود الدينوري، ج ١، ص ٢.

(287) - خفايا التوراة، كمال صليبي، ص ٨٨.

(286) - المرجع السابق.

(270) - الجواهر الباهرة في النسب الشريف، العمراني، ص ٢٤: ٣٥.

(269) - جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص ٤٨٥.

(268) - (سِفر التكوين - ١٠ / ٢٥: ٣٠)

(267) - الإنباه على قبائل الرواة، ابن عبد البر، ص ٢٦ / التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب، الأشعري القرطبي، ص ٢٣٣/ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، ج ١٢، ص ٥٦ / جمهرة أنساب العرب، الأندلسي، ص ٣٢ / النسب، أبو عبيد القاسم، ص ٤٥.

(266) - وَلِعَابِرَ وُلِدَ ابْنَانِ: اسْمُ الْوَاحِدِ فَالَجُ لأَنَّ فِي أَيَّامِهِ قُسِمَتِ الأَرْضُ. (سفر التكوين - ١٠ / ٢٥)

(265) - تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج ١، ص ٧.

(264) - تفسير بحر العلوم، السمرقندي، تفسير سورة الأنعام، آية ٧٤: - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

(263) - معالم التنزيل تفسير البغوي، تفسير سورة الأنعام، آية ٧٤: - وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ .

(262) - «وَعَاشَ تَارَحُ سَبْعِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ.» (تكوين ١١: ٢٦).

(261) - «وَاتَّخَذَ أَبْرَامُ وَنَاحُورُ لأَنْفُسِهِمَا امْرَأَتَيْنِ: اسْمُ امْرَأَةِ أَبْرَامَ سَارَايُ، وَاسْمُ امْرَأَةِ نَاحُورَ مِلْكَةُ بِنْتُ هَارَانَ، أَبِي مِلْكَةَ وَأَبِي يِسْكَةَ.» (سفر التكوين ١١- ٢٩).

(260) - آرام النهرين - معلومات من موقع الأنبا تكلا / ومقال لمحمود حمود، تحت اسم «آام»، الموسوعة العربية

(259) - وَعَاشَ تَارَحُ سَبْعِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ. (سفر التكوين - ١١ - ٢٦)

(258) - وَهذِهِ مَوَالِيدُ تَارَحَ: وَلَدَ تَارَحُ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ. وَوَلَدَ هَارَانُ لُوطًا. (سفر التكوين ١١ / ٢٧)

(257) - هي إحدى شخصيات الكتاب المقدس، وهي الشخصية الرئيسية في «سفر

راعوث»، وهو أول سفر مسمى باسم امرأة نظرًا للرتبة العالية والقديرة التي وصلت إليها، وقد كانت زوجة بوعز جد أب الملك داوود.

(256) - وعاش تارح سبعين سنة، وولد أبرام وناحور وهاران. (سفر التكوين - ١١ / ٢٦)

(255) - البداية والنهاية، ابن كثير، الجزء الأول (قصة إبراهيم خليل الرحمن) / تفسير بن كثير، تفسير سورة الانعام، آية ٧٤ / التحرير والتنوير، ابن عاشور، تفسير نفس الآية.

(254) - قد ورد عن ابن عباس: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر، إنما كان اسمه تارح. رواه ابن أبي حاتم.

(253) - (سفر التكوين - ٢٥ / ١: ٤)

(252) - تاريخ الطبري، الطبري، ج ١، ص ٣٠٩ - فصل / ذكر وفاه ساره بنت هاران، وهاجر أم إسماعيل وذكر أزواج إبراهيم ع وولده.

(251) - تاريخ الطبري، المرجع السابق، ص ٣١١.

(250) - البداية والنهاية لإبن كثير، الجزء الأول (وفاة إبراهيم وما قيل في عمره) ص ١٧٣: ١٧٥.

(249) - خزانة الأدب، البغدادي، باب الشاهد ٤٣٧ / البدء والتأريخ، بن طاهر المقدسي، ج ٣، ب ١٠ / جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، ج ١، ص ٧٥ / أعلام النبوة، أبو الحسن الماوردي، ب ١٨، ص ٢١٥ / تاريخ الطبري، ج ١

(248) - وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا -(القران الكريم - سورة مريم)

(247) - تفسير ابن كثير، سورة مريم، الآية ٥٤.

(246) - وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً.» (سفر التكوين - ١٧/ ٢٠)

(245) - (سفر التكوين - ٢٥ / ١٢: ١٨)

(244) - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د جواد علي، ج ١.

(243) - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون ج٢، ص١٦ / تاج العروس، الزبيدي، ج٣، ص ٣٣٣.

(242) - تاج العروس، الزبيدي، ج ٩، ص ٢٧٥.

(241) - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون ج٢، ص١٦ / تاج العروس، الزبيدي، ج٣، ص ٣٣٣.

(240) - نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، نهاية ج٣، ص ٣٢٤.

(239) - الطبقات الكبير، ابن سعد البغدادي، ج١، ق١، ص٢٩.

(238) - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج ٢، ص ٢٩٨.

(237) - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون - ج ١، ص٣ / أنساب الأشراف، البلاذري، ج ١، ص ١٢ / الإشتقاق، ابن دريد، ص ٢٠.

(236) - رواه الطبراني بإسناد جيد / كذا قال الحافظ في «الفتح» «٦/ ٥٢٨-٥٢٩».

(235) - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٢٩٥.

(234) - وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَمْزَحُ،١٠ فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّ ابْنَ هذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ».١١ فَقَبُحَ الْكَلاَمُ جِدًّا فِي عَيْنَيْ إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ.١٢ فَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «لاَ يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلاَمِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا، لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ.١٣ وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لأَنَّهُ نَسْلُكَ» (سفر التكوين - ٢١ / ٩: ١٣)

(233)

(232) - وَكَانَ إِسْحَاقُ فِي الأَرْبَعِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا تَزَوَّجَ رِفْقَةَ بِنْتَ بَتُوئِيلَ الأَرَامِيِّ مِنْ سَهْلِ أَرَامَ، وَأُخْتَ لاَبَانَ الأَرَامِيِّ. (سفر التكوين - ٢٥ / ٢٠)

(231) - وَإِذْ تَصَارَعَ الطِّفْلاَنِ فِي بَطْنِهَا قَالَتْ: «إِنْ كَانَ الأَمْرُ هَكَذَا فَمَالِي وَالْحَبَلُ؟» وَمَضَتْ لِتَسْتَفْهِمَ مِنَ الرَّبِّ ٢٣ فَقَالَ لَهَا الرَّبُّ: «فِي أَحْشَائِكِ أُمَّتَانِ، يَتَفَرَّعُ مِنْهُمَا شَعْبَانِ. شَعْبٌ يَسْتَقْوِي عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ (سفر التكوين - ٢٥ / ٢٢: ٢٣)

(230) - وَكَبُرَ الْوَلَدَانِ، فَأَصْبَحَ عِيسُو صَيَّادًا مَاهِرًا وَرَجُلَ بَرِّيَّةٍ، بَيْنَمَا كَانَ يَعْقُوبُ رَجُلًا هَادِئًا يُقِيمُ فِي الْخِيَامِ. ٢٨ وَأَحَبَّ إِسْحَاقُ عِيسُو لأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ صَيْدِهِ، أَمَّا رِفْقَةُ فَقَدْ أَحَبَّتْ يَعْقُوبَ (سفر التكوين - ٢٥ / ٢٧)

(229) - فَقَالَ عِيسُو لِيَعْقُوبَ: «أَطْعِمْنِي مِنْ هَذَا الطَّبِيخِ الأَحْمَرِ لأَنِّي جَائِعٌ جِدًّا». لِهَذَا دُعِيَ عِيسُو بِأَدُومَ. ٣١ فَقَالَ يَعْقُوبُ: «بِعْنِي أَوَّلًا امْتِيَازَاتِ بَكُورِيَّتِكَ». ٣٢ فَقَالَ عِيسُو: «أَنَا لابُدَّ مَائِتٌ، فَأَيُّ نَفْعٍ لِي مِنْ بَكُورِيَّتِي؟» ٣٣ فَأَجَابَهُ يَعْقُوبُ: «احْلِفْ لِي أَوَّلًا». فَحَلَفَ لَهُ، وَبَاعَ امْتِيَازَاتِ بَكُورِيَّتِهِ لِيَعْقُوبَ. ٣٤ عِنْدَئِذٍ أَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُو خُبْزًا وَطَبِيخَ عَدَسٍ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ثُمَّ قَامَ وَمَضَى فِي سَبِيلِهِ. وَهَكَذَا احْتَقَرَ عِيسُو امْتِيَازَاتِ الْبَكُورِيَّةِ. (سفر التكوين - ٢٥ / ٣٠: ٣٤)

(228) - القصة كاملة في (سفر التكوين، الاصحاح ٢٧)

(227) - القصة كاملة في (سفر التكوين، الإصحاحات ٢٧، ٢٨،٢٩)

(226) - القصة كاملة في (سفر التكوين، الاصحاحات ٢٩، ٣٠)

(225) - تفسير الطبري (٢١٠٦) سورة البقرة، آية ١٣٦.

(224) - بنو سام: عِيلَامُ وَأَشُّورُ وَأَرْفَكْشَادُ وَلُودُ وَأَرَامُ. (سفر التكوين - ١٠ / ٢٢)

(223) - تاريخ الطبري، الطبري، ج ١، ص ٢٠٣.

(222) - الطبري، المرجع السابق، ص ٢٠٦.

(221) - الطبري، نفس المرجع، ص ١٠٣.

(220) - المحبر، بن حبيب البغدادي، ص ٣٩٥.

(219) - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د جواد علي، ج ١.

(218) - المرجع السابق.

(217) - تفسير ابن كثير، ابن كثير، ج ٤، ص ٣٣٣: ٣٣٤.

(216) - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج ٢، ص ١٩.

(215) - الإكليل، الهمداني، ج ٨، ص ٣٢.

(214) - The Los Angeles Team Unveils «The Legendary Lost City» by Thomas (2) / LA Time, Feb 5

(213) - eake, Jonathan (20 October 2002). «Lost 'Atlantis of the desert' runs into sands of doubt». The Sunday Times. Retrieved 24 May 2012.

(212) - القصة من الآيات القرآنية التي ذكرت قصة عاد في سورة (الأعراف - هود - الشعراء - فصلت - القمر - الحاقة)

(211) - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج ٢، ص ٢٠.

(210) - الهلال، ج ٢٣، ص ٨٩١.

(209) - تاريخ الطبري، الطبري، ج ١، ص ٢٢٠.

(208) - تفسير ابن كثير، ابن كثير، ج ٤، ص ٣٣٣: ٣٣٤.

(207) - تفسير الطبري، الطبري، ج ١، ص.٢٢٦

(206) - صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، ج ١، ص ٣١٣.

(205) - تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ج٢، ص ٣١٢.

(204) - البداية والنهاية، ابن كثير، ج ١، ص ١٣٠.

(203) - تفسير الطبري، الطبري، ج ٣٠، ص ١١٣.

(202) - Phillip Hitti, A History of the Arabs, London: Macmillan, 1970, p. 37.

(201) - تاريخ الطبري، الطبري، ج١، ص ٢٣١.

(200) - القصة من الآيات القرآنية التي ذكرت قصة ثمود ونبيهم صالح في سور (الأعراف - هود - الشعراء - النمل - فصلت - الذاريات - القمر - الحاقة - الشمس)

(199) - المرجع السابق.

(198) - ديوان حسان، البرقوقي، ص ١٢٠ / البداية والنهاية، لابن كثير، (قصة صالح نبي ثمود عليه السلام)، ج ١، ص ١٣٥.

(128) - وَبَنُو كُوشَ: سَبَا وَحَوِيلَةُ وَسَبْتَةُ وَرَعْمَةُ وَسَبْتَكَا. وَبَنُو رَعْمَةَ: شَبَا وَدَدَانُ.وَكُوشُ وَلَدَ نِمْرُودَ الَّذِي ابْتَدَأَ يَكُونُ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ (سفر التكوين - ١٠ / ٧)

(127) - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د جواد علي، ج ١، ص ٤٥٩.

(126) - المرجع السابق.

(125) - واهاج الرب على يهورام روح الفلسطينيين والعرب الذين بجانب الكوشيين. فصعدوا إلى يهوذا وافتتحوها وسبوا كل الأموال الموجودة في بيت الملك مع بنيه ونسائه أيضًا ولم يبقَ له ابن الا يهواحاز أصغر بنيه. وبعد هذا كله ضربه الرب في أمعائه بمرض ليس له شفاء (سفر أخبار الأيام الثاني ٢١:١٦)

(124) - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ج ١، ص ٤٥٩.

(123) - المرجع السابق.

(122) - المرجع نفسه.

(121) - تفسير ابن كثير، ابن كثير، سورة البقرة، ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه.

(120) - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ج٣، ص ٢٨٣/ وتفسير الطبري، الطبري، ج٥، في تفسير «ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه »/ وعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد الحكي، ص ١٠٧.

(119) - ١٠١ أسطورة توراتية، جاري جرينبرج، الأسطورة رقم ٤٦.

(118) - المرجع السابق.

(117) - الحضارات السامية القديمة، لسبتينو موسكاتي، ترجمة د. سيد يعقوب / الساميون ولغاتهم، حسن ظاظا ١٩٩٠ / حضارة الشعوب السامية القديمة، لدكتور محمد خليفة حسن / المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د جواد علي / من الساميين إلى العرب، للشيخ نسيب الخازن / الحضارات السامية المبكرة، للدكتور خزعل الماجدي / العرب في الهلال الخصيب، لبرهان زريق / العرب في العصور القديمة، للطفي عبد الوهاب.

(116) - وَبَنُو حَامٍ: كُوشُ وَمِصْرَايِمُ وَفُوطُ وَكَنْعَانُ. (سفر التكوين - ١٠ / ٦)

(115) - وَمِصْرَايِمُ وَلَدَ: لُودِيمَ وَعَنَامِيمَ وَلَهَابِيمَ وَنَفْتُوحِيمَ. وَفَتْرُوسِيمَ وَكَسْلُوحِيمَ. الَّذِينَ

خَرَجَ مِنْهُمْ فِلِشْتِيمُ وَكَفْتُورِيمُ (سفر التكوين - ١٠ / ١٣)

(114) - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج ٢، ص ١٢.

(113) - الآيات السابقة من سفر التكوين.

(112) - فيكتور بي هاميلتون هو عالم لاهوت كندي / أمريكي، كان أستاذًا للعهد القديم واللاهوت في جامعة أسبوري.

(111) - Victor P. Hamilton (31 October 1990). The Book of Genesis, Chapters 1-17. Wm. B. Eerdmans Publishing. p264.

(110) - وَمِصْرَايِمُ وَلَدَ: لُودِيمَ وَعَنَامِيمَ وَلَهَابِيمَ وَنَفْتُوحِيمَ. وَفَتْرُوسِيمَ وَكَسْلُوحِيمَ. الَّذِينَ خَرَجَ مِنْهُمْ فِلِشْتِيمُ وَكَفْتُورِيمُ (سفر التكوين - ١٠ / ١٣)

(109) - سعيد بن يوسف أبو يعقوب الفيومي المشهور بـ«سَعْدِيا»، حاخام وفيلسوف يهودي مصري، هو أول شخصية عبرية مهمة تكتب على نطاق واسع بالعربية، ويعتبر مؤسس الأدب العربي اليهودي.

(108) - Saadia Gaon (1984). تحرير يوسف قافيه .Rabbi Saadia Gaon›s Commentaries on the Pentateuch (باللغة العبرية) Jerusalem: Mossad Harav Kook. p33.

(107) - وَيَتَسَلَّطُ عَلَى كُنُوزِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَعَلَى كُلِّ نَفَائِسِ مِصْرَ. وَاللُّوبِيُّونَ وَالْكُوشِيُّونَ عِنْدَ خُطُوَاتِهِ (سفر دنيال - ١١ / ٤٣)

(106) - «بِأَلْفٍ وَمِئَتَيْ مَرْكَبَةٍ وَبِسِتِّينَ أَلْفَ فَارِسٍ، وَلَمْ يَكُنْ عَدَدٌ لِلشَّعْبِ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ مِنْ مِصْرَ: لُوبِيِّينَ وَسُكِّيِّينَ وَكُوشِيِّينَ.» (سفر أخبار الأيام الثاني - ١٣/ ١٢)

(105) - «أَلَمْ يَكُنِ الْكُوشِيُّونَ وَاللُّوبِيُّونَ جَيْشًا كَثِيرًا بِمَرْكَبَاتٍ وَفُرْسَانٍ كَثِيرَةٍ جِدًّا؟ فَمِنْ أَجْلِ أَنَّكَ اسْتَنَدْتَ عَلَى الرَّبِّ دَفَعَهُمْ لِيَدِكَ.» (سفر أخبار الأيام الثاني - ١٦ / ٨)

(104) - وَمِصْرَايِمُ وَلَدَ: لُودِيمَ وَعَنَامِيمَ وَلَهَابِيمَ وَنَفْتُوحِيمَ. وَفَتْرُوسِيمَ وَكَسْلُوحِيمَ. الَّذِينَ خَرَجَ مِنْهُمْ فِلِشْتِيمُ وَكَفْتُورِيمُ (سفر التكوين - ١٠ / ١٣)

(103) - الآيات السابقة من سفر التكوين.

(102) - الآيات نفسها من سفر التكوين.

(101) - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج ٢، ص ١٢.

(100) - المرجع السابق.

(99) - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي، ج ٤، ص ٣٩٠.

(98) - المرجع السابق.

(97) - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي، ج ١، ص ٣٧.

(96) - يقصد في زمانه، ولم يقصد أن مصر كانت تحت حكمه.

(95) - القثاء جنس نبات من القرعيات، طعمه ما بين الخيار والكوسي.

(94) - القرية الأصلية مكان خليج إسكندرية الحالي.

(93) - المرجع السابق.

(92) - فتوح مصر وأخبارها، أبو القاسم بن أعين القرشي المصري، ص٩.

(91) - أي جامع أمه فيه في السفينة بدون رضا نبي الله نوح.

(90) - المرجع السابق.

(89) - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري، ج ١، ص ٣٩.

(88) - فتوى برقم: ١١١٧١٦ على المنصة الاسلامية إسلام ويب.

(87) - المرجع السابق.

(86) - وَبَنُو حَامٍ: كُوشُ وَمِصْرَايِمُ وَفُوطُ وَكَنْعَانُ. (سفر التكوين العهد القديم - ١٠ / ٦)

(85) - Fox News report titled:North Africa's Berbers get boost from Arab Spring.

(84) - أصل البربر - غابرييل كامب.

(83) - أصول الإنسان الأمازيغي، مقال للدكتور جميل حمداوي، نقلًا عن د/ محمد خير

فارس - تنظيم الحماية الفرنسية المغرب، دمشق، سوريا، ص:١٩٢-٤٥٦.

(82) - البربر، عثمان الكعاك، ص ٥٩.

(81) - البربرة عند العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة.

(80) - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج ٦، ص ٩٠.

(79) - البربر في الأندلس، محمد حقي، ص ١٧.

(78) - البربر مشارقة في المغرب، محمد المختار العرباوي، ص:٤٢-٤٣.

(77) - E.F.Gautier: Le passé de l›Afrique du Nord,(les siècles obscures), Payot,Paris,1952, p:139.

(76) - العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ابن خلدون، ج ٦، ص ١٩١.

(75) - الأمازيغ (البربر) عبر التاريخ، الشطيبي الأندلسي، تحقيق: عبد الحفيظ الطيبي، ص ١٩.

(74) - المرجع السابق ص ٢٠.

(73) - البربر، عثمان الكعاك، ص:٥٩-٦٠.

(72) - وَبَنُو حَامٍ: كُوشُ وَمِصْرَايِمُ وَفُوطُ وَكَنْعَانُ. (سفر التكوين - ١٠ / ٦)

(71) - وَكَنْعَانُ وَلَدَ: صِيدُونَ بِكْرَهُ، وَحِثًّا.وَالْيَبُوسِيَّ وَالأَمُورِيَّ وَالْجِرْجَاشِيَّ. وَالْحِوِّيَّ وَالْعَرْقِيَّ وَالسِّينِيَّ. وَالأَرْوَادِيَّ وَالصَّمَارِيَّ وَالْحَمَاتِيَّ. وَبَعْدَ ذلِك تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْكَنْعَانِيِّ. وَكَانَتْ تُخُومُ الْكَنْعَانِيِّ مِنْ صَيْدُونَ، حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ جَرَارَ إِلَى غَزَّةَ، وَحِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَأَدْمَةَ وَصَبُويِيمَ إِلَى لاَشَعَ. (سفر التكوين - ١٠ / ١٥)

(70) - المرجع السابق.

(69) - فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، إِلَى مَكَانِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. (سفر الخروج - ٣ / ٨)

(68) - الآيات السابقة من (سفر التكوين - ١٠ / ١٥)

(67) - نفس الايات السابقة من (سفر التكوين - ١٠ / ١٥)

(66) - الآيات السابقة من (سفر الخروج - ٣/ ٨)

(65) - نفس الآيات السابقة من (سفر التكوين - ١٠ / ١٥)

(64) - المرجع السابق.

(63) - نفس الآيات السابقة من (سفر الخروج - ٣/ ٨)

(62) - نفس الآيات السابقة من (سفر التكوين - ١٠ / ١٥)

(61) - المرجع السابق.

(60) - المرجع نفسه.

(59) - نفس الآيات السابقة من (سفر الخروج - ٣/ ٨)

(58) - نفس الآيات السابقة من (سفر التكوين - ١٠ /١٥)

(57) - المرجع السابق.

(56) - فَقَالَ يَعْقُوبُ لِشَمْعُونَ وَلاَوِي: «كَدَّرْتُمَانِي بِتَكْرِيهِكُمَا إِيَّايَ عِنْدَ سُكَّانِ الأَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ، وَأَنَا نَفَرٌ قَلِيلٌ. فَيَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ وَيَضْرِبُونَنِي، فَأَبِيدُ أَنَا وَبَيْتِي». (سفر التكوين - ٣٤ / ٣٠)

(55) - نفس الايات السابقة من (سفر الخروج - ٣/ ٨)

(54) - نفس الآيات السابقة من (سفر التكوين - ١٠ / ١٥)

(53) - المرجع السابق.

(52) - المرجع نفسه.

(51) - تاريخ الطبري، الطبري، ج ١، ص ١٢٥.

(50) - تاريخ بن خلدون، ابن خلدون، ج ٢، ص ١٩.

(49) - كتاب شرح الفتوى الحموية الكبرى، ابن تيمية، ج ٥، ص ٧.

(48) - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د جواد علي في / الحضارات السامية القديمة، لسبتينو موسكاتي، ترجمة د. سيد يعقوب / الساميون ولغاتهم، لحسن ظاظا ١٩٩٠ / حضارة الشعوب السامية القديمة، لدكتور محمد خليفة حسن / من الساميين إلى العرب، للشيخ نسيب الخازن / الحضارات السامية المبكرة، للدكتور خزعل الماجدي / العرب في الهلال الخصيب، لبرهان زريق / العرب في العصور القديمة، للطفي عبد الوهاب.

(47) - بَنُو يَافَثَ: جُومَرُ وَمَاجُوجُ وَمَادَاي وَيَاوَانُ وَتُوبَالُ وَمَاشِكُ وَتِيرَاسُ. وَبَنُو جُومَرَ: أَشْكَنَازُ وَرِيفَاثُ وَتُوجَرْمَةُ. وَبَنُو يَاوَانَ: أَلِيشَةُ وَتَرْشِيشُ وَكِتِّيمُ وَدُودَانِيمُ. مِنْ هؤُلاَءِ تَفَرَّقَتْ جَزَائِرُ الأُمَمِ بِأَرَاضِيهِمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ كَلِسَانِهِ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ بِأُمَمِهِمْ. (سفر التكوين - ١٠/ ٢)

(46) - تاريخ بن خلدون، ابن خلدون، ج ٢، ص ١٠.

(45) - الآيات السابقة من (سفر التكوين ١٠- ٢)

(44) - وَبَنُو جُومَرَ: أَشْكَنَازُ وَرِيفَاثُ وَتُوجَرْمَةُ (سفر التكوين - ١٠ /٣)

(43) - وَجُومَرَ وَكُلَّ جُيُوشِهِ، وَبَيْتَ تُوجَرْمَةَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ مَعَ كُلِّ جَيْشِهِ، شُعُوبًا كَثِيرِينَ مَعَكَ. (سفر حزيقال - ٣٨ / ٦)

(42) - James, Simon (1999). The Atlantic Celts - Ancient People Or Modern Invention. University of Wisconsin Press.

(41) - وَبَنُو جُومَرَ: أَشْكَنَازُ وَرِيفَاثُ وَتُوجَرْمَةُ (سفر التكوين - ١٠ / ٣)

(40) - «إِرْفَعُوا الرَّايَةَ فِي الأَرْضِ. اضْرِبُوا بِالْبُوقِ فِي الشُّعُوبِ. قَدِّسُوا عَلَيْهَا الأُمَمَ. نَادُوا عَلَيْهَا مَمَالِكَ أَرَارَاطَ وَمِنِّي وَأَشْكَنَازَ. أَقِيمُوا عَلَيْهَا قَائِدًا. أَصْعِدُوا الْخَيْلَ كَغَوْغَاءَ مُقْشَعِرَّةٍ. (سفر إرميا - ٥١ / ٢٧).

(39) - Brzezinski, Richard; Mielczarek, Mariusz (2002 p39.

(38) - وَبَنُو جُومَرَ: أَشْكَنَازُ وَرِيفَاثُ وَتُوجَرْمَة) سفر التكوين - ١٠ / ٣)

(37) - بافلاغونيا - موسوعة المورد - منير البعلبكي ١٩٩١.

(36) - الآيات السابقة من (سفر التكوين - ١٠ / ٣)

(35) - تعداد شعوب القوقاز، الموسوعة البريطانية (منصة عبر الإنترنت).

(34) - حصر لشعوب القوقاز، بالموسوعة البريطانية.

(33) - «صفحة أرمينيا في خريطة الشارع المفتوحة» (منصة على الإنترنت).

(32) - Ivanchik A.I. «Cimmerians and Scythians», 2001.

(31) - James, Simon (1999). The Atlantic Celts - Ancient People Or Modern Invention. University of Wisconsin Press.

(30) - Endymion Porter Wilkinson (2000). Chinese History: A Manual. Harvard Univ Asia Center. p730

(29) - بنو يافث: جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس. وبنو جومر: أشكناز وريفاث وتوجرمة. وبنو ياوان: أليشة وترشيش وكتيم ودودانيم. من هؤلاء تفرقت جزائر الأمم بأراضيهم، كل إنسان كلسانه حسب قبائلهم بأممهم. (سفر التكوين - ١٠/ ٢)

(28) - ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض: جوج وماجوج، ليجمعهم للحرب، الذين عددهم مثل رمل البحر. (سفر الرؤيا- ٢٠ /٨)

(27) - Scherman, Nosson. The Artscroll Tanach Series: Bereishis/ Genesis. Mesorah Publications, 1995, p. 311.

(26) - Johannes Magnus, Historia de omnibus Gothorum Sveonumque regibus, 1554, I, Chapters 4-5

(25) - نهاية الأرب، القلقشندي، ج ١، ص ١٠: ١١.

(24) - Serafin, Mikołaj (January 2015). «Cultural Proximity of the Slavic Nations.

(23) - نهاية الأرب، المرجع نفسه.

(22) - Collins, Henry B. (1956). Vanished Mystery Men of Hudson Bay. Vol. CX No. 5, National Geographic Magazine. p674.

(21) - الشعوب الأصلية في الأمريكتين - مشروع الدليل المفتوح (على الانترنت).

(20) - نهاية الأرب، المرجع نفسه.

(19) - بَنُو يَافَثَ: جُومَرُ وَمَاجُوجُ وَمَادَاي وَيَاوَانُ وَتُوبَالُ وَمَاشِكُ وَتِيرَاسُ. وَبَنُو جُومَرَ: أَشْكَنَازُ وَرِيفَاثُ وَتُوجَرْمَةُ. وَبَنُو يَاوَانَ: أَلِيشَةُ وَتَرْشِيشُ وَكِتِّيمُ وَدُودَانِيمُ. مِنْ هؤُلاَءِ تَفَرَّقَتْ جَزَائِرُ الأُمَمِ بِأَرَاضِيهِمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ كَلِسَانِهِ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ بِأُمَمِهِمْ. (سفر التكوين - ١٠/ ٢)

(18) - فَثَبِّتِ الآنَ النَّهْيَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَأَمْضِ الْكِتَابَةَ لِكَيْ لاَ تَتَغَيَّرَ كَشَرِيعَةِ مَادِي وَفَارِسَ الَّتِي لاَ تُنْسَخُ». فَتَقَدَّمُوا وَتَكَلَّمُوا قُدَّامَ الْمَلِكِ فِي نَهْيِ الْمَلِكِ: «أَلَمْ تُمْضِ أَيُّهَا الْمَلِكُ نَهْيًا بِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَطْلُبُ مِنْ إِلهٍ أَوْ إِنْسَانٍ حَتَّى ثَلاَثِينَ يَوْمًا إِلاَّ مِنْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ يُطْرَحُ فِي جُبِّ الأُسُودِ؟» فَأَجَابَ الْمَلِكُ وَقَالَ: «الأَمْرُ صَحِيحٌ كَشَرِيعَةِ مَادِي وَفَارِسَ الَّتِي لاَ تُنْسَخُ». فَاجْتَمَعَ أُولئِكَ الرِّجَالُ إِلَى الْمَلِكِ وَقَالُوا لِلْمَلِكِ: «اعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ شَرِيعَةَ مَادِي وَفَارِسَ هِيَ أَنَّ كُلَّ نَهْيٍ أَوْ أَمْرٍ يَضَعُهُ الْمَلِكُ لاَ يَتَغَيَّرُ». (سفر دانيال - ٦: ٨، ١٢، ١٥)

(17) - Mallory, J. P.; Adams, Douglas Q. (1997). Encyclopedia of Indo-European culture. Taylor & Francis.

(16) - بَنُو يَافَثَ: جُومَرُ وَمَاجُوجُ وَمَادَاي وَيَاوَانُ وَتُوبَالُ وَمَاشِكُ وَتِيرَاسُ. وَبَنُو جُومَرَ: أَشْكَنَازُ وَرِيفَاثُ وَتُوجَرْمَةُ. وَبَنُو يَاوَانَ: أَلِيشَةُ وَتَرْشِيشُ وَكِتِّيمُ وَدُودَانِيمُ. مِنْ هؤُلاَءِ تَفَرَّقَتْ جَزَائِرُ الأُمَمِ بِأَرَاضِيهِمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ كَلِسَانِهِ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ بِأُمَمِهِمْ. (سفر التكوين ١٠- ٢)

(15) - المصدر السابق.

(14) - Anson F. Rainey, The Sacred Bridge: Carta's Atlas of the Biblical Word, Carta: Jerusalem, 2006, 27; and Yohanan Aharoni, Michael Avi-Yonah, Anson F. Rainey, Ze'ev Safrai, The Macmillan Bible Atlas, Macmillan Publishing: New York, 1993, p. 21.

(13) - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، ص ٢٦، ٢٩.

(12) - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج ٢، ص ١٨٤.

(11) - نهاية الأرب، نفس المرجع.

(10) - تاريخ ابن خلدون، نفس المرجع.

(9) - بَنُو يَافَثَ: جُومَرُ وَمَاجُوجُ وَمَادَاي وَيَاوَانُ وَتُوبَالُ وَمَاشِكُ وَتِيرَاسُ. وَبَنُو جُومَرَ: أَشْكَنَازُ وَرِيفَاثُ وَتُوجَرْمَةُ. وَبَنُو يَاوَانَ: أَلِيشَةُ وَتَرْشِيشُ وَكِتِّيمُ وَدُودَانِيمُ. مِنْ هؤُلاَءِ تَفَرَّقَتْ جَزَائِرُ الأُمَمِ بِأَرَاضِيهِمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ كَلِسَانِهِ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ بِأُمَمِهِمْ. (سفر التكوين - ١٠ / ٢)

(8) - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج ٢ ص ١٨٤.

(7) - Mallory, J. P.; Adams, Douglas Q. (1997)

(6) - الروض المعطار في خبر الأقطار - لعبد المنعم الحميري.

(5) بَنُو يَافَثَ: جُومَرُ وَمَاجُوجُ وَمَادَاي وَيَاوَانُ وَتُوبَالُ وَمَاشِكُ وَتِيرَاسُ. وَبَنُو جُومَرَ: أَشْكَنَازُ وَرِيفَاثُ وَتُوجَرْمَةُ. وَبَنُو يَاوَانَ: أَلِيشَةُ وَتَرْشِيشُ وَكِتِّيمُ وَدُودَانِيمُ. مِنْ هؤُلاَءِ تَفَرَّقَتْ جَزَائِرُ الأُمَمِ بِأَرَاضِيهِمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ كَلِسَانِهِ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ بِأُمَمِهِمْ. (سفر التكوين - ١٠ / ٢)

(4) - وَيْلِي لِغُرْبَتِي فِي مَاشِكَ، لِسَكَنِي فِي خِيَامِ قِيدَارَ! (سفر المزامير ١٢٠ - ٥)

(3) - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج ٢، ص ١٨٤.

(2) - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي، ج ٤، ص ٣٨٩.

(1) - نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، القلقشندي، ص ١٠، ١١.

(0) - المرجع السابق.